د.محمد الأمين بلغيث
أستاذ محاضر بجامعة الجزائر

دراســـات

في

تاريخ الغرب الإسلامي

دار التنوير/ الجزائر
١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

الإهداء

إلى الصديق المغفور له بإذن الله "**عيسى حَمُّودَة** "(ت.٢٥مارس ٢٠٠٤م) رحمة الله عليه، الصديق العزيز، والرجل المؤمن والداعية المخلص، الذي غادرنا ولم يودِّعنا، ففقدنا فيه المودة وكرم الأخلاق والإخلاص، إلى روحه الطاهرة أهدي هذه الدراسات ذكرى محبة خالصة لوجه الله سبحانه وتعالى.

المؤلف.
دكتور محمد الأمين بلغيث
الجزائر المحروسة، ضاحية المحمدية
في ١١ صفر الخير ١٤٢٦هـ/٢٥ مارس ٢٠٠٥م.



المقدمة:

أقدم إلى القارئ العربي هذه الدِّرَاسات والأبحاث التي شاركت بها في ملتقيات وطنية ودولية، حتى لا تبقى دون متناول القارئ فأقدمها في هذا السفر الجامع لعله يساعد على إعادة قراءة بعضها أو الاستفادة منها في إعداد البحوث والدراسات لمن لم يتمكن من الوصول إليها في مضانها، ومن بين هذه الدراسات والمداخلات من لا تزال في حكم المخطوط، و لم تنشر سابقا، وهذه الأعمال هي على التوالي:

١. **الثقافة الإسلامية وروح التسامح(اليهود والمستعربون بالأندلس في عصر المرابطين والموحدين نموذجًا)**.صدرت ضمن أعمال ملتقى ندوة كلية الشريعة جامعة جرش الأهلية بالأردن.تعرضت فيها إلى خلاصة تجربتي مع الأقليات بالأندلس وفقًا لأحدث الدراسات والأعمال العلمية الجادة، المنشورة ضمن أعمال الباحث الموسوعي **عبد الوهاب المسيري**، والباحث والمؤرخ المغربي المتميز **إبراهيم القادري بوتشيش**، من جامعة مكناس الزيتون، والباحث المحيط بشتات المصادر والمظان الخاصة باليهود **مسعود كواتي**، رئيس قسم التاريخ سابقًا بجامعة الجزائر وصاحب العمل الجاد حول اليهود بالمغرب الإسلامي.

٢. **النظام الحربي في عهد المرابطين**، مداخلة قدمتها، بمناسبة انعقاد اليوم الدراسي الهام الذي نظمه المتحف العسكري للجيش بالجزائر العاصمة، وكنت أتمنى أن تعرف أعمال الملتقى النور حتى يستفيد الباحث وغيره من المهتمين بالتاريخ العسكري من أعمال الملتقى الهامة.

٣. **العلاقات السياسية بين الدولة الحمادية ودولة المرابطين. بالمسيلة في ملتقى تاريخ الحضنة**، الذي يهتم بتاريخ وحضارة القلعة العاصمة الحضارية الأولى للمغرب الأوسط في العهد الحمادي، وهي العاصمة التي تفخر بأمثال ابن رشيق

المسيلي، وابن النحوي صاحب المنفرجة والأصولي الجاد في دولتي المرابطين والحماديين.

٤. "مشاركة المرأة الأندلسية في الحياة الأدبية والعلمية في عهد المرابطين.

[٤٧٩هـ/١٠٨٦م/٥٣٩هـ/١١٤٥م]:دراسة مفصلة مستلة من أطروحتي للدكتوراه مصححة ومزيدة.وقد بذلت مجهودًا مضاعفًا في تحديد تطور دور المرأة الأندلسية في أيام الدولة المرابطية.

٥. المنطق والفكر العقدي من أبي عبد الله يوسف بن محمد السنوسي إلى عبد الرحمن الأخضري(قراءة في الدرس المنطقي والأصولي)،حصيلة مشاركة في الملتقى الوطني الرابع تاريخ بسكرة.تنبه هذه الدراسة إلى أهمية الدرس العقدي بالغرب الإسلامي، ومستوى مساهمة الجزائر في تحديد مستوياته، مع تشديد الباحث من خلال الاستفادة الخاصة من العمل الجاد الخاص بالتطور العقدي للأستاذ **يوسف احنانة** الموسوم بـــ: **تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي.**

٦. **مـــــدرسة مازونة الفقهية خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي وآثارها (قـــــراءة تاريخية)، مشاركة في ملتقى المذهب المالكي بالجزائر ضمن أعمال مخبر الشريعة.**

٧. **د.أبو القاســـم سَـــعدَ الله محـــقـــــق التراث الجـــــزائري (قراءة في عيِّنَـــة مـــنَ التُّرَاث الجزائري خلال القرن السابـــع عشر).**

٨. **النَّسَقُ الثَّقَافِي للسُّلْطَة في الجزائر وتونس من خلال تاريخ العدواني.**قدمت هذا العمل في بداية الأمر كمحاضرة متواضعة ضمن فعاليات ندوة **الشيخ محمد بن عمر العدواني** التي تنظمها الجمعية الوطنية عمر عزوز بالزقم بولاية الوادي، وتطورت المداخلة إلى بحث متكامل الشروط ما أمكن وما أسعفتني وثائقي من الدراسات الاجتماعية والمدارس الأنثروبولوجية، وكان من المفترض أن يكون

ضمن الأعمال التي تسعى جامعة الجزائر إلى نشرها ضمن الكتاب التذكاري المهدى إلى الأديب والمفكر الجزائري الكبير **أبو العيد دودو**، وحالت الظروف دون ظهور المشروع إلى الوجود أصلا، فأرسلته إلى المؤرخ والأستاذ المتميز الدكتور عبد الجليل التميمي بجامعة تونس الأولى وصاحب مؤسسة التميمي للأبحاث، فنشره بعد سنة من ظهور عملي الأول حول الطريقة الشابية بتونس والجزائر الشرقية ضمن أبحاث العدد رقم **١٧** من مجلة الدراسات المغاربية الصادر في شهر يناير **٢٠٠٥**م.ولهذا رأيت أن أردف الأعمال السابقة بهذا العمل الذي لم يعرف الانتشار الذي تمنيت أن يحظى به.

ولا يفوتني الاعتذار إلى القارئ الكريم عما يظهر من عيوب حينما جمعت هذه الدراسات في سفر واحد، وقد كتبت في الأصل متفرقة، وهذا يظهر أحيانًا في التكرار بين بحث وآخر مذكرًا بدولة المرابطين خاصة، ومن اختلاف في النسق التأليفي بين دراسة وأخرى.وعذري أنني أقدم زبدة أعمال متفرقة، حيث فرضت علي منهجية الطرح أن أذكر بأمر تاريخي أو مسألة لها علاقة بتقديم العمل إلى مستمع أو قارئ لا يملك أبجديات تاريخ دول الغرب الإسلامي وعلى الخصوص دولتي المرابطين والموحدين، وعذري في هذا أن هذه الأعمال والأبحاث متفرقة لكنها تشكل وحدة موضوعية تسعى إلى تقديم بعض النماذج من الحياة العلمية والفكرية ضمن الإطار العام للثقافة الإسلامية بالمغرب الإسلامي.

والله المستعان وعليه التكلان

د. محمد الأمين بلغيث

الجزائر، ضاحية المحمدية في ١٢ ربيع الأول ١٤٢٦هـ/٢١ أفريل ٢٠٠٥م.

أولا:

الثقافة الإسلامية وروح التسامح

اليهود والمستعربون بالأندلس في عصر المرابطين والموحدين نموذجًا (*).

مدخل عام

المرابطون والموحدون دولتان من دول الغرب الإسلامي، القوية التي وقفت في وجه المد الصليبي بالأندلس مدة حروب الاسترداد، قامت الأولى على عصبية صنهاجة القوية وتزعمت الحلف الصنهاجي قبيلة لمتونة الشهيرة، فكان لهذه الدولة مكانة كبيرة في تاريخ الغرب الإسلامي تزامنًا مع انتكاسة ملوك الطوائف وسقوط حاضرة بربشتر في يد النصارى بتحالف مع الكرسي الرسولي بروما، وكان تاج المرابطين موقعة الزلاقة الشهيرة في شهر رجب عام **٤٧٩هـ**/ماي **١٠٨٦م**.كما قامت دولة الموحدين على عصبية هرغة ومصمودة وهم سكان جبال الأطلس الأشداء الذين واصلوا عمل المرابطين في الأندلس حتى كان الهيار جحافلهم في موقعة العقاب الشهيرة عام (**٦٠٩هـ/١٢٠٢م**)(***Las Navas de Tolosa***) بقيادة جيوش محمد الناصر خليفة يعقوب المنصور.وبهزيمة محمد الناصر في العقاب و(تخليدًا لهذا الانتصار قررت الكنيسة من يومئذ أن يحتفل سنويا في السادس عشر من يوليو بإقامة حفل ديني عظيم تحت شعار (**ظهر الصليب**) ومن هذه المعركة أصبحت الحروب الصليبية واضحة في بلاد المغرب والأندلس وهي الفصل الأخير لعصر القوة.

والدولتان كان قيامهما على حركة دينية واضحة، لهذا كانت الثقافة الإسلامية ومبادئ الشرع حاضرة في فلسفة قيام ووجود الدولتين معًا.

من ميزات حركة المرابطين(**٤٣٠-٥٤١هـ/١٠٣٨-١١٤٦م**) على المجتمع أن سكان المغرب عرفوا ولحقبة طويلة الهدوء والرّخاء كما نشر المرابطون الأخلاق الحميدة بين المجتمع، وحتى الأندلس التي عرفت بمجتمعها الذي ساده الانحلال الخلقي وشاعت بين عناصره العلاقات الجنسية الحرام وشربت الخمر جهارًا حتى تذمر العلماء والصلحاء من هذا الوضع المتردّي، فسكن إلى حين عن الكلام غير المباح[1].

قاسى أهل الأندلس في ظل الفوضى التي عرفها على إثر الانقلابات السياسية وتوالي الحروب لهذا كان دور المرابطين وفقهاء المالكية المكانة الهامة في نشر الفضيلة ومحاربة التّسيب الاجتماعي فانتقدهم على هذا المستشرق **الهولاندي المتعصب "رينهارت دوزي"** فقال:"كان مجيء المرابطين إلى الأندلس نذيرا بانقلاب بعيد المدى فقد دالت دولة الحضارة وقامت الهمجية على أنقاضها، أما حسن الإدراك فقد حلّت محلّه الخرافات، ذهب التّسامح وسيطر التّعصب وأصبحت البلاد ترزح تحت نير الفقهاء والقواد وبدل من أن نسمح مساجلات العلماء في دور العلم ومناقشتهم في الفلسفة ونشيد الشعراء وغناء أهل الموسيقى،بدأنا لا نسمع إلا أصوات الفقهاء وصليل السيوف"[٢] إن البعد الإسلامي الذي قام عليه مشروع دولة المرابطين هو الذي أثار حفيظة هذا المستشرق المتعصب وتبعه في هذا الرأي غالبية المؤرخين فقال عنهم أحد الباحثين دون روية:"**وكان عهد المرابطين الذي عرف باستبداده المتناهي وتعصبه الديني الممقوت ونظر إليه المراقبون كأسوأ وأخطر العصور حيث لعب دورا كان أشبه بالدور الذي لعبه الترك والمغول في الشرق**"[٣].

وعبد الله بن ياسين الذي خبر مواطن الضعف في النفس الإنسانية وثقافته الإسلامية جعلته صاحب نظرية في إصلاح المجتمع، فقد كان داعية إلى الله، إمامًا موهوبا وقائدا حازما أيقظ الإسلام في قلوب لمتونة وقبائل صنهاجة الجنوب وحبّبهم فيه وكشف لهم عن كنز الإيمان في نفوسهم، لقد استطاع هذا المالكي الثائر أن يجعل من الدعوة الإسلامية تيارًا شعبيا في بلاد المغرب، هذا التيار الإسلامي جعله من المجددين في الغرب الإسلامي، لهذا جاء على رأس جماعته بتركيبته الاجتماعية القبلية كأعظم الزعماء الروحيين وجماعة الرباط جعل القرآن وحي التشريع والسلوك (وكان جند المرابطين يحاربون بنفس الروح الإسلامية

الذي تحلى بها الجند في صدر الإسلام يحاربون للجهاد ويظفرون بإحدى الحسنين النصر أو الشهادة في سبيل الله وإعلاء كلمة الله ونصرة دينه.وبقيادة الداعية **الهرغي محمد بن تومرت** قامت دولة الموحدين على أنقاض دولة المرابطين السلفية، وكان الإسلام الغاية والهدف لهذه الدول المتعاقبة بالغرب الإسلامي خلال القرنين السادس والسابع الهجريين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين.وقد عاصرت الدولتان الإسلاميتان الحروب الصليبية في المشرق، وتتهم الدوائر الصليبية والاستشرقية الدولتين بالتعصب والغلو، فيكيف كانت وضعية اليهود والنصارى المستعربين(***Mozarabes***)؟ في عهد دولتين توجه لعصرهما التهم غير المؤسسة، فأين موقع الدولتين من الثقافة الإسلامية وفضيلة التسامح التي تقوم عليها قواعد الشريعة.

تظهر التجربة المرابطية والموحدية في أنهما ليستا بمعزل عن الظروف الخارجية في المشرق والصراع الدولي في حوض البحر الأبيض المتوسط والعالم الإسلامي والأوروبي مما يسهل فهم أبجديات الصراع وحتمية المواجهة.

وإذا ما تتبعنا أحوال اليهود في الأندلس في عهد المرابطين مثلا فإن الدراسات اليهودية تقول: إنَّهم عاشوا في رخاء نتيجة الازدهار الاقتصادي الشامل للبلاد، ولذلك بلغوا درجة كبيرة من الثراء مما أدى إلى مساهمتهم في إغناء الحياة الأدبية والفكرية والاقتصادية[٤].وتجب ملاحظة أن بروز اليهود في الحضارة الغربية الحديثة، وتفاعلهم معها، لم يتم إلا بعد أتمت عَلْمَنتهم وتخلوا عن أية هوية دينية يهودية، على عكس النجاح الذي حققوه في إطار الحضارة العربية الإسلامية، إذْ حققوه باعتبارهم يهودًا ذوي هوية دينية مستقلة، ولكن تجدر الإشارة إلى أن يهود العالم الإسلامي لم تظهر منهم شخصيات فكرية ذات ثقل كبير على عكس يهود الأندلس الذين برز فيهم **يهوذا اللاوي** في عهد المرابطين و**موسى بن ميمون** (٥٣٠هـ/٦٠١هـ/١١٣٥–١٢٠٤م) في عهد الموحدين، كما أصبح **ابن شلوخة**

اليهودي خازن المال **بسجلماسة** في عهد الخلافة الموحدية، كما أن **صمويل الفاسي** حبر **مراكش** الذي اعتنق المسيحية أيام المرابطين، وسمي **صومويل ماروشيتانيوس**(***Semmel Marochitanus***)قد شغل منصبا ذا شأن في بيعة **سجلماسة**(٥)وغيرهم من مفكرين وشعراء ووجهاء، ولم يؤسس يهود الأندلس مدارسهم المستقلة إلا بعد تعربهم، وبعد أن أخذت نخبتهم تتشرب الحضارة العربية الإسلامية، وبالتالي كانت التقاليد الفكرية داخل حلقاتهم العلمية تسمح لهم بالانفتاح الكامل على هذه الحضارة، حيث أمكنهم الإبداع من داخلها، فأنتجوا أهم أدبياتهم الفكرية والأدبية التي تحتل مكان الصدارة حتى العصر الحديث، كما أشار المنصفون من الدارسين اليهود في فهمهم لهذه الإشكالية المهمة مثل **حاييم الزعفراني وسلمون جويتاين**(٦) وتدهور وضعهم بتدهور العالم الإسلامي(٧) ولا يمكن فهم التراث الديني اليهودي في هذه المرحلة إلا بالعودة إلى التراث الإسلامي الفلسفي والديني، ويمكن القول أن تفاعل الجماعة اليهودية مع الحضارة الإسلامية أمر لا نظير له في أية حضارة أخرى، لأنها أعطت لهم وسيلة الحياة ومنهج النقد وفهم التطورات الإنسانية خلال العصور الوسطى، فخرجوا من دوائرهم الضيقة إلى عالم أرحب،حيث الحرية والاحترام لحامل العلم(٨)، فقد ساهموا في الإدارة إلى جانب الحياة الفكرية بحرية تامة إلا ما ذكر **ابن عذاري** المراكشي(كان حيا عام **٧١٢هـ/١٣١١م**)وهو يتحدث عن **أبي حفص عمر يناله** الذي تولى **غرناطة** مدة أربعة أشهر فقط وعزل عنها(جمادى الأولى **٥٢٢هـ/١١٢٨م**)وهو أحد أبناء أمير المسلمين **علي بن يوسف،** الذي كان في إقليم الشرق، وقد أساء السيرة مع **معاهدة غرناطة**، منتقمًا منهم، مما فعلوه بالمسلمين لما تحالفوا مع **رذمير**، وقد تجاوز سلطاته يقول **ابن عذاري** فلما وصل إلى حضرة أمير المسلمين **علي بن يوسف** أشار بذكره إليه **معاهدة غرناطة**، فأمر بمحضره معهم في مجلس نظره، فأدلوا بحجج

في ظلمه فسجنه لهم حتى أنصفهم من ظلامتهم ثم بعد ذلك أصابه طاعون كان سبب حتفه، وكان هذا **يناله (عمر)** إذا عاقب الجاني اعتدى عليه، وإذا أُتي بالبريء لم يسمع منه، وكان له كاتب **يهودي الأعراق والأخلاق يبغض الناس ويبغضونه** أشأم قسمة على نفسه ورئيسه ومن اتصل به، فبدأ بشؤمه **أميره يناله**، فجرّ إليه العزل وأورده السجن وأداه إلى الهلكة، وغدا شؤمه عليه فاستؤصل ماله، ونهبت داره وطلب ليوقع به ففر وهلك بعد ذلك، وكان أشقر أزرق ذميم الخلق في وجهه خال"[٩].

ومن جملة رجال **أبي حفص عمر يناله ابن أمير المسلمين علي بن يوسف**، رجل زيه التلثيم،نشأ بمدينة **طنجة** وتأدب **بإشبيلية**، يعرف **بموسى بن مفروج**، له خط بارع وأدب صالح ونفوذ في الحساب، وكانت له نفس ذكية وهمة عالية ألقى إليه الأمير أبو حفص جميع الأعمال وأوطأه عقب الرجال، فاستبد بالأمر واستقل، **فدس إليه يهودي ينتحل الطب** سقاه يوم أربعاء، ودفن يوم الجمعة عام **٥٢٢هـ/١١٢٨م**[١٠].فقد كان اليهود كعادتهم متقوقعين على أنفسهم في أحياء خاصة،**كقرطبة** فيقولون عن مدخله باب اليهود أو حي اليهود وقد سمي:باب الهدى بعد أن استقبحوا باب اليهود وراعوا تجانس لفظي اليهود والهدى، وكذلك الشأن في حي اليهود بطليطلة وسرقسطة[١١] وكانوا يحتكرون التجارة وفي بعض الأحيان السلطة وإذا وجدوا من ينافسهم في ذلك عملوا على التخلص منه بطريقة خسيسة، وهذا ما رأيناه عندما قوى نفوذ **موسى بن مفروج الملثم** في غرناطة فعمد أحد أطباء اليهود إلى دس السم له فأرداه صريعًا، وكان نفوذ اليهود **بغرناطة** كبيرًا حتى كانوا يقولون عنها **مدينة اليهود**[١٢] وموضوع اليهود في عهد المرابطين فيه تناقضات كبيرة بين الباحثين، ففي دراسة " **قريتز** " يقول:إنَّ يهود الأندلس عاشوا بين قوتين متصارعتين، دولة المرابطين المتعصبة ودولة الفونسو ومملكة **قشتالة**

وأراغون، دول الاسترداد المتعصبة، إلا أن هذا لا يمنع الباحث نفسه إلى التصريح بأن كبار اليهود، الشعراء والأطباء والذين اشتغلوا بالفلسفة والتنجيم والرياضيات، عاشوا حياة مريحة بل وفيهم من تلقب بلقب وزير في عصر المرابطين ومنهم: "**الشاعر أبو يعقوب سليمان بن المعلم**" الذي حمل صفة الأمير والوزير،والثاني **أبو الحسن أبراهام بن مير بن كامنيال**، الذي كانت حمايته لأهل دينه من الظروف الطارئة تمتد لكل اليهود من مصر إلى بلاد العراق، و**أبو إسحاق بن مهاجر**، ومنهم الوزير **سليمان بن فاروسال** الذي اغتيل في ٢ ماي ١١٠٨م/٥٠٢هـ في مهمة دبلوماسية إلى الممالك الأسبانية بعد معركة **أُقليش**(***Ucles***)الشهيرة التي أحرز فيها المرابطون نصرًا مؤزرًا على جيوش **قشتالة**(١٣).وبالرغم من هذا يقول **فيليب حتي وكارل بروكلمان** بأن أهل الذمة قد عاشوا في كنف المرابطين في جور وظلم واضطهاد(١٤).

لقد ترعرعت الثقافة اليهودية في دار الإسلام، وتطعمت بجوهر الثقافة الإسلامية فكرًا وتأليفًا باحتكاكها بفطاحل العلماء وكبريات الحواضر الإسلامية في **غرناطة وقرطبة وإشبيلية وسرقسطة**، وكانت عاصمتهم ومحجهم **ليشانة بضواحي قرطبة**(١٥).

ومن مظاهر الحرية التي تمتع بها يهود الأندلس في عهد المرابطين، هو انتشار المراكز الدينية في الحواضر الأندلسية المرابطية(١٦)، خاصة في عهد **علي بن يوسف** الذي التزم بأحكام الشريعة مع أهل الذمة حتى نعته أحدهم بأنه:" **أحد حماة اليهود**".**أين التزمت الدولتان المرابطية والموحدية كل حسب ظروفها بما تلزمه الثقافة الإسلامية من سلم وتسامح بمقتضى ما تعلمه الأمراء والخلفاء من سماحة الإسلام مع غير المسلمين**(١٧).

كما يظهر الصراع في الأندلس بطابعه الصليبي في عصر المرابطين جليًّا، فإذا عملنا على تركيب المسار التاريخي، فإن البداية ظاهرة من بروز كلوني على المسرح السياسي والعسكري،وهذا لمقابلة حالة الحرب التي تعرفها بلاد الأندلس(١٨)حيث إنَّ الإسلام بصفة عامة لم يكن له وجود واقعي في أذهان الناس في أوروبا الشمالية، التي ستخرج منها الحروب الصليبية(١٩).وكانت أوروبا ما تزال لم تتشكل على المستوى السياسي، كما أنها كانت مجرد منطقة ريفية متخلفة بالقياس إلى كل من العالم البيزنطي والعالم الإسلامي(٢٠).لهذا كانت المجابهة الأولى بين الإسلام والمسيحية قد تمثلت فيما كان يجري على ساحة الأندلس في عهد ملوك الطوائف وكان سقوط **طليطلة** عام ٤٧٨هـ/١٠٨٥م مدخلا لحروب الصليبيين في الشرق، وهو ما انتبه له **ابن كثير** بنباهة حيث إنَّ الفاصل بين **طليطلة** والحملة الصليبية الأول سوى عشر سنوات هجرية(**٤٩٢هـ/١٠٩٩م**)، كما أسهم الصليبيون الوافدون من **انجلترا** و**ألمانيا** في استرداد **لشبونة**، وكان ميدان الصراع شاملا بين حضارتين، ولعل التفكير بحرب صليبية شاملة تبدأ من الأندلس وصقلية وتنتهي بالقدس، ونضجت الفكرة منذ البابا **غريغوريوس السابع**(**١٠٧٣–١٠٨٥م**)،ولما تسلم **البابا إربان الثاني**(٤٨١هـ/١٠٨٨م)من بعده زمام المبادرة اتجه إلى تنفيذ مخطط للانقضاض على الشرق لتأسيس دولة لاتينية في **سوريا وفلسطين**(٢١).وإذا تركنا المشاريع المتقاربة بين الصليبيين الذين انطلقوا إلى الشرق والأهداف المسطرة خاصة أثناء الحملة الأولى، فإننا نعالج في عنصر المجابهة الإسلامية المسيحية على أرض الأندلس من خلال التساؤل المطروح، عن حرب الاستعادة الأسبانية، هل هي حرب كولونية مقدسة ضد الإسلام على أرض الأندلس؟

لقد أكد كثير من الباحثين أن جذور الحروب الصليبية ترجع إلى"**الصراع بين المسلمين والمسيحيين في إسبانيا**"حين بدأت المؤسسة البابوية تتدخل مباشرة في

المواجهة مع المسلمين على الأراضي الإيبيرية، وتحقق بعض الانتصارات، هنا بدأت البابوية تتطلع صوب الشرق البعيد، حيث الأماكن المقدسة التي ترتبط بقصة المسيح لتكون ميدانًا لحرب مقدسة أوسع مجالا وأبعدها هدفًا(٢٢).

لقد كانت حروبهم مع المسلمين يشارك فيها الراهب والكونت والنبيل، ففي موقعة **إفراغة** (***Fraga***) قتل فيها **إيمريك الثاني**(***Aymeric.II***) عام **٥٢٨-٥٢٩هـ/١١٣٤م**، وتسمى أيضًا بموقعة القومسات السبعة،وهي مفخرة من مفاخر دولة المرابطين في الأندلس(٢٣). اتخذت التنظيمات **الكولونية والداوية** مكانتها في الصراع الديني والعسكري بأسبانيا بشكل أثار انتباه المؤرخين في هذا العصر، فقد عول **ألفونسو** على الموت أو الاستيلاء على **"إفراغة"** وعزم المجاهدون من أهل البلد حتى تمكنوا من قتل ألفونسو المحارب مع مجموعة من أبطاله ورهبانه مما رفع الروح المعنوية للمرابطين(٢٤).

يدرك الباحثون جيدًا أوجُه التوازي التاريخية بين تطور فكرة الحرب المقدسة والسيطرة الروحية والسياسية لما يُسَمَّى بالإصلاح الكلوني في أوروبا الغربية.لكن مع ذلك هناك مدى واسع ومتنوع في تفسير ما إذا كان هذان الحدثان على علاقة ببعضهما البعض، فمن ناحية يرجع البعض الفضل للرهبان الكلونيين في تطوير موقف عنيف ضد الكفار(أهل الإسلام)، مبدعين بذلك روحًا حربية ضرورية، ومن ثم يمكن تبريرها باسم الله، ويعتبر البعض الآخر هذه الروح العسكرية غريبة جدًا على الروحانية الكلونية، ويبحثون عن أصولها في أماكن أخرى، وكلا الطرفين يفكر من داخل وخارج المسيحية نفسها(٢٥).فالذين يؤمنون بأن فكرة الحرب المقدسة قد نشأت في المسيحية يجدون البذور الأولى لتطور موقف أكثر حرية وتجانسًا وهو موجود أصلاً في زمان الأباطرة المسيحيين الأوائل، أما من يبحثون عن أصل الحرب المقدسة خارج المسيحية، فإنهم يرجعون تطورها كليًّا إلى

الإسلام،ففي ظل الضغط العسكري الإسلامي، نضجت في المسيحية فكرة الحروب الصليبية.

وبالنسبة لهؤلاء يعد المفهوم الإسلامي للحرب المقدسة(الجهاد) وما يترتب عليه من هجوم على الأماكن المقدسة، هو ما أجبر المسيحية، بخلاف روحانيتها التقليدية، أن تجيب بالمثل، إما كما يرى البعض دفاعًا عن النفس، أو كما في بعض التفسيرات الأخرى في شكل حماية عنيفة لحرمات الله ومصالح المسيحية على الأرض ضد الخطر الإسلامي[٢٦].

وهكذا فإننا نواجه مجموعة من الآراء المتضاربة كلّيا، لذلك فإننا لن نحاول تقديم حل حاسم يرضي جميع الأطراف، لكن مع ذلك فإن الموضوع الذي اخترناه يستحق اهتمامًا خاصًّا، إذْ إنه يركز على أكثر الجوانب أهمية في الحياة الروحية والثقافية في شبه الجزيرة الإيبيرية، ودورها كرابط بين الإسلام والغرب المسيحي[٢٧]. ففكرة أن حرب الاستعادة الأسبانية كانت حربًا صليبية وحربًا مقدسة ضد الإسلام وأنها عملت كقاعدة للمسيحيين الأسبان كأمة، فكرة غير متوافقة مع الفكرة القائلة بأنه في الوقت نفسه بوجود رغبة مشروطة في شبه الجزيرة لامتصاص ونقل الثقافة والمعرفة الإسلامية حتى خلال القرون التي كان فيها الإسلام لا يزال عدوًّا رهيبًا. فقبول الرأيين مسألة يجب أن تكون موضع مُساءلة، لكن مع ذلك فإن هذه المسألة أمر شائع بين الباحثين اليوم[٢٨].لقد سبق لنا معالجة تأسيس الديرية البندكتية وتطورها حتى في **إيرلندا** ووصلنا إلى نتيجة مفادها أن الدفاع عن الجامعة المسيحية كانت فكرة ضرورية لقيام حربًا مقدسة، بالقدر الذي كانت كل الحروب تتحقق على أساس هذا الغرض لتصبح حربًا مسيحية عادلة، ويكون التحالف مع العدو عبارة عن مواجهة مباشرة مع الدين المسيحي والكرسي الرسولي البابوي في روما نفسها[٢٩]. ويمكن اعتبار الإصلاح الكلوني لمفهوم تحالف الكنيسة مع الإمبراطور بوصفه أحد الركائز المساعدة لكي يتبنى المركزية القوية التي

كان يمارسها **بندكت الأنياني** قبل قرون[٣٠]وباتباع عالم المسيحية الكارولنجي(الفرنسي) من حيث المبدأ، وإن كان يختلف فقط في اعترافه بالبابا، بدلا من الإمبراطور بوصفه السلطة العليا، ويجمع الكتاب الغربيون بين حادثين أساسيين في المخيال الصليبي وهما قيام الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله عام **٤٠٠هـ/١٠٠٩م** بهدم أحد الأضرحة المقدسة عند المسيحيين واقتلاع الكاتدرائية نفسها من أساسها، والحادثة الثانية تتمثل في هدم كنيسة **ألبيرة** من أساسها، فقد أورد **ابن الصيرفي** مؤرخ المرابطين[٣١] أن **يوسف بن تاشفين** أمر بهدم كنيسة **ألبيرة** يوم الاثنين نهاية شهر جمادى الثانية عام **٤٩٢هـ/٢٣ مايو ١٠٩٨م—١٠٩٩م**. بعد أن استفتى الفقهاء في ذلك حتى**"غدت قاعًا صفصفًا"**، كما تضمنت أحكام **ابن سهل(ت.٤٨٦هـ/١٠٩٣م)**[٣٢] فتوى تبيح هدم الكنائس وعدم السماح بإنشاء كنائس جديدة في مدن المسلمين، لأن الفقهاء اعتبروا أراضي الأندلس التي أقام فيها المسيحيون أراضي عنوية، ولذلك لم يسمحوا لهم ببنيانها حسب مقتضيات المذهب المالكي؛فقد عاصر المرابطون **القديس هيجو**(١٠٤٩-١١٠٩) الذي جعل للإصلاح الكولوني أهميته في حرب الاستعادة، حيث إنَّ عجم الأندلس عاشوا في شبه جزيرة إيبيريا تحت الحكم الإسلامي غرباء عن الجامعة المسيحية، وغرباء عن المفهوم الإمبراطوري للجامعة المسيحية عامة، ولقد أدت قرون من السيطرة الكولونية إلى حركة معاكسة لهذه العزلة، فقد ترك الغزاة الرهبان الكولونيين الفرنسيين بصماتهم الخاصة على الحساسيات الدينية في المناطق الأسبانية[٣٣].ورغم عدم التزام **ابن الحاج الشهيد** بفتوى **ابن سهل** وأباح لهم استحداث الكنائس حتى في أرض توات من صحراء المغرب الأوسط في عهد المرابطين[٣٤]، مما يدعو إلى مراجعة الدعايات الصليبية التي تصف المرابطين بالتعصب الديني كما سلف أن أشرنا إلى هذا

أعلاه[٣٥]، هذه الوقائع التاريخية ضخمتها الدعاية الغربية الخاصة بنصارى الأندلس المحاربين الذين يعرفون في الغرب الإسلامي بعجم الأندلس[٣٦].

لقد شكلت التجاوزات التي قام بها المستعربون ذريعة قائمة لاتخاذ تدابير متشددة معهم أيام المرابطين في مراحل استثنائية، لأن التسامح الذي عرفوه في ظل حكم المرابطين رغم بعض المضايقات التي تعرضوا لها بسبب الوضعية الاقتصادية التي عرفتها الدولة في بعض الفترات التاريخية، كما أن الحروب الصليبية التي بلغت ذروتها في تلك الحقبة، جعلت بعض الفقهاء يستغلونها ذريعة لاتخاذ مواقف متشددة. وحسبنا أن هدم كنيسة **ألبيرة** وقع في السنة نفسها التي استولى فيها الصليبيون على **بيت المقدس**، كما اتضح أن المسيحيين المكلفين بجمع الضرائب كانوا يرغمون الرجال على إفراغ بيوتهم ليختلوا بنسائهم للزنا معهن كرها كما ذهب إلى ذلك **النويري** في نص فريد[٣٧].كما لا يخفى أن بعض عناصر الكتائب المسيحية كانت تضمر الغدر وتتربص الدوائر بالمرابطين، ولا غرو فإنها كشفت عن خيانتها إبان الحصار الموحدي لعاصمة الدولة **مراكش**[٣٨]وتتضح خيانة نصارى **إشبيلية** من خلال تواطئهم مع سيف الدولة آخر ملوك **سرقسطة البيضاء**، وهو آنذاك حليف **ألفونسو المحارب** أشد أعداء المرابطين وصاحب الكائنة المؤلمة في **غرناطة** وشرق الأندلس، حتى أن الباحث **خوسي ألماني** اعتبر هذه المعطيات كافية لتحديد علاقات المرابطين بالمستعربين، بينما اعتبرها البعض إجراءً عادلاً لنقضهم العهود ومواثيق الذمة وهذا باتصالهم بالعدو[٣٩]،"ولم يصل **"الاضطهاد"** المرابطي إلى مستوى الأعمال اللاَّ إنسانية التي قام بها **السيد القومبيطور** وهذا من خلال إحراقه للمسلمين أحياء بعد تغلبه على **بلنسية** سنة ٤٨٨هـ/**١٠٩٥م** إذْ أحرق **أبا جعفر أحمد عبد المولى**، قبل أن تمتد يده الطائشة إلى قاضيها **ابن جحاف**، بل لم يتورع عن تعليق جثث المسلمين في صوامع الأرباض وبواسق الأشجار[٤٠]، وعلى

عكس الصورة القاتمة التي ميزت الممالك النصرانية، ظهر التسامح في الدولة المرابطية، وهو ما أحرج بعض الكتابات الأجنبية المنصفة[٤١]وأحرجت كثيرًا الكتاب الغربيين فوصفت **عليا بن يوسف"بصديق المسيحيين"**[٤٢]

ولا غرو فقد حمل اسمه ثوب القداس الذي كان يرتديه **القديس خوان دي أورتيغا** الذي ما يزال محفوظًا بكنيسة **كينتانا أورتسونيو** في مدينة **برغش**[٤٣]، و لم يجد أحد المتخصصين في التاريخ الديني للغرب الإسلامي مناصًا الاعتراف بهذه الحقيقة[٤٤].ومهما قيل عن تعصب **يوسف بن تاشفين** فإنه لم يضمر أي حقد على المسيحيين.وحسبنا كما ذهب إلى ذلك أحدهم[٤٥] أنه قرَّبهم إليه، ووضع ثقته الكاملة فيهم منذ استخدامهم كحرس خاص، وفي الآن ذاته تحمل مسؤولياته في محاربة الدول المسيحية التي اتبعت سياسة عدائية ضد الوجود المرابطي في الحوض الغربي للبحر المتوسط[٤٦].

لقد صنع الباباوات ورؤساء الإصلاح الكولوني عن طريق فترة حرب الاستعادة الأسبانية عصر بطولة دينية[٤٧].إلا أن ما يثير انتباه الباحث في العلاقات المتوترة دومًا والمتساكنة أحيانًا بين الإسلام وأوروبا المسيحية هو قدرة الثقافة على تجاوز العوائق العقدية والنفسية، وعلى خلخلة بعض أجهزة الرقابة الدينية والسياسية والمقاومات الأخرى.

والمثير أن الفكرة الصليبية لن تنته بطرد ملوك الإمارات اللاتينية وجيوشها من الشرق،بل استمرت في الغرب الإسلامي أيام المرابطين والموحدين، وعملت اللُّغات الأوروبية المختلفة على إدخالها في قواميسها للتدليل على مختلف أشكال التعبير عن إرادة القوة الأوروبية المختلفة في العلم والفكر.

مع ما هو مؤكد من انغلاق اليهود وحقدهم على الأمم الأخرى نصارى ومسلمين، فإن العصر قد عرف تقلبات سياسية خطيرة انعكست على الـــوضع

الاجتماعي والاقتصادي لليهود في الأندلس و**مملكة قشتالة**[٤٨].ويعترف **السموأل** صاحب كتاب "**إفحام اليهود**" أن الأمم السابقة كان قصدهم استئصال شأفة اليهود وبالغوا في إحراق كتبهم ومصادرة أموالهم، إلا المسلمين.

عاصر **السموأل** إعادة تنفيذ قانون لويس الحادي عشر، الصادر في **٥٣١هـ**/**١١٣٦م** بإلزام اليهود بوضع شارة على أكتافهم لتميزهم، واعترف اليهود في مناظرات تاريخية بالمشرق والغرب ما يكنونه من كراهية وحقد للأمم الأخرى من غير اليهود[٤٩].

ويمكن أن نذهب أبعد مما ذكرنا فنقول:أنَّ المحافظة على العقيدة وحماية البيضة بالأندلس بأقصى الغرب الإسلامي لم يمنع المرابطين والموحدين من بعدهم من تحقيق الأمن للجاليات المسيحية ولأهل الذمة عامة.رغم الظروف الخاصة التي عرفتها الجالية اليهودية في زمن الموحدين وهي استثناء وليست قاعدة، وقد تبوأ اليهود مكانة كبرى في عصرهم مما ينفي أي تعصب، بل هي إجراءات دولة تبحث عن حماية نفسها بعد اختراق اليهود للمجتمع دون أن يلتزموا بأحكام غير المسلمين في دار الإسلام.كما أن اليهود باعتراف أهل الاختصاص ناهضوا الدولة الموحدية وعقيدتها لأسباب فكرية، وهو ما تثبته رسالة ابن ميمون في عصرهم حيث كتب "**مقالة في صناعة المنطق**" سنة **٥٤٦هـ**/**١١٥١م**، وكان عمره آنذاك سبعة عشرة سنة بالتقريب ليرد على الدعوة الموحدية، وتكون مقالته هذه مدخلا لكتابه الكبير **دلالة الحيارى،** الذي ألفه بالعربية ثم بالعبرية لما انتقل إلى القاهرة وخدم في دولة إسلامية أخرى بالشرق فأصبح رئيس الجالية اليهودية بمصر كما هو مفسر في المدونات التاريخية، فأين له بهذه المكانة إذا كان من المضطهدين في دار الإسلام؟[٥٠].

ومن الواضح أن المحافظة على العقيدة والجهاد باعتبارهما حقوقًا لله تعالى تدخل ضمن اختصاص ولاة الأمور، مثل جمع الزكاة والأنفال، وإذا كان من واجب أمراء المسلمين بالمغرب والأندلس أيام دولة المرابطين والموحدين تعطيهم حق حماية العقيدة والدولة بالغرب الإسلامي، فليس معناه أن يكون لهم رقابة وسيطرة على ضمائر الناس، بل الأمراء كما تذهب إلى ذلك الشريعة الإسلامية يلتزمون فقط بتتريل أحكام الشريعة والمبادئ الأساسية التي أقرها الإجماع بواسطة مجتهدي الأمة، فليس من حق أمير المسلمين أن يتخذ محاكم تفتيش ضد من يعتبرهم من الملحدين، فلا وجود لمحاكم تفتيش على ضمائر الناس بما فيهم أهل الذمة من مواطني الدولة الإسلامية، دون إخلال بالنظام العام، كما يجب أن نفرق بين الحرب الهجومية التي تعلن ضد غير المسلمين الذين يرفضون الاعتراف للمسلمين بحرية الدعوة إلى الإسلام بعد دعوتهم لذلك، والحرب الدفاعية التي تهدف إلى صد كيدهم وعدوانهم(٥١).

وخلاصة القول أن الغرب اللاتيني، بعد اندحاره في الشرق الإسلامي دخل في "**صليبية جديدة**" من نوع آخر، اتخذ من **العلم والمعرفة رهانه الأكبر** لاقتباس أسباب الرقي الحضاري، في نفس الوقت الذي نقل فيه مجال المواجهة من البحر المتوسط وفتح لذاته أفاقًا جديدة في اتجاه الغرب الأطلسي.

لقد حصلت عملية انتقال الأفكار من الإسلام إلى أوروبا اللاتينية في وقت دخلت فيه دولة الإسلام في إيقاع تراجعي ارتكاسي(٥٢) وشرعت أوروبا في أكبر عملية إعادة بناء لهويتها الحضارية الجديدة، والقول باقتباس أسباب الرقي العربي الإسلامي من طرف أوروبا عن طريق مسارب شتى-(مدارس، رابطات دينية وعلمية، تجار، طلبة علم، ولب العملية اليهود والمستعربون)-لا يعني البتة أن العامل الخارجي أو جدلية العلاقة بين العالم العربي الإسلامي والغرب اللاتيني هو الذي حدد بشكل حاسم التوجهات الكبرى التي ستفضي إلى إقامة المشروع الأوروبي

الجديد، فالتحولات الداخلية الكبرى هي التي أعطت لهذا المشروع زخمه المناسب ومقوماته الأساسية(٥٣) وقد تكون الكراهية مولدة للحضارة، وأن التقدم ينجزه من يعبر عن قدرة خاصة على تصريف كراهيته للآخرين كما عبر "**فرناند برودويل**"لأن الأبعاد العدائية لمتخيل جمعي قد يكون وراء تحريك إرادة خاصة للقوة لامتلاك أسباب القوة حتى ولو جاءت من الخصم ذاته، لهذا انطلق الغرب في تجربته محددًا صورته النمطية للإسلام التي سار بها الاستشراف–في القرن التاسع عشر–مسيرة طويلة لاتزال آثارها واضحة إلى اليوم في العلاقات بين الشرق والغرب(٥٤).

وما يطرحه الغرب الأمريكي اليوم من مفاهيم ومغالطات حول نهاية التاريخ وصدام الحضارات هو نهاية اللقاء التاريخي الذي أسسه مجتمع الإسلام في تاريخه الطويل ونموذج الأندلس وحتى السلطنة العثمانية حول الأقليات والتعايش السلمي صورة راقية لم يبلغها النموذج الأوروبي ولا النموذج الأمريكي(٥٥).

لهذا فإن حماية ثقافتنا من الزوال هي في إبراز تسامحها مع الآخر حتى في أشد اللحظات الحاسمة التي نرى فيها عدوانية الآخر.وهذا ليس معناه أن نترك حياضنا توردها جميع أمراض الكون ولا نتحرك وقديمًا قال أسلافنا من استفز و لم يرد فهو جبان، ومصير الجبناء الموت بين الحفر، مع لعنة التاريخ والجغرافيا.

الإحالات والهوامش

[*]–ورقة شارك بها الباحث في ملتقى كلية الشريعة، جامعة جرش المملكة الأردنية الهاشمية ٢٩–٣٠ نوفمبر ٢٠٠٤م.

(١)– محمد عبد الله عنان، **دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي** القاهرة، مطبعة لجنة التأليف، ١٩٦٠م.ص:٤٠٧.

(٢)– حسن أحمد محمود، **قيام دولة المرابطين**، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٧م.ص:٤٤٤.

(٣)–جودت مدلج، **الحب في الأندلس ظاهرة إجتماعية بجذور مشرقية**، الطبعة الأول دار لسان العرب بيروت ١٩٨٥م.ص:١٠٧.

(٤) – مسعود كواتي، **اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين**، الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م. ص: ٣٠٧.(الملحق رقم :٨.).د.إبراهيم القادري بوتشيش، **مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين**، بيروت، دار الطليعة، ١٩٩٨م.ص:١٠٨.

(٥)–عبد العزيز بنعبد الله، **الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية"معلمة الصحراء"**الرباط،١٩٧٦م.ص:١٢١.نقلا عن الحبيب الجنحاني، **الحياة الاقتصادية والاجتماعية في سجلماسة عاصمة بني مدرار**،ص:١٥٩.

(٦)–انظر:

David Gonzalo Maeso,Los Arabes Maestros de los Judios en la espana medieval (Ensayos sobre la filosofia en al- Andalus Una Aproximacion Ensayos Sobre la Filosofia en Al-Andalus, Autores Textos Y Temas Filosofia,Coleccion Dirigida Por Jaume Mascaro n° 29, Anthropos Edotoral del hombre , Printed in Spain 1990.) PP:166-177.Zafarani(Haim)Pédagogie

juive en terre d'Islam, (l'enseignement traditionnel de l'Hebreu et du judaisme au Maroc) Paris, librairie d'Amérique et d'Orient Adrien Maisonneuve,1969.P:24. Goitein,S.D, Mediterranean society.III;P:439.

(٧)– عبد الوهاب محمد المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية(نموذج تفسيري جديد)، المجلد الرابع،** بيروت،دار الشروق، ١٩٩٩م.ص:٢٤٧. أوليفيا ريمي كونستبل، **التجارة والتجار في الأندلس،** ترجمة فيصل عبد الله الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م. ص:١٥٥.

(٨)– المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية،**ص:٢٤٧.كواتي مسعود، **اليهود في المغرب الإسلامي،** ص:٢٩٥.

D.G.Maeso,Los Arabes,Maestros de los Judios en la espana medieval ,P:166 .Alvarez,yBenito, y Plaza, Guia del toledo judio, Alvarez(Ana Maria lopez)Ricardo Izquierdo Benito, Santiago Palomero, Guia del Toledo Judio, Fotografias Antonio Parejay Carlos Villasante, Espana 1990. P:27.

(٩)– ابن عذاري المراكشي(كان حيا سنة ٧١٢هـ)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،(البيان المرابطي) الجزء الرابع** تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة،١٩٨٠م.ص:٧٧.عصمت عبد اللطيف دندش، **زيارة الأندلسيين لبلاط المرابطين بمراكش(أضواء جديدة على المرابطين)،** بيروت، دار الغرب الإسلامي،١٩٩١م.ص :١١١.

(١٠)– ابن عذاري، **البيان المرابطي،** ص:٧٦.

(١١)–ليفي بروفنسال، **ملاحظات عن أسماء المواقع الإسبانية المغربية(أسماء البوّابات:باب الشريعة، والشريعة في مدن المغرب الإسلامي في العصور الوسطى (الإسلام في المغرب والأندلس)،** ترجمة الدكتور السيد محمود عبد العزيز سالم والأستاذ محمد صلاح الدين حلمي، مراجعة الدكتور لطفي عبد البديع، الفجالة، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر (دون تاريخ).ص:٦٥.

(١٢)– ابن عذاري، **البيان المرابطي،** ص:٧٦–٧٧.سلامة محمد سلمان الهرفي، **دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين، (دراسة سياسية وحضارية)** بيروت

دار الندوة الجديدة،١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.ص :٨٢. رينهارت دوزي، **ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام**، ترجمة كامل كيلاني، القاهرة، ١٩٣٣م. ص :٤١. أحمد شحلان، **تأثير الآداب العربية في الآداب العبرية**،(دراسات مغربية مهداة إلى المفكر المغربي محمد عزيز الحبَّابي)، ص:٢٢٤.

(١٣)- ***H.Graetz, Les Juifs d'Espagne (***٩٤٥-١٢٠٥***)Traduit de l'allemand par Georges Stenne, Paris,Levy fréres éditeurs,***١٨٧٢.***P :***١٩١-١٩٢.

سعدون عباس نصر الله، **دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين**، بيروت، دار النهضة العربية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.ص:١٧٧. الدمنهوري الشيخ أحمد عبد الرحمن (١١٥١هـ/تـ١٧٣٩م)، **إقامة الحجة الباهرة على هدم كنائس مصر والقاهرة**، عنى بنشره موسى برلمان، الولايات المتحدة الأمريكية، مطبوعات جامعة كاليفورنيا، ١٩٧٥م.ص :٢٥.

(١٤)-فيليب حتي، **تاريخ العرب**، ترجمة مبروك نافع، الطبعة الثالثة، ص:٧٠٤.كارل بروكلمان، **تاريخ الشعوب الإسلامية**،نقله إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، مارس ١٩٩٣م.ط.١٢.ص:٣٢٢-٣٢٣.محمد الأمين بلغيث، **الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين، المجلد الثاني**، أطروحة دكتوراه الدولة مخطوطة، إشراف أ.د.عبد الحميد حاجيات، قسم التاريخ، جامعة الجزائر ٢٠٠٢-٢٠٠٣م.ص:٥٦٧.

(١٥)- كواتي، **اليهود في المغرب الإسلامي**، ص :٢٢٤.إبراهيم محمود زعرور، علي سليمان أحمد، **اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى**، دمشق دار المستقبل، ١٩٩٩م.ص :١٦٩.انظر أيضًا مكانة أعلام اليهود الذين تكونوا في ظل الدولة المرابطية ونقلوا الفكر الإسلامي إلى الغرب المسيحي:

Carlos del Valle ; Carta de Juda HA-Levi en Nombre de R.Yosef Ibn Megas a los sabios de Narbona (siglo XII) Madrid, Boletin de la Asociacion Espanola de Orientalistas (B.A.E.O) ANO XXVI-

1990.PP :233-240.Van Koningsveld, la apologia de Al-Kindi en la Espana del siglo XII, P: 117. Lomobard(Maurice), L'Islam dans sa première grandeur (préface de hichem Djait, Paris Flammarion,1971.P:167.

الفيومي(محمد إبراهيم)، **تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس**،بيروت، دار الجيل، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.ص :١٣٢.

(١٦)- لومبار(مورس)، **الإسلام في مجده الأول**، القرن ٨-١١م/ ٢-٥هـ، ترجمة وتعليق إسماعيل، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، **١٩٧٩**م.ص:**١١٩**.

(١٧)- إبراهيم القادري بوتشيش،**بعض الجاليات المتوسطية في المغرب العربي خلال عصر الموحدين(صورة من صور التعايش السلمي بين الشعوب المتوسطية)** الكراسات التونسية العددان **١٥٥-**١٥٦.فصل الثلاثة أشهر الأولى، والثانية لسنة **١٩٩١**م.ص ص :**٩٥-**١٢١. إبراهيم القادري بوتشيش، **المرابطون وسياسة التسامح مع نصارى الأندلس، نموذج من العطاء الحضاري الأندلسي** (مجلة دراسات أندلسية)العدد :**١١**،تونس **١٩٩٤**م. إبراهيم القادري بوتشيش، **الجاليات المسيحية بالمغرب الإسلامي خلال عصر الموحدين،** (مجلة الاجتهاد) العدد الثامن والعشرون،السنة السابعة،بيروت،صيف العام **١٤١٦هـ/١٩٩٥**م.ص ص :٧٧-١٠٧.خوسي أليماني، **الكتائب المسيحية في خدمة الملوك المغاربة**،ترجمة أحمد مدينة (**مجلة دعوة الحق**)، العدد الخامس، المغرب الأقصى ١٩٧٨م.الصديق بن العربي، **طوائف وشخصيات مسيحية بالمغرب** (مجلة تطوان)، العدد رقم :**١**.المغرب الأقصى **١٩٥٦**.ص:**١٥٤**.مجهول، **كتاب الاستبصار**،ص :٢٠٢. فيليب فارج، يوسف كرباج، **المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي**، ترجمة، بشيرالسباعي، القاهرة، سينا للنشر،**١٩٩٤**م.ص:٦٠.

(١٨)- ***Defourneaux(M), Les Français en Espagne aux XI^{e} et XII^{e} siècles , Paris, Presses Universitaires de France .١٩٤٩.,P : ٤٧.***

(١٩)- كلود كاهن، **العلاقات بين الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية**، ترجمة أحمد الشيخ،القاهرة، سينا للنشر،١٩٩٥م.ص:٧٠.محمد نور الدين أفاية، **الغرب المتخيَّل(صور الآخر في الفكر العربي الإسلامي الوسيط)**،الدار البيضاء، بيروت المركز الثقافي العربي،٢٠٠٠م.ص:١٣٣.

(٢٠)-قاسم عبده قاسم، **ماهية الحروب الصليبية**، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٠م.رقم :١٤٩.ص :٥٨.

(٢١)- شمس الدين الكيلاني، **الحروب الصليبية والوضع على طرفي المجابهة التاريخية**(مجلة الاجتهاد) العدد الثاني والعشرون، السنة السابعة، بيروت، صيف ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.ص :٥٧.

(٢٢)- قاسم عبده قاسم، **الخلفية الإيديولوجية للحروب الصليبية،دراسة عن الحملة الأولى**،(١٠٩٥-١٠٩٩م)، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٣م.ص:٦٠. محمد نور الدين أفاية، **الغرب المتخيل(صور الآخر في الفكر العربي الإسلامي الوسيط)**، ص:١٥٩.

(٢٣)- أمبرسيو ويسي ميراندا، **وقعة أقليش ومصرع الأمير ضون شانجة** (مجلة تطوان للدراسات المغربية الأندلسية،العدد رقم:١٢. تطوان ١٩٥٧م.ص:١١٥ وما بعدها.حسين مؤنس، **الثغر الأعلى الأندلسي**،ص:١١٨.

(٢٤)- لطفي عبد البديع، **الإسلام في أسبانيا**، ص ص:١٠٣-١٠٤. البشري، **الدور الفرنسي في الحروب الصليبية ضد مسلمي الأندلس**، ص:١٩٢. البشري، **جماعات الفرسان الدينية الإسبانية وحروبها مع المسلمين في الأندلس**، ص:١٩٠وما بعدها. بلغيث، **الـــرُّبُطُ بالمغرب الإسلامي**، ص:٣٥٠.عبد العزيز بنعبد الله، **معلمة الفقه المالكي**، بيروت، دار الغرب الإسلامي،١٩٨٨م.ص:٤٧.حسين مؤنس، **الثغر الأعلى الأندلسي**، ص:١١٩.

PhilippeWolff,Guerre et paix entre pays de langue d'Oc et occident musulman(essai)(Islam et Chrétiens du Midi XII^{e}-XIV^{e}S) Cahiers de Fanjeaux N°18. Edouard Privat,Editeur,Toulouse, P:33.

(٢٥)- فيسنت كانتارينو، **حرب الاستعادة الأسبانية، هل هي حرب كولونية مقدسة ضد الإسلام؟** ترجمة، أبو بكر باقادر (مجلة الاجتهاد)العدد التاسع والعشرون، السنة السابعة بيروت خريف ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.ص: ٦٠.كلود كاهن، **العلاقات بين الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية**،ص:٧٠.الكيلاني، **الحروب الصليبية**،ص:٥٧. محمد نور الدين أفاية، **الغرب المتخيَّل**،ص:١٦٠.

(٢٦)- فيسنت كانتارينو، **حرب الاستعادة الإسبانية**، ص:٦١. أفاية، **الغرب المتخيَّل**،ص:١٧٠.

(٢٧)- رامون مننديث بيدال، **إسبانيا حلقة اتصال بين المسيحية والإسلام**،ص:١٣.

(٢٨)- فيسنت كانتارينو، **حرب الاستعادة الإسبانية**، ص:٦١.

(٢٩)- محمد الأمين بلغيث، **الرُّبُطُ بالمغرب الإسلامي**، ص:٣٣٤ وما بعدها. محمد الأمين بلغيث، **الرباط والمرابطة ونظام الديرية المسيحية(دراسة مقارنة)، الجزائر، حولية المؤرخ**، يصدرها إتحاد المؤرخين الجزائريين، العدد الثاني، ٢٠٠٢م.ص:٧٨.

(٣٠)- فيسنت كانتارينو، **حرب الاستعادة الإسبانية**، ص:٦٨.

(٣١)-ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، الجزء الأول، ص ص:١١٣-١١٤. عنان، **عصر المرابطين والموحدين**، ص:١٠٧.بوتشيش، **مباحث في التاريخ الاجتماعي**، ص:٨٢.عباس نصر الله، **دولة المرابطين** ، ص:١٧٧.

Lagardère, V,«Communautés Mozarabes et pouvoir Almoravides en 519 » Studia Islamica ; Tome LXVII, Paris1988., P;105.

(٣٢)-راجع:المسألة "**في منع أهل الذمة إحداث الكنائس**"، أو علو سور النصارى عن أسوار المسلمين ابن سهل:**ديوان الأحكام الكبرى الجزء الثاني**، ص:١١٧٣.المازوني، **الدُّرَرُ المكنونة،القسم الأول**، ١٩٦ظهر.محمد الأمين بلغيث،

دروس في السياسة الشرعية(دراسة ونصوص)، الجزائر، منشورات بغدادي،١٩٩٩م.

(٣٣)- الشيخ أحمد عبد الرحمن الدمنهوري (١١٥١هـ/تـ١٧٣٩م) :**إقامة الحجة الباهرة على هدم كنائس مصر والقاهرة**، ص :٢٩. فيسنت كانتارينو، **حرب الاستعادة الأسبانية، هل هي حرب كولونية مقدسة ضد الإسلام؟**ص:٦٨-٦٩.

(٣٤)- البرزلي، **الحاوي، الجزء الأول**، ص :٢٠٧ وجه.الونشريسي، **المعيار المعرب، الجزء الثاني**، ص :٢١٥.عبد الرحمن بشير، **اليهود في المغرب العربي(٢٢-٤٦٢هـ/٦٤٢-١٠٧٠م)**، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠١م.ص:٧٤ وما بعدها.

(٣٥)- مارغريتا لوبيز غوميز، **المستعربون :نقلة الحضارة الإسلامية في الأندلس**، الجزء الأول، ص :٢٧٥.

(٣٦)- عبد العزيز الأهواني، **ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة**، القاهرة، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الثالث، الجزء الثاني،ربيع الثاني ١٣٧٧هـ/نوفمبر ١٩٥٧م.ص:٢٩٧. بوتشيش، **مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس**، ص:٨٢.مارغريتا لوبيز غوميز، **المستعربون، الجزء الأول**،ص:٢٧٥ وما بعدها.

(٣٧)- النويري (أحمد بن عبد الوهاب المعروف بالنويري(٧٣٢هـ/١٣٣٢م)، **تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط**، (إفريقية والمغرب.الأندلس،صقلية وأقريطش (٢٧-٧١٩هـ/٦٤٧-١٣١٩م) من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب،(الجزء الثاني والعشرون) تحقيق وتعليق.مصطفى أبو ضيف أحمد،الدار البيضاء، دار النشر المغربية.(دت).ص:٤٠٠.

(٣٨)-مجهول، **الحلل الموشية**، ص:١٣٨.

(٣٩)-خوسي ألماني، **الكتائب المسيحية،** ص:٣٦.محمد عبد الله عنان، **عصر المرابطين والموحدين**، وهو العصر الثالث، من كتاب دولة الإسلام في الأندلس، القسم الأول، عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف،١٩٦٤م.ص:١٠٧.

(٤٠)-ابن عذاري، **البيان المرابطي**، ص:٣٩.

(٤١)- مارغريتا لوبيز غوميز، **المستعربون :نقلة الحضارة الإسلامية في الأندلس،** (**الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**) الجزء الأول، ص :٢٧٥. بوتشيش، **مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس**،ص:٨٧.

Mensage(J),Le christianisme en Afrique, Eglise, Mozarabes, Esclaves Chrétiens, Alger,1915. P:15.

(٤٢)- بوتشيش، **مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس**، ص:٨٧.

(٤٣)-ليو بولدو توريس بالباس، **الفن المرابطي الموحدي**، ترجمة السيد عبد العزيز سالم، الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٧٦م.ص:٦٢.عبد الرحمن بشير، **اليهود في المغرب العربي**، ص:٥٣.

(٤٤)- ***Bel(A), «Coup d'Oeil sur l'Islam en Berberie » Extrait de la revue des religions, Paris Janvier Fevrier.P:٧٠.***

(٤٥)- بوتشيش، **مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس**، ص:٨٧.

(٤٦)- نفسه، ص:٨٧.

(٤٧)- فيسنت كانتارينو، **حرب الاستعادة الأسبانية، هل هي حرب كولونية مقدسة ضد الإسلام؟** ص:٧٥.محمد نور الدين أفاية، **الغرب المتخيل(صور الآخر في الفكر العربي الإسلامي الوسيط)**، ص:٢٥٠–٢٥١.دندش، **الأندلس،** ص:٢٥٤–٢٥٧.السامرائي، **علاقات المرابطين بالممالك النصرانية بالأندلس،** ص:٣٠٤–٣٠٨.

(٤٨)- ***Graetz, Les Juifs d'Espagne, P : ٢٩١.***

(٤٩)- السموأل(تـ٥٧٠هـ/١١٧٤م)، **إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل ورؤياه النبي –**صلى الله عليه وسلم –، تقديم وتحقيق وتعليق، د.محمد عبد الله الشرقاوي،القاهرة، دار الهداية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.ص :٢٦.

(٥٠)-انظر بالتفصيل، كارل بروكلمان، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، ص:٣٢٣.

dominique Urvoy, Pensers d'Al-Andalus(la vie intellectuelle à Cordoue et Seville au temps des empires Berberes(fin XI^e siecle-debut XIII^e siecle)Paris, France les éditions du CNRS et presses universitaires du Mirail(Toulouse). ١٩٩٠.P: ١٣٢.

(٥١)-عبد الرزاق أحمد السنهوري، **فقه الخلافة وتطورها لتصبح عصبة أمم شرقية**، تحقيق توفيق الشاوي، نادية عبد الرزاق السنهوري، دمشق، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.ط.١.ص :١٦٦.

(٥٢)-انظر تقييم لعصر ابن خلدون وقراءة ناقدة لكتاب حميش، **الخلدونية**:بوتشيش، **أقواس مفتوحة حول كتاب" الخلدونية في ضوء فلسفة التاريخ، لسالم حميش(التراكم السلبي والعلم النافع(عن قراء ابن خلدون)**ص:٩٦–٩٧.

Marshall G.S.Hodgson, L'Islam dans l'histoire mondiale,textes réunis,traduits de l'américain et préfacés par Abdesselam Cheddadi, Paris, Sindbab actes Sud.Fevrier . ١٩٩٨.P: ١٠٤.

(٥٣)- محمد نور الدين أفاية، **الغرب المتخيَّل(صور الآخر في الفكر العربي الإسلامي الوسيط)**، ص:٣٠٤.

(٥٤)- نفسه، ص:٢٥١.

(٥٥)- إبراهيم القادري بوتشيش، **نهاية التاريخ أم بداية لحوار الحضارات**(كيف نواصل مشروع حوار الحضارات) الجزء الأول(حوار الحضارات–أسسه وقواعده)منشورات المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية

بدمشق،١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.ص ص:٢٢٧–٢٤٧.انظر صعود الغرب العدواني:د.محمد الأمين بلغيث، **السِّيَّـــادَةٌ في ظِلِّ مَعَالِم النِّظَام الدُّوَّلِي الجديد**، ورقة عمل قدمها الباحث إلى ملتقى **الشهيد حسين رويبح**، بجامعة جيجل (الجزائر) أيام /١٠-١١- ماي ٢٠٠٤م.ص:١–١٧.كافين رايلي، **الغرب والعالم(تاريخ الحضارة من خلال موضوعات) القسم الأول**، ترجمة: عبد الوهاب محمد المسيري، هدى عبد السميع حجازي، مراجعة فؤاد زكريا(كتاب عالم المعرفة) رقم:٩٠.الكويت رمضان ١٤٠٥هـ/يونيو(حزيران)١٩٨٥م.ص:٢٤٩ وما بعدها.

Marshall G.S.Hogdson, L'Islam dans l'histoire mondiale,P:223.
René Guenon, La crise du monde moderne , Paris ,Gallimard,1969,P:154.

ثانيا:

النظام الحربي في عهد المرابطين

مدخل عام

تكونت دولة المرابطين في الطرف الغربي الجنوبي من إفريقيا الغربية بداية من سنة **٤٢٩هـ/١٠٣٧م** و هي بداية التاريخ الكرونولوجي المؤسس لجيل المرابطين إلى غاية تأسيس عاصمة جديدة مراكش سنة **٤٦٢هـ/١٠٧٠م** حيث بدأت مرحلة ثانية من التوسع نحو الشمال للقضاء على دويلات الطوائف المغربية و وصلت في نهاية **٤٨٤هـ/١٠٩١م** إلى توحيد المنطقة الواقعة ما بين بجاية شرقا إلى ساحل المحيط غربًا ومن شمال جبال البرانس شمالا إلى جنوب غرب تمبوكتو و كومبي صالح جنوبًا وقد بلغت أقصى اتساعها في الجنوب الشرقي إلى شمال غرب تشاد قريبا من الحدود الليبية الحالية كما جاء في آخر الدراسات[1].

وكان قيام الدولة المرابطية في منطقة صحراوية هامة في العلاقات بين الصحراء الغربية والشمال الغربي للبحر الأبيض المتوسط وهي المرحلة الحساسة التي اشتد فيها الصراع على المواد الأولية المعدنية كالذهب والفضة وغيرها من النفائس وكذلك التنافس على الملح الطبيعي والمعدني وجميع أنواع النفائس المعروفة في إفريقيا الغربية.

والدعوة المرابطية دعوة قائمة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قام بها الداعية عبد الله بن ياسين مهدي المرابطين كما يلقبه القدماء حيث قامت هذه الدعوة في مرحلة التكوين بتكوين جماعة مؤمنة برسالة الفقيه المالكي سالف الذكر ويمكن تقسيم مرحلة التكوين إلى مرحلتين:

١.فترة التكوين المذهبي والعسكري في **مؤسسة الرباط** التي كونها الداعية المصلح ويمكن أن نحدد مرحلة التكوين المذهبي والعسكري في مدة زمنية ما بين سبعة إلى اثني عشر سنة، وهي مدة كانت كافية لتكوين ما يزيد عن ثلاثة آلاف مرابط تكوينًا مذهبيًا وعسكريا[٢].

٢.مرحلة تطبيق تعاليم **عبد الله بن ياسين**:بدأت هذه الفترة بخروج الملثمين من عزلتهم في أقصى الجنوب الغربي من موريطانيا الحالية وأصبحوا على حد تعبير أحد المؤرخين "**آلة حرب**"[٣].

وبدأت **آلة الحرب** عملها من خلال توحيد قبائل غمارة ونكور لتصل إلى طنجة وتوحيد المغرب الأقصى بعد القضاء على الشيعة البجلية وعلى دولة برغواطة في تامسنا إنهاء ممالك المغرب الأقصى، وبعد ذلك اتجهت القوات المرابطية شرقًا فتمكنت من السيطرة على تلمسان(**٤٧٣هـ/١٠٧٩م**) و وهران والجزائر العاصمة بل وصلت إلى حدود بجاية وفي هذه اللحظة توغل في المغرب الأوسط حتى بلغ وهران كما سلف وجبال ونشريس وعقب ذلك استسلمت القبائل الأخرى صفوًا دون أن يخوض في ذلك غزوة أو يتجشم فيه مشقة فخلا الجو للمرابطين للتفكير في فتح الأندلس التي تمت لهم بعد معركة الزلاقة الشهيرة في رجب **٤٧٩هـ/ماي ١٠٨٦م**[٤].

دولة المرابطين ومرحلة السقوط

لا توجد دولة في فضاء التاريخ الإسلامي قد لقيت من الإجحاف والنسيان كدولتي الأمويين والمرابطين لسبب بسيط ، هو أن الدولتين من ضحايا دول مذهبية قوية فالدولة العباسية التي أسقطت دولة الأمويين استطاعت طمس تاريخ بني أمية وكتبت تاريخهم كما يحلو للمؤرخ الرسمي العباسي، كما أن دولة المرابطين كانت ضحية لدعوة أعلنت الحرب النفسية على المرابطين فكفرتهم وحملتهم أوزار كل مآسي الغرب الإسلامي مع العلم وللحقيقة التاريخية أن أجيال المرابطين من عصبية

لمتونة و مسوفة وجدالة قد ضحوا بكل طاقاتهم البشرية من أجل حماية الأندلس وحدها التي كانت على وشك السقوط مبكرًا في يد دعاة الاسترداد المسيحي للمنطقة وقد قدر لهذه الدولة حماية الغرب الإسلامي طيلة خمسة قرون كاملة إلا أن المدرسة الإستشراقية التي صنعت تاريخ المنطقة قد وجدت المادة الأدبية الموحدية جاهزة لتشوه تاريخ المنطقة تشويهًا يصعب إصلاح ما أفسدته أيدي هؤلاء أمام الدعاية الموحدية القوية.

انتهت الدولة المرابطية بسقوط مراكش سنة ٥٤١هـ/١١٤٧م و لا يتحدث المؤرخون عن وكلائهم (بني غانية)على جزر البليار إلا في إطار الصراع داخل الدولة الموحدية.

جوانب من التاريخ العسكري المرابطي

قدر المؤرخون القوات المرابطية حين خروجهم من حوض نهر السنغال بحوالي ثلاثة آلاف مقاتل ، و أصبحوا بعد مدة تقدر قوتهم بثلاثين ألف جمل مسرج و روح الجهاد التي بثها الزعيم الروحي كانت شعلة قوية قادتهم إلى الانتصارات الكبرى التي ستجعل منهم جيلا محل تقدير من البعض ومحل نقد وجرح من أطراف مغرضة(٥).

و لتقدير الجهد الذي قامت به هذه الدولة سنحدد أهم الخصائص المميزة لتاريخهم العسكري ، فنذكر أهم معالمه.

كان الجيش المرابطي المحارب يتكون من فرق عسكرية متنوعة من زناتة ومصمودة والحشم من العبيد الذين اشتراهم يوسف بن تاشفين والقوى المسيحية التي استعانوا بها في القضاء على خصومهم في دواخل المغرب وحراسة الثغور الجبلية لمقدرة هؤلاء على الزحف كفن من فنون القتال التي يجهلها الملثمون الذين جبلوا على المبارزة والكر والفر في البسائط كما يقول العلامة **عبد الرحمن بن خلدون**.

أولا: الأسلحة

كان المرابطون محاربين بطبعهم ، فقد كان مقامهم بالصحراء قبل قيام دولتهم من شأنه أن يتمرسوا على جميع أنواع الأسلحة وفنون القتال ، وقد كان جوارهم للسودان الغربي الوثني من أهم العوامل التي عملت على استمرار الحرب بينهم و بين جيرانهم زمنًا طويلا ، حيث يذكر المؤرخون أن قوة الملثمين قد ظهرت منذ القرن الثالث الهجري حيث دانت لهم المنطقة بقيادة قبيلة لمتونة حيث كان ملكهم يركب في مائة ألف نجيب.

" من آلات المرابطين الحربية،الرماح الطويلة التي يحملها أصحاب الصفوف الأولى الأمامية ، الأطلس وهو خنجر معقوف يستخدم ضد الاصطدام المباشر ، كما حدث في معركة الزلاقة، حيث هجم غلام على ألفونسو الأول وطعنه بإطاس طعنة غير قاتلة ، وكان ألفونسو يظن أنه منجل ، مما يدل على أن الروم لم يعرفوا هذا النوع من السلاح و أنه من ابتكار البربر، ولعل أشهر ما نسب إلى المرابطين فيما يخص آلات الحرب ، هو الدرق اللمطية(٦) التي كانت تصنع في لمطة ، ولمطة إحدى قبائل الملثمين التي كانت تقطن بين مسوفة غربًا وترغة شرقًا وامتدت جنوبًا حتى نهر النيجر وفي مدينة نول لمطة الشهيرة تصنع الجلود و الدروق الحربية التي تجاوزت شهرتها المغرب(٧).

واستعمل المرابطون السيوف الهندية والمطارد ، وهي نوع من الرماح القصيرة التي كان يضرب بها المثل في جودتها ومناعتها.وقد اقتبس المرابطون كثيرًا من آلات القتال عند ملوك الطوائف و الأمويين والروم،كالرعادات والمنجنيقات، كما اتخذوا مخازن السلاح في قصورهم ومقر حكمهم، وصنعوا الدروع التي احتاجوا إليها في حروبهم ضد النصارى.

ثانيا: فنون القتال

كان الجيش يسير إلى المعركة تصحبه دواب محملة بالأقوات والخيام ، وتكون في المؤخرة ووراءها قطعان الماشية يقودها الرعيان و لم يكن أمراء وملوك الملثمين يجاهدون بأنفسهم و إنما كانوا" يقفون ويحرضون الناس ويقوون نفوسهم".

وكانت عساكر المرابطين تصطف في استعراض ضخم أمام أمير المسلمين ، كما فعل يوسف بن تاشفين الذي استعرض جيشًا من عشرين ألف مقاتل أمام حصن الرقة قبل الشروع في معركة الزلاقة بالأندلس(٨).وهي من التقاليد القتالية عند المرابطين عبر تاريخهم الطويل في ميدان الحروب وكانت القوة الأصلية للمرابطين تقوم على الفرسان في حروب الأندلس، وعلى الإبل في حروب الصحراء وكان قتالهم كما يصفهم البكري:"ولهم في قتالهم شدة وجلد ليس لغيرهم ، وهم يختارون الموت على الانهزام ولا يحفظ لهم فرار من زحف وهم يقاتلون على الخيل والنجب وأكثر قتالهم رجالة صفوفا بأيدي الصف الأول القنا الطوال للمداعسة والطعان وما يليه من الصفوف بأيديهم المزاريق يحمل الرجل الواحد منها عدة يزرقها فلا يكاد يخطئ ولايشوي ولهم رجل قد قدموه أمام الصف بيده الراية فهم يقفون ما وقفت منتصبة وإن أمالها إلى الأرض جلسوا جميعًا فكانوا أثبت من الهضاب ومن فرَّ أمامهم لم يتبعوه وهم يقتلون الكلاب لا يستصحبون منها شيئًا"(٩).

وكان يقف وراء العبيد صف من الرماة بدروعهم ويظلون واقفين، بينما يظل جنود الصف الأمامي واضعين ركبتهم اليسرى على الأرض في حالة استعداد، ووراء الصفين المذكورين الخيالة بسيوفهم ، فإذا بدأ القتال انطلقت مزاريق الصف الأول على الأعداء وتلتها سهام الرماة، ثم يفسح الخيالة لأنفسهم مجالاً بين الصفين ويتسارعون للهجوم على الأعداء(١٠).

ثم تطورت فنون القتال وطرق تنظيم الجيوش شيئا فشيئا ما بعد يوسف بن تاشفين ، وذلك في حروب الأندلس خاصة، حيث كانت فرق الحشم في الصف

الأمامي وفي الساقة جنود الأندلس، وفي الجناحين أهل الثغور، وفي القلب المرابطون يتوسطهم القائد العام للجيش وكان لكل فرقة من هؤلاء راية أو أكثر، فكانت رايات المرابطين مزخرفة بالآيات القرآنية الكريمة ورايات أهل الأندلس حمراء ذات صور، ورايات الحشم ملونة.

أما أمير المسلمين فكان يحتفظ بقوة احتياطية من صفوة الجيش وحرسه الخاص الذي كان يحتوي على أشجع الجنود وأبرعهم ،فإذا حصل ضعف في صفوف المسلمين المحاربين انقض الجندي الاحتياطي بقوة على الأعداء ، بعد أن يكون الإعياء قد بلغ مبلغه، فيستعين المرابطون على التغلب عليهم بالمفاجأة والهجوم القوي الخاطف، وعرف المرابطون حروب الكمين في أسبانيا لأن طبيعة البلاد ووعورتها تتناسب وهذا النوع من القتال.

"وفيما يخص سيرة الجيش المرابطي، فإن سلسلة الأحداث التاريخية كما ترويها المصادر المعتمدة عليها لحد الساعة لا تكاد تشير إلى أعمال منافية للتقاليد العسكرية الإسلامية ، بيد أن حادثة وقعت بالأندلس في عهد علي بن يوسف ،وكادت تتطور إلى عواقب خطيرة ،ذلك أن جنديا من جنود عامل قرطبة يحي بن داود أمسك بامرأة من المتفرجات في عيد الأضحى فاستنجدت بالمارين ، وتطورت الحادثة إلى حرب حقيقية بين الجنود والسكان ، وأشار الفقهاء –وعلى رأسهم ابن الحاج وابن رشد الجد– على العامل بقتل المسؤول على الحادثة فأغضبه ذلك وقام يهيئ لحرب لا يعرف مصيرها ، وتوبعت الحرب بين الفريقين حتى اضطر العامل إلى الاختفاء في قصره ، ثم الهرب منه، فأحرقه أهل قرطبة، كما نهبوا دور المرابطين، وأدى الأمر إلى تدخل علي بن يوسف الذي عبر إلى الأندلس سنة **٥١٥ هـ**/١١٢١م، وحاصر قرطبة حتى تدخل المصلحون بينه وبين السكان ، وتم الاتفاق على تغريم السكان ما نهبوه من المرابطين"وقلما نلمس في تاريخ المرابطين حوادث من هذا النوع ، فقد كان الولاة و القادة المرابطون يضربون المثل من أنفسهم في

التمسك بأهداب الفضيلة حتى لا يتركوا للجنود ، وبالتالي الرعايا، مجالا للتهاون في تطبيق حدود الشريعة" وهم بذلك يتأسون بمستشارهم الذي يعلم كبارهم وصغارهم ما حفظوه " **فبصلاح الرئيس يصلح الأنام، وبفساده يفسد النظام**"(١١).

ثالثا:التحيصنات العسكرية

لقد أسس النظام الحربي لنفسه مجالات ومؤسسات عبارة عن مراكز أمامية وقواعد خلفية لحماية الدولة وحفظ الأمن والدفاع عن النفس في حالة الهجوم الكاسح المفاجئ من الخصوم أو الثائرين على الدولة كما وقع مع الموحدين بزعامة المهدي بن تومرت وخليفته عبد المؤمن بن علي فقد كان منذ القديم يحسب للتحصينات الدور الكبير في حماية المحاصيل الزراعية (الميرة) والسلاح وربما حتى الماء اللازم في أوقات الحصار العصيبة حيث بدأ المرابطون في بناء الحصون قبل عهد يوسف بن تاشفين تحسبًا لأي خطر ، ثم توالت التحصينات العسكرية في جميع المراكز المنعزلة وعلى قمم الجبال وسفوحها ، حيث كان يرى القادة والحكام أن كل نقطة ارتكاز وكل مخزن يجب تحصينه.

ويجب أن نفصل بين التحصينات وغيرها من الأبراج وما يتصل بالدفاع عن المدن، فتسوير المدن أمر لم يعتده المرابطون حيث كان يردد يوسف بن تاشفين إنما أسوارنا سيوفنا وعدلنا".وكانت سنة **٥٢٠هـ/١١٢٦م** سنة تحصين وتقوية للمراكز الدفاعية لا بالنسبة للمغرب فحسب بل و الأندلس أيضًا.

و لم يتمكن علي بن يوسف في مرحلة متأخرة من اللجوء إلى تسوير مدينة مراكش حتى استصدر فتوى من كبار العلماء وعلى رأسهم ابن رشد الجد لأن المرابطين لم يكونوا يستطيعون -لشدة تمسكهم بأهداب الدين وحرصهم على

أموال المسلمين – أن يخرجوا من بيت المال نفقة إلا في وجه مشروع، وقد كلف سور مراكش حوالي سبعين ألف دينار ذهبية وهو يمثل السور الحالي بالمدينة الذي بناه المرابطون باستثناء الزيادة التي أضافها السعديون من **باب الخميس** إلى **باب تاغزوت**.

والتحصينات المرابطية في فضاء دولتهم الواسع يعتمد على القلاع و الأبراج والأسوار والرباطات[١٢]التي اشتهروا بها في الصحراء وبالأطلس الصغير وبثغور الأندلس خاصة الثغر الأعلى وعاصمته سرقسطة البضاء[١٣].

وقد أحسن المرابطون في نظامهم الحربي في فنون كثيرة كتحصين المدن وتجهيزها في الحالات الدفاعية والأمثلة كثيرة في خبرتهم في الدفاع عن المدن حيث أنهم مكثوا سبع سنوات كاملة وهم يدافعون عن **مكناس** في مواجهة الحملات المتتالية والحصار الشديد للقوات الموحدية مما يدل على مدى تعلق مدن أهل المغرب بالمرابطين[١٤]، كما تمكن المرابطون من حماية الثغور في الأندلس وكانت أغلب المعارك الطاحنة تدور في مناطق الثغور المرابطية القشتالية حيث أفنى المرابطون معظم مجاهديهم وجيوشهم في هذه المناطق لا تحدوهم إلا رسالة واحدة هو الدفاع عن أرض الإسلام وحماية الدولة التي أقاموها.

الهوامش و الإحالات

(١)–أنظر الخريطة الملحقة بالبحث.

(٢)–د.إبراهيم القادري بوتشيش، **المغرب و الأندلس في عصر المرابطين(المجتمع، الذهنيات ، الأولياء)** بيروت، دار الطليعة ١٩٩٣م ص:١٠.شعيرة، محمد عبد الهادي **المرابطون ، تاريخهم السياسي (٤٣٠–٥٣٩هـ)**، القاهرة ١٩٦٩م ص:٤٦.

(٣)–: ***Marçais ,La Berbérie Musulmane et l'orient au moyen âge; Paris 1946p:40.***

(٤)– أنظر مراحل التوسع المرابطي ومعاركهم في الزلاقة وغيرها:محمد الأمين بلغيث، **النظرية السياسية عند المرادي وأثرها في المغرب والأندلس** ، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٩م.ص:٣٣.

(٥)–وصفهم أرشيبالد لويس صاحب القوى البحرية والتجارية بأنهم قبائل رحل خرجت من مواطنها وصحاريها نتيجة لظروف اقتصادية وسياسية ، و كانوا محاربين مخربين لكل حضارة مستقرة وهذا الموقف المغرض ينطلق منه يوسف أشباخ الألماني فيقول:"ظهر المرابطون بين سكان الصحراء البدو و الساذجين ، فكانوا أعداء لكل حضارة عربية":راجع أرشيبالد لويس، **القوى البحرية و التجارية في حوض البحر المتوسط** ، ترجمة أحمد محمد عيسى، مراجعة و تقديم شفيق غربال ، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية (د.ت). ص:٣٦٢. يوسف أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين** ، ترجمة محمد عبد الله عنان، القاهرة، مؤسسة الخانجي ط.٢. ١٩٥٨م.ص:٤٩٣.

(٦)– تنسب الدروق اللمطية إلى حيوان اللمط الذي كان يعيش في الصحراء ، وهو من ذوات الأربع وأصغر قليلا من البقرة، وتحمل الأنثى منه والذكر قرنين عظيمين ، ومن جلد الأنثى تصنع الدروق المذكورة.

(٧)–إبراهيم حركات، **النظام السياسي و الحربي في عهد المرابطين**، الدار البيضاء المغرب الأقصى، منشورات مكتبة الوحدة العربية (د.ت) ص:١٧٨–١٧٩.أنظر فنون القتال عند المرابطين .فياض أبودياك صالح محمد، **فنون القتال عند المرابطين و الموحدين والحفصيين** (المؤرخ العربي) مجلة فصلية تاريخية محكمة تعني بشؤون التاريخ و التراث العربي و العالمي العدد ٣٤ سنة ١٩٨٨م ص:٢٣٠–٢٤٧.

(٨)–أنظر ما وقع في الزلاقة:ابن الكردبوس :تاريخ الأندلس بالأسبانية.

Ibn AL-Kardabus, historia de Al-andalus (kitab al-Iktifa),Estudio, traduccion y notas por Felipe Maillo Salgado,Madrid 2ª Edicion corregida, Akal-Bolsillo , 1993 P:117.

ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** ،الجزء الرابع ،تحقيق ومراجعة الدكتور إحسان عباس، بيروت ، دار الثقافة ١٩٨٠م ص:١٣٠ وما بعدها.الطيبي(أمين توفيق)،**وقعة الزلاقة المجيدة** (ضمن دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، ليبيا تونس ، الدار العربية للكتاب ١٩٨٤م ص:١٥٦ وما بعدها.

(٩)–البكري(أبوعبيد)، **كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب** ، نشره ماك دو سلان ، باريس مكتبة أمريكا و الشرق ١٩٦٥م ص: ١٦٦.(النص العربي).

(١٠)–حركات، **النظام السياسي والحربي** ، ص:١٧٤.

(١١)– التجيبي (محمد بن أحمد بن عبدون)،**رسالة في الحسبة (ضمن ثلاث رسائل في آداب الحسبة والمحتسب** تحقيق ونشر ليفي بروفنسال ، القاهرة ، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٥٥م ص:٤.

(١٢)- أنظر نماذج من الحصون والقلاع التي تشبه ما بناه المرابطون في فضاء دولتهم الشاسعة.

(١٣) -أنظر جهاد المرابطين الثغري بالمنطقة المذكورة: محمد الأمين بلغيث ، **الرُّبُطُ بالمغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين** ، رسالة ماجستير مخطوطة، معهد التاريخ، جامعة الجزائر السنة الجامعية١٤٠٦هـ—١٤٠٧هـ/١٩٨٦م-١٩٨٧م ص:٢٥٧ وما بعدها.دندش، عصمت عبد اللطيف، **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا(٤٣٠—٥١٥هـ/١٠٣٨,١١٢١م** بيروت، دار الغرب الإسلامي ١٩٨٨م ص:١٢٦ وما بعدها.

(١٤)- الفاسي (أحمدبن أبي زرع)، أحمد، **الأنيس المطرب بروض القرطاس** ، تحقيق تورنبرغ ، أبسالة ١٨٤٦م ص:١٢٣.

ثالثًا

العلاقات السياسية بين الدولة الحمادية
ودولة المرابـــطـــين(*)

مدخل عام

لقد عاش المغرب الإسلامي مرحلة صعبة على مستوى المتغيرات المحلية ويتمثل هذا الخلل على مستوى حركية المجتمع وهو ما يعرف بالظاهرة الهلالية التي تمثل نمطا اجتماعيا و سياسيا جديدًا على منطقة المغرب الإسلامي شبيه بالمتغيرات التاريخية التي عرفتها منطقة أسيا الوسطى وبلاد الصين من خلال حركية شعوب وقبائل السهوب الآسيوية التي غيرت مجرى تاريخ منطقة كاملة كانت مجالا لحضارة صينية قديمة لا تزال ظلالها ضاربة في أعماق الإنسان الصيني و بين حضارة إسلامية و عمران ساد العالم المعروف آنذاك مدة خمسة قرون كاملة و هو في هذه المرحلة التي نعالجها يعيش صحوة في المشرق قادها بدو السهوب الآسيوية السلاجقة وبدو الأعراب من بني هلال وسليم وبدو الصحراء من صنهاجة الجنوب وهم الذين أسسوا دولة المرابطين حيث فشل غيرهم من الأعراب الذين قدموا من صعيد مصر في تأسيس دولة بل خربوا العمران في إفريقية الشرقية وتمكنوا من إنهاء ازدهار الدولة الزيرية[١] وقد نجح الحماديون والمرابطون في توقيف هذا الاكتساح الشامل وجنبوا المغرب الأوسط والمغرب الأقصى مما تحدثه القبائل البدوية والأعراب من خراب ودمار وإفساد للزرع وتقويض للممالك والعمران[٢].

كما عرف المغرب الإسلامي في هذه المرحلة تطلعات أسبانية تتمثل في نجاح حركة الاسترداد المسيحي للأندلس إلى حين من خلال تقويض أركان دولة الإسلام في الأندلس إلى أن تمكن المرابطون من توحيد المغرب الأقصى ومنطقة واسعة من المغرب الأوسط وبلاد الأندلس بعد انتصارهم في معركة " الزلاقة

الشهيرة"[٣] التي أعادت للمسلمين من جديد هيبتهم الدولية والتاريخية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط.

لقد ترك قيام الدولة المرابطية أثرا واضحا، ذلك أن المغرب شهد ظاهرة جديدة وفدت عليه، فقد غزا **عرب بني هلال إفريقية** وخربوا **القيروان** ونالوا من الحضارة وقوضوا **ملك بني زيري** ثم طرقوا باب المغرب الأوسط، وهددوا الدولة الحمادية وكان من الممكن أن يتجاوزوا المغرب الأوسط إلى المغرب الأقصى، فيمثلوا فيه نفس الدور، ويعيثوا فيه فسادا كما عاثوا في إفريقية من قبل لولا قيام دولة المرابطين وبسط نفوذها على المغرب الأوسط، ووضعها حامية قوية في تلمسان[٤]استطاعت أن تجنب **المغرب الأقصى مفاسد بني هلال**، وقد اهتم المرابطون بالمغرب الأوسط لأنهم كانوا يعلمون أنه يتحكم في الطريق الموصل إلى المغرب الأقصى.

ومما يدل على اهتمامهم بأمر هذا الإقليم أن يوسف بن تاشفين لما علم باختلال أمره ولى عليه القائد **اللمتوني الشهير مزدلي فاتح بلنسية** ليرعى شؤونه ويحرس مسالكه كما ذهب إلى هذا **العلامة عبد الرحمن بن خلدون** الخبير بشؤون الأعراب في المغرب والأندلس.

لقد أدى كفاح المرابطين من أجل السيادة على المغرب الأوسط وعملهم على مدافعة **أعراب بني هلال** إلى اصطدامهم ببني حماد أصحاب القلعة بعد أن كانوا قد آزروهم حين فتحوا المغرب الأقصى لأن بني حماد لم ينظروا إلى توسع المرابطين في المغرب الأوسط نظرة الارتياح والرضا، بل ظلوا يترقبون فرصة مواتية حتى عبرت قوات المرابطين إلى الأندلس، وشغل **يوسف بن تاشفين** بالجهاد، فاستعانوا بعرب بني هلال وأغاروا على مما تعتبره دولة المرابطين أقليمها بالمغرب الأوسط لانتزاعه منهم مما حمل يوسف بن تاشفين على مغادرة الأندلس والعبور إلى المغرب لمواجهة

هذا الخطر الداهم ويبدو أن المرابطين قد أقروا السكينة في ربوع المغرب الأوسط وحالوا بين بني حماد وحلفائهم من أعراب بني هلال وبين ما يريدون، بل جاست قواتهم فيه وهددت مدينة **أشير** ويذهب بعض المؤرخين إلى الاستخلاص أن اهتمام المرابطين بأمر المغرب الأوسط، وعملهم على تحصينه و لإقرار السكينة في ربوعه لم يكن يقصد به مجرد مناهضة بني حماد أصحاب القلعة والكيد لهم، بل لرد الأعرب عن المغرب الأقصى وتجنيب البلاد ما أصاب إفريقية من قبل، بدليل أن يوسف بن تاشفين قد سالم بني حماد، بعد أن اطمأن إلى المغرب الأوسط قد نجا من الوقوع في قبضة الأعراب، فنجت حضارته وسلم تراثه.

إن علاقة المرابطين بأعراب الهلاليين وغيرهم لم تكن كلها صدام، بل نجد أن الفرسان العرب قد أوجدوا لهم علاقات تعاون مع الدولة المرابطية القوية التي شاركت طيلة عشرين سنة في صد المد القشتالي عن الأندلس، حيث اشترك هؤلاء الأعراب **يوسف بن تاشفين** جوازه الثالث إلى الأندلس برسم الجهاد ورد نصارى قشتالى و هذا في المعركة الشهيرة" **كنسويقرا**(***Consuegra***) عام ٤٩٠هـ/١٠٩٧م وفي عهد الأمير علي بن يوسف يبدو أن طائفة من عرب إفريقية جازوا إلى الأندلس برسم الجهاد ضد المسيحيين حيث يذكر المؤرخون بعض الفرسان العرب في موقعة أُقليش (***UCLES***) سنة ٥٠١هـ/١١٠٨م.

العلاقات المرابطية الحمادية من خلال الوثائق و ديوان الإنشاء:

لم أعثر في وثائقي عن رسائل على مستوى الكتب و المراسلات التي تمت بين المرابطين و مملكة بني زيري فقد بدأت العلاقات مع أشقاء الحماديين بتونس منذ مرحلة مبكرة من قيام دولة المرابطين ، حيث أُحيط الزيريون علما بفتح المرابطين لأغمات عام **٤٥١** هـ[٥] وهي مرحلة مبكرة قبل الفتح المرابطي للمغرب الأقصى والمغرب الأوسط الغربي،جزائر بني مزغنة، والدلالة التي نستشفها من عدم ذكر السفراء المرابطين إلى البلاط الحمادي بالقلعة أو بجاية الناصرية مرده كما ذهب إلى

ذلك أن المرابطين في رسالتهم اليتيمة إلى الحماديين تنم على دلالة لها أكثر من معنى حيث أن المصادر النصرانية تذكر الأمير الناصر من دولة بني حماد الذي كان يتحلى بكثير من الود إزاء الجماعات المسيحية التي تقيم بالإقليم الذي كان يحكمه وكان لهذه الجماعات من حين لآخر علاقات منتظمة مع المركز البابوي في عهد **غريغوار السابع**[٦].

ونحن قبل هذا وبعد هذا أمام وثائق معاصرة في منتهى الأهمية و غاية الخطورة ويتعلق الأمر أولا بالرسالة التي يحتفظ بها ابن بسام في ذخيرته و هي من إنشاء ابن القصيرة(أبو بكر محمد بن سليمان) سفير المرابطين و كاتبهم إلى الملوك والأمراء والرسالة موجهة من أمير المسلمين و ناصر الدين يوسف بن تاشفين جوابا عن خطاب سابق من صاحب قلعة بني حماد لم نقف على نصه.

لقد كانت الرسالة المرابطية صريحة و قاسية لأنها لم تتردد في اتهام المرسل إليه بأنه" يجتني و يثرب على من لم يستوجب التثريب... و أن وراء كل حجة كان يدلي بها صاحب القلعة ، يوجد عند أمير المسلمين ما يوضحها لو لا استنكاف الجدال واجتناب تردد القيل و القال...؟؟.

وبعد أن تذكر رسالة أمير المسلمين بما كان قد شب بين صاحب قلعة بني حماد وبين ابن عمه أبي عبد الله محمد بن يوسف، تتحدث عن انشغال يوسف بن تاشفين بجهاد المشركين و تُعيِّرَهُ بأنه:" يستدعي ذؤبان العرب و صعاليكهم فيعطيهم ما في خزائنه جزافا و ينفق عليهم ما كنزه أوائلُهُ إسراف..." ثم يؤنبه بأنه "يتداوى من أعدائه بسم و يستريح إلى غم...و أنه يخلي للأعداء الطريق (يعني النورمانديين) لأذية المسلمين(أي الزيريين)...؟؟" ولو أن صاحب روما المشتمل معه أي معه صاحب صقلية بعباءة الكفر والشرك...تقول الرسالة يكون مكانك من جوارنا ما أتى من نصرة فوق ما أتيت؟؟ و كل ما سفك من دم وانتهك من محرم واستهلك من ذمم فإليك منسوب وعليك محسوب؟؟.

ومهما كانت العلاقات السياسية بين الدولة الحمادية التي نهجت نهجا خاصا بين أشقائها وأبناء العم المرابطين والزيريين فإن هذا الأمر لم ينس لهؤلاء علاقات المرابطين الخاصة بهم.

لقد حفظ ملوك القلعة للمرابطين سلوكهم المهادن حينما لم يتدخلوا في شؤون المغرب الأوسط الشرقية، وهذه السياسة الودية هي التي جعلت صنهاجة القلعة تمد المرابطين بمساعدة عندما طاردهم عبد المؤمن بن علي في نواحي وهران وتلمسان، و لم تأت هذه المساعدة بنتيجة إجابية(٧).

النصوص التي تؤرخ إلى العلاقات الحمادية المرابطية نادرة وشحيحة لا تكاد تفي الغرض، وهي على قلتها تبرز حرص صنهاجة الشمال(دولة بني حماد، وصنهاجة الجنوب(دولة المرابطين) تجنب ما يؤدي إلى الصراع والفتن التي تذهب ريحهم وهم يواجهون الأخطار المشتركة.

الهوامش والإحالات

(*)-الملتقى الوطني لأعلام الحضنة وتاريخ الدولة الحمادية.أيام:٢٧- ٢٨ ماي ١٩٩٩م.

(١)-ليس هذا تجنيا على أعراب بني هلال و سليم الأثبج وزغبة بقدر ما هو ظاهرة طبيعية للمجموعات البشرية البدوية الباحثة عن الاستقرار و قد وظفت الظاهرة الهلالية توظيفا خبيثا من طرف المدرسة الكولونيالية و أتباعهم حيث وصفوا هؤلاء الأعراب بشتى النعوت ، و قد أنصفتهم دراسات الأساتذة حسن حسني عبد الوهاب مؤرخ الجيل و عثمان الكعاك، و كذلك الأستاذ محمد الحبيب الهيلة في دراسات موضوعية كما أن الظاهرة الهلالية وجدت إسقاطات سيئة في الكتابات الفرنسية مثل ما قام به **"ليون غوتييه"** في كتابه القرون المظلمة لإفريقيا الشمالية، وغيره أنظر حول هذا الموضوع: محمد الأمين بلغيث **النظرية السياسية عند المرادي وأثرها في المغرب والأندلس**، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٩م.ص:١٦.

(٢)-حسن أحمد محمود، **قيام دولة المرابطين(صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى** الطبعة الأولى، دار الفكر العربي القاهرة.ص:٣٢٧.

(٣)-عن الزلاقة في عهد المرابطين وأثرها في رد العدوان الكنسي الصليبي في الغرب الإسلامي أنظر: ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب الجزء الرابع(البيان المرابطي)** تحقيق و مراجعة الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة بيروت لبنان، ١٩٨٠م.ص:١٣٠. و هو نص من الروض المعطار انتقاء الدكتور

إحسان عباس محقق الكتاب.أنظر أيضا محمد الأمين بلغيث، **الرُّبُطُ بالمغرب الإسلامي و دورها في عصري المرابطين والموحدين** (رسالة ماجستير معهد التاريخ جامعة الجزائر غير منشورة (أنظر دور الرباط العسكري)(١٩٨٧م).

(٤)-مصطفى أبوضياف أحمد، **أثر العرب في تاريخ المغرب خلال عصري الموحدين وبني مرين(٥٢٤هـ-٨٧٦هـ/١١٣٠م-١٤٧٢م)**، مؤسسة شباب الجامعة الأسكندرية ١٩٨٣م ص:٦٣-٦٤.

(٥)-أنظر الوثيقة الخطية وتحليلها الدكتور عبد الهادي التازي، ال**تاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، المجلد الخامس(عهد المرابطين)** المغرب الأقصى ١٩٨٧م ص:١٩١.أنظر أيضا:العلاقات الحمادية البابوية:

de mase latrie, Traités de paix et de commerce et documents divers concernant les relations de l'Afrique septentrionale au moyen âge Paris 1866.

(٦)-التازي ، **التاريخ الدبلوماسي للمغرب**، ص:١٩٢.

(٧)-إبراهيم حركات، **النظام السياسي و الحربي في عهد المرابطين**، منشورات مكتبة الوحدة العربية الدار البيضاء المغرب الأقصى، (د.ت) ص:١٣٩.

رابعًا

مشاركة المرأة الأندلسية في الحياة الأدبية والعلمية في عهد المرابطين

[٤٧٩هـ/١٠٨٦م/٥٣٩هـ/١١٤٥م]

أولا: دولة المرابطين الدعوة والتكوين

تكونت دولة المرابطين في الطرف الغربي الجنوبي من إفريقيا الغربية، بداية من سنة **٤٢٩هـ/١٠٣٧م** وهي بداية التاريخ الكرونولوجي المؤسس لجيل المرابطين إلى غاية تأسيس عاصمة جديدة مراكش سنة **٤٦٢هـ/١٠٧٠م** حيث بدأت مرحلة ثانية من التوسع نحو الشمال للقضاء على دويلات الطوائف المغربية و وصلت في نهاية **٤٨٤هـ/١٠٩١م** إلى توحيد المنطقة الواقعة ما بين بجاية شرقا إلى ساحل المحيط غربًا ومن شمال جبال البرانس شمالا إلىجنوب غرب **تمبوكتو وكومبي صالح جنوبًا** وقد بلغت أقصى اتساعها في الجنوب الشرقي إلى **شمال غرب تشاد** قريبا من الحدود **الليبية** الحالية كما جاء في آخر الدراسات.

والدولة المرابطية تكونت في منطقة صحراوية هامة في العلاقات بين الصحراء الغربية والشمال الغربي للبحر الأبيض المتوسط وهي المرحلة الحسَّاسة التي اشتد فيها الصرَّاعُ على المواد الأولية المعدنية كالذهب والفضة وغيرها من النفائس وكذلك التنافس على الملح الطبيعي والمعدني وجميع أنواع النفائس المعروفة في إفريقيا الغربية.

والدعوة المرابطية دعوة قائمة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قام بها **الداعية عبد الله بن ياسين مهدي المرابطين** كما يلقبه القدماء حيث قامت هذه الدعوة في مرحلة التكوين بتكوين جماعة مؤمنة برسالة الفقيه المالكي سالف الذكر، و يمكن تقسيم مرحلة التكوين إلى مرحلتين:

١.فترة التكوين المذهبي والعسكري في **مؤسسة الرباط** التي كونها الداعية المصلح ويمكن أن نحدد مرحلة التكوين المذهبي والعسكري في مدة زمنية ما بين سبعة إلى

اثني عشر سنة، وهي مدة كانت كافية لتكوين ما يزيد عن ثلاثة آلاف مرابط تكوينًا مذهبيًا وعسكريا.

٢.مرحلة تطبيق تعاليم **عبد الله بن ياسين**:بدأت هذه الفترة بخروج الملثمين من عزلتهم في أقصى الجنوب الغربي من موريطانيا الحالية وأصبحوا على حد تعبير أحد المؤرخين"**آلة حرب**".

وقد بدأت "**آلة الحرب**" عملها من خلال توحيد قبائل **غمارة و نكور** لتصل إلى طنجة وتوحيد المغرب الأقصى بعد القضاء على الشيعة البجلية وعلى دولة **برغواطة** في **تامسنا** إنهاء ممالك المغرب الأقصى، وبعد ذلك اتجهت القوات المرابطية شرقًا فتمكنت من السيطرة على تلمسان(٤٧٣هـ/١٠٧٩م) و **وهران** والجزائر العاصمة بل وصلت إلى حدود **بجاية** وفي هذه اللحظة توغل في المغرب الأوسط حتى بلغ وهران كما سلف وجبال ونشريس وعقب ذلك استسلمت القبائل الأخرى صفوًا دون أن يخوض في ذلك غزوة أو يتجشم فيه مشقة فخلا الجو للمرابطين للتفكير في فتح الأندلس التي تمت لهم بعد معركة الزلاقة الشهيرة في رجب ٤٧٩هـ/ماي ١٠٨٦م.

ثانيًا:دولة المرابطين ومرحلة السقوط

لا توجد دولة في فضاء التاريخ الإسلامي قد لقيت من الإجحاف والنسيان كدولتي الأمويين والمرابطين لسبب بسيط، هو أن الدولتين من ضحايا دول مذهبية قوية فالدولة العباسية التي أسقطت دولة الأمويين استطاعت طمس تاريخ بني أمية وكتبت تاريخهم كما يحلو للمؤرخ الرسمي العباسي، كما أن دولة المرابطين كانت ضحية لدعوة أعلنت الحرب النفسية على المرابطين فكفرتهم وحملتهم أوزار كل مآسي الغرب الإسلامي مع العلم وللحقيقة التاريخية أن أجيال المرابطين من عصبية لمتونة ومسوفة وجدالة قد ضحوا بكل طاقاتهم البشرية من أجل حماية الأندلس

وحدها التي كانت على وشك السقوط مبكرًا في يد دعاة الاسترداد المسيحي للمنطقة وقد قدر لهذه الدولة حماية الغرب الإسلامي طيلة خمسة قرون كاملة إلا أن المدرسة الإستشراقية التي صنعت تاريخ المنطقة قد وجدت المادة الأدبية الموحدية جاهزة لتشوه تاريخ المنطقة تشويهًا يصعب إصلاح ما أفسدته أيدي هؤلاء أمام الدعاية الموحدية القوية.

انتهت الدولة المرابطية بسقوط مراكش سنة **٥٤١هـ/١١٤٧م** في يوم مراكش الحزين، ولا يتحدث المؤرخون عن وكلائهم (بني غانية)على جزر البليار إلا في إطار الصراع داخل الدولة الموحدية.

ثالثًا:مشاركة المرأة الأندلسية

لقد شاركت نساء المرابطين في مجالات عدة، ومنها المجالات العلمية والأدبية، وقد برزت فيهن **زينب بنت إسحاق النفزاوية** التي كانت بنت تاجر كبير من القيروان، نشأت في جو متحضر، فاكتسبت الدهاء والكياسة والحنكة مما جعلها تتفوق على الرجال وتفرض شخصيتها ونفوذها في شؤون السياسة والحكم، وهو ما عبر عنه **ابن الأثير** بقوله:" **وكانت من أحسن النساء ولها الحكم في بلاده**"[1]، فولدت زينب ليوسف بن تاشفين ولدًا عام **٤٦٢هـ/١٠٧٠م** اسمه **المعز بالله**؛ فقد أدَّت **زينب** دور مستشار **يوسف بن تاشفين** الذي امتثل لنصائحها، وكلما بدت له مشكلة أو اعتورته صعوبة لجأ إليها لتقدم له المشورة والحل الممكن.وذُكِرَ أن القاضي **أبا محمد عبد العزيز السوسي** الصوفي قد امتحن على يديها وسيق إليها مكبلا؛وكان لها عزم وحزم[2] وكان القاضي له أدب فبلغ **زينب** أنه مدح حواء امرأة **الأمير سير بن أبي بكر**، وفضلها على سائر النساء بالجمال والكمال، فأمرت بعزله عن القضاء فوصل إلى أغمات واستأذن عليها فدخل الباب وأعلمها به خادمها فقالت له: قل له أمض إلى التي مدحتها تردك إلى القضاء؛ والقصة تدل على مكانتها في السلطة السياسية العليا باعتراف **يوسف بن تاشفين** كما سلف أن ذكرنا، كما اتخذت لها كاتبًا أندلسيًّا نبيهًا هو **عبد الرحمن بن أسباط**

(٤٨٧هـ/١٠٩٤م) وهو الذي أشار على يوسف قبول مساعدة ملوك الطوائف بشرط أن يسلمه **المعتمد بن عباد** الجزيرة الخضراء ليجعل فيها جنده وسلاحه وكبار مستشاريه وثقاته[٣].

إن النصوص الخاصة بتعليم المرأة المرابطية بالمغرب والأندلس شحيحة ومقتضبة، يشوبها الغموض وعدم الوضوح في غالب الأحيان،والراجح أن حضور النساء لمجالس العلم كان أمرًا مألوفًا في المجتمعات الإسلامية في العصر الوسيط؛ غير أن ما أصاب دولة المرابطين من ضياع كتب مؤرخيها وكبار أعلامها هو من أسباب غياب الصورة الكاملة لنشاط المرأة في الغرب الإسلامي الثقافي والتعليمي في المدينة والريف[٤]. لم يكتب تاريخ الدولة المرابطية إلا في عصور الموحدين ومن جاء بعدهم وقد كان **محمد بن تومرت–مهدي الموحدين**–قد شَنَّ عليهم حملةً عنيفة لم تدع لهم فضلا إلا أتت عليه، فقد كان الرجل داعية موهوبًا ذكيًّا طامعًا في الدولة من أول الأمر، فأتى للناس من ناحية العقيدة ورمى المرابطين بالتجسيم والكفر والمروق عن الدين كما سبق أن أشرنا إلى ذلك، وانتهز ظاهرة انتساب بعض المرابطين إلى أمهاتهم–جريا على عادة لمتونية قديمة– فأوهم الناس أن النساء غالبات على أمور المرابطين، واستقرت هذه الدعوة في أذهان الناس[٥] حتى قال **عبد الواحد المراكشي** صاحب المعجب وهو كاتب موحدي:" **واستولى النساء على الأحوال، وأسندت إليهن الأمور، وصارت كل امرأة من أكابر لمتونة ومسوفة مشتملة على كل مفسد وشرير وقاطع سبيل، وصاحب خمر ومأجور، وأمير المسلمين في ذلك كله يتزيد تغافله، ويقوى ضعفه؛ وقنع باسم إمرة المسلمين**"[٦].

كان التعليم وانتشار حب العلم والمعرفة وجمع الكتب ونسخها، ظاهرة معروفة في عهد المرابطين كما يشير إليها الدارسون[٧]، ولم يقتصر العلم والتعليم على الرجال على الأقل في الأوساط الثرية والسادة من القبائل الصنهاجية (لمتونة

وجدالة ومسوفة ولمطة) والذين استأثروا بالوظائف السلطانية والأموال الكثيرة، وهم يشكلون بالأندلس طبقة متميزة بمساكنهم وقصورهم ولباسهم،كما أشار إلى ذلك المؤرخون وكُتّابُ الحسبة[٨]،والعائلات الوجيهة اللمتونية والأندلسية قد عرفت عالمات أديبات من طراز عال ومن هؤلاء الحرائر، فقد كانت **مريم بنت إبراهيم المرادي** من أهل الذكاء والنبل، ذات خط بارع وقريحة جيدة كما أشار إلى ذلك لسان الدين بن الخطيب،توفيت **مريم** عام **٥٤٥هـ/١١٥٠م**[٩].أما **خديجة** بنت الفقيه **أبي علي الصدفي** شهيد موقعة **كتندة**(**٥١٤هـ/١١٢٠م**) فكانت تحفظ القرآن وتقوم عليه وتذكر كثيرًا من الحديث في الأدعية، إلى جانب اهتمامها بمطالعة الكتب، تزوجها صاحب الصلاة بمرسية **عبد الله بن موسى بن برطلة**،فأنجبت له **أبا بكر عبد الرحمن**، عمرت طويلاً إلى أن تجاوزت الثمانين، وتوفيت بعد انصرام سنة(**٥٩٠هـ/١١٩٤م**)[١٠].كما كانت **أم الهناء بنت القاضي أبي محمد عبد الحق بن عطية** ذات شأن في حلقات العلم فقد كانت" من أهل الفهم والعقل حاضرة النادرة، سريعة التمثل، لها تأليف في القبور وآخر في الأدعية، وأورد هذه الكنية(أم الهناء) المقري التلمساني من غير اسم، في حين أكد ابن عبد الملك المراكشي بأن اسمها هو **أمة الرحمن** وكنيتها **أم هاني** معتمدًا في ذلك على ما وجده في تأليف لها في الأدعية وقف عليه بنفسه، ولقد كانت أمة **الرحمن أو أم الهناء** مثال المرأة الأندلسية المثقفة،حيث تميزت بالصلاح والعفة، فهي من بيت دين وعلم وكانت صاحبة عقل راجح[١١].يقول عنها **المقري التلمساني**[١٢] إنَّه لما ولي أبوها قضاء **المرية** دخل داره وعيناه تذرفان وجدًا لمفارقة وطنه، فأنشدته متمثلة:

يا عينُ صار الدمعُ عادةً* تبكين في فرح و في أحزان.**

وساهمت النساء كذلك في مجالس العلم، فروين الحديث وقرأن على الشيوخ، رغم شيوع فكرة بعض المربين أن البنت لها نمط مختلف عن الولد في التربية والتعليم،

حيث يقول **نصير الدين الطوسي**: ينبغي منعهن من تعلم القراءة والكتابة وكل الفنون التي لا تكون محمودة من النساء، ويجب تزويجهن بالكفؤ، عندما يصلن لسنِّ البلوغ[١٣] ومهما كان موقف **الغزالي ونصر الدين الطوسي** من تربية البنات تتردد عدة أسماء لامعة مثل **طونة بنت عبد العزيز** التي أخذت عن **أبي عمر بن عبد البر** (حافظ المغرب والأندلس) كثيرًا من كتبه وتواليفه، وعن **العذري الدلائي** ثم زوجها نفسه، كما يتردد اسم امرأة اسمها **ريحانة** قرأت على يد **أبي عمر المقرئ**، وحضرت مجالسه، واشتهرت بعض النساء بمهارتهن في الكتابة ونسخ المصاحف والكتب الخاصة بالفقه وعلوم أخرى ويبعثنها إلى الوراقين[١٤].

ومن عالمات الأندلس في هذا العصر **العروضية مولاة أبي المطرف عبد الرحمن بن غلبون الكاتب**، سكنت بلنسية، وكانت أخذت عن مولاها **عبد الرحمن** النحو واللغة، ولكنها فاقته في ذلك وبرعت في العروض، وكانت تحفظ الكامل للمبرد والنوادر لأبي علي القالي وتشرحهما، قرأ عليها أبو داود سليمان الكتابين المذكورين، وأخذ عنها علم العروض، توفيت **بدانية** بعد مولاها عبد الرحمن سنة **٥٤٠هـ/١١٤٦م**[١٥]. "واشتهرت بعض النساء اللائي تتلمذ عليهن طلبة العلم مثل **الحرة تاج النساء بنت رستم أخت أبي شجاع** التي قرأ عليها عدد من الطلبة، منهم الفقيه الحافظ عمر بن عبد المجيد بن خلف بن موسى الأزدي المالقي الرندي[١٦]، وروى القاسم بن محمد بن سليمان الأنصاري الأوسي القرطبي نزيل مالقة قراءة وسماعًا عن أمه الفتح فاطمة بنت أبي القاسم الشراط[١٧]،وأخذ عن **أم العفاف نزهة بنت أبي الحسين سليمان اللخمي** القراءات، وتلا عليها حفيدها **محمد بن أحمد بن يحيى بن أبي القاسم سيد الناس**، فتلا عليها بالتسع: والسبع المشهورة، وقراءتي يعقوب وابن محيصن، ولازم جدته نحو ستة أعوام ونصف، وأباه نحو خمسة عشر عامًا[١٨].

كما تلت فاطمة بنت أبي القاسم عبد الرحمن على أبيها القرآن بحرف نافع، ثم استظهرت عليه تنبيه مكي وشهاب القضاعي، ومختصر الطليطلي، وقابلت معه صحيح مسلم، والسير وتهذيب ابن هشام والكامل للمبرد، وأمالي أبي علي القالي، قرأته على أبي محمد عبد الله الأندرشي الزاهد وابن المفضل الكفيف، وحدث عنها ابنها **أبو القاسم بن الطيلسان**، وتلا عليها قراءة ورسمًا، وقرأ عليها ما عرضت على أبيها من الكتب، وسمع عنها الكثير، وأجازت له بخطها[١٩].

ومن شهيرات الأندلس في هذا العصر **حمدة بنت زياد بن بقي العوفي المؤدب**، من أهل **وادي آش**،وهي إحدى المتأدبات المتصرفات المتعففات، وهي شاعرة مطبوعة اختلف المؤرخون والأدباء في أشعارها وعاصرت **حمدة** أو قاربت عصرها، الشاعرة **نزهون بنت القلاعي**،وهي من شهيرات عصر المرابطين بالأندلس،حيث عرفت **نزهون بنت القلاعي الغرناطية** بخفة الروح والانطباع الزائد،والحلاوة،وحفظ الشعر،والمعرفة بضرب الأمثال، مع جمال فائق،وحسن رائق وهي التي رفضت أن تتزوج رجلا قبيح الوجه[٢٠] كما كانت لها مساجلات مع الشاعر الوشاح **ابن قُــزْمَان** شاعر عصر المرابطين الجوال المستهتر، الذي رفع الموشحات إلى مرتبة الأدب الرفيع[٢١] وقد كانت **نزهون بنت القلاعي الغرناطية** شاعرة ماجنة مما يدل على تحرر المرأة الأندلسية حتى في البيئة المرابطية التي اشتد فيها الفقهاء على أهل المجون والسفور،وأصحاب العادات المنحرفة كما يشير إلى ذلك **ابن عبدون الإشبيلي** في حسبته وهو من المعاصرين للحقبة المرابطية بالأندلس[٢٢]" **وبالجملة فإن الناس قد فسدت أديانُهم ...الدنيا الفانية والزمان على آخره، وخلاف هذه الأشياء هو ابتداء الهرج ، وداعية الفساد، وانقضاء العالم** ".

ويرجع بعض الباحثين هذا السلوك إلى تحرر الأندلسيات وقوة شخصيتهن خاصة القرطبيات والإشبيليات منهن منذ عصر قديم[٢٣]ومنهم من أرجع تحرر الأندلسيات

إلى بيئتهن الأندلسية القريبة من الغرب المسيحي وهذا مخالف لما هي عليه المرأة الأوروبية المسيحية من عبودية وعسف كما تشير إلى ذلك مدوناتهم[٢٤].وقد وجد **يوسف بن تاشفين بغرناطة** عدة قصور وقد وصفها في ذلك العهد **أبو الوليد الشقندي** ومدح شواعرها اللاتي نذكر منهن **نزهون وزيانة بنت زياد، وحفصة بنت الحاج الركونية، والغرناطيات الشهيرات السابقات كمريم بنت إبراهيم بن الطفيل** المرادي العالمة الموسيقية المتفننة، والمؤرخة **مسعدة والفيلسوفة الثرية ليلى** وغيرهن، وقد رفع ذلك حالة المرأة الغرناطية في المجتمع وأحدث تسامحًا نحوهن لم تعرفه الأندلس في دولة سنية متشددة كما هو واقع في عصر المرابطين[٢٥].

بلغت المرأة مكانة جليلة فسطع نجم بعضهن فشد الرجال إليهن الرحال لحضور حلقاتهن العلمية، وقد بلغت **الحرة حواء بنت تاشفين** مكانة عالية بين نساء جيلها فقد قال عنها **ابن عذاري** "وكانت **الحرة حواء** (التي امتدحها الأعمى التطيلي) أديبة شاعرة جليلة ماهرة..وكانت ذات نباهة وخطر..[٢٦].كما اشتهرت بالصلاح والإنفاق على الفقراء،وأشار **ابن رشد الجد** أنها ساعدت في إصلاح مسجد **بلنسية**.قال **ابن عذاري**:"وكانت هذه الحرة حواء أديبة شاعرة جليلة ماهرة.

أخبر أبو عبد الله محمد بن سعيد الخزرجي في كتابه:قال: حدثني أبو محمد بن جلون عن شيخه أبي عبد الله بن زرقون وكان شيخه **مالك بن وهيب**(الفيلسوف) قال: أمرت الحرة حواء اللمتونية بمراكش بمجلس الكتبة والشعراء، كانت تحاضرهم فيه وكانت ذات نباهة وخطر فاجتمع يومًا ذلك المجلس جماعة منهم **ابن القصيرة وابن المرخي**(ت ـ٥٣٣هـ/١١٣٨م)، وهذا لقب له لأنه يقال كان له فتور على فصاحته، وحضر غيرهما ،فلما غصَّ المجلس أقبلت الحرة تريدهم وهم يتحادثون ويأخذون في الشعر، وكان **ابن المرخي** قد قال صدر بيت وهو:" **أنا للبدر أخ**"و لم

يجزه أحد منهم، إذْ أقبلت **الحرة** فسلمت عليهم وبادرها **ابن المرخي** وقال لها:" حياك الله يا قمري ويا زهري"فقالت:"وصفتني والله بآفل وذابل"ففرح بفطنتها" فقالت له"فيم كنتم" قال لها: كنا قد قلنا صدر بيت ولم يقدر أحد على عجزه"فقالت:" **انشدنيه"** فقال:" أنا للبدر أخ "فقالت على البديهة:" على ذا سنخ"؟ فتعجب الحاضرون من براعتها(٢٧).

مدح أبوجعفر الأعمى التطيلي **الحرة حواء** قال(٢٨):

يا أخت خير ملوك الرضا إن قصدوا * وإن أعدوا وإن سموا نسبوا**

محمد وأبو بكر وعزهم ***يحيى وحسبك عزًّا كلما حسبـــوا

ثلاثة هم مدار الناس كلهم * كالدهر ماضٍ وموجود ومـــــــــــرتقب**

قد عم برك أهل الأرض قاطبة * فكيف أخرج عنه جارك الجنب**

كما كانت **تميمة بنت يوسف، شقيقة علي** راجحة العقل جيدة النادرة، جمعت ثروة أشرفت على إدارتها بنفسها، وكان لها كاتب تحاسبه ومن نساء العصر **فانو بنت عمر بن ينتان**(٢٩) التي قاتلت الموحدين بحد السيف قبل أن تستسلم إليهم مدينة مراكش من بنات أسرة بني تاشفين من ثمرات الإصلاح التعليمي والتربوي لعصر المرابطين.لقد قامت **فانو بنت عمر بن يينتيان؟** بدور خطير في الدفاع عن الدولة اللمتونية فهي من البطلات التي يحق للمغرب أن يخلد ذكراها، فقد استماتت في الدفاع بحد السيف عن قصر السلطة المرابطية وناضلت نصف يوم قبل أن يستسلم **إسحاق بن علي** ويدخل الموحدون إلى العاصمة مراكش، وقد أثار استبسال هذه العذراء اللمتونية إعجاب الموحدين في ذلك العصر(٣٠) كانت **تميمة بنت يوسف شقيقة أمير المسلمين علي** تطلب العلم، وتحفظ الشعر، وتجيده، وتتخذ الموكلين والكتاب، وتظهر إليهم في غير ما حياء أو خجل، وتحاسبهم دون أن تجد غرابة في ذلك(٣١).وبلغ من نفوذ بعض الأميرات أن قصدهن الشعراء

يمدحنهن، وتوجه إليهن أصحاب الحاجات يلتمسون شفاعتهن، فقد كتب الشاعر ابن خفاجة إلى الأميرة مريم بنت الأمير أبي بكر بن تفلويت قصيدة طويلة يتشفع بها إلى زوجها **الأمير أبي طاهر تميم**، وقيل عنها " إنَّها ممن تقوم على كثير من الخير وتحفظ جملة وافرة من الشعر، وتحاضر به وتثيب عليه" فما وقفت على ما كتب به حتى نفد العهد بجملانه على أتم وجوه البر والمحافظة والمكارمة"(٣٢).وقد أتاحت الحرية –التي تمتعت بها الأندلس على عهد المرابطين–للمرأة أن تتصدر مكانة مرموقة في هذا المجتمع؛ وكانت **ورقاء بنت ينتيان بن عمر شاعرة مجيدة" صالحة حافظة للقرآن"**، أما **زينب بنت تيفلويت شقيقة الأمير أبي بكر** فكانت من أهل الخير والتصاون والصدقات والنوائل.

أثبتت النصوص التي مرت بنا أن رثاء الشعراء لإحدى النساء المرابطيات، وذكر مكارمها تنهض حجة على عدم صحة الاتهامات التي وجهت للمرأة المرابطية التي وصفتها الأدبيات الموحدية بالسفور والفساد.

إن البيئة والوسط الديني والتربية الأسرية التي تربى فيها مجتمع الملثمين قد ترك آثاره على المرأة المرابطية، حيث لم يخل المجتمع من بعض النساء الصالحات، **فزينب بنت عباد بن سرحان"** كانت ديِّنَة فاضلة كثيرة الأوراد صوامة قوامة"،بل إن بعضهن اخترن حياة الاعتكاف والزهد والانقطاع إلى العبادة في ريعان شبابهن، ولا يعزى هذا السلوك إلا للبيئة الصالحة والتربية التي نشأت عليها المرأة المرابطية في بيوت غلب عليها الصلاح،واستنتج بعض الباحثين أن الأوساط المرابطية لا تخلو من استقامة النساء ،بفضل تحصيلهن العلمي وتربيتهن، وهذه كلها تقوم حجة على نجاح المشروع الدعوي المرابطي الذي قام على دعوة **عبد الله بن ياسين** ومن قبله علماء المغرب والأندلس(٣٣).

لقد حظيت المرأة اللمتونية بمدائح أكبر شاعرَيْنِ عرفهما عصر المرابطين هما **ابن خفاجة والأعمى التطيلي**، وهو ما يوحي بالمترلة الرفيعة التي خصَّ بها المرابطون نساءهم، وتأتي الأميرة حواء على رأس النساء اللائي بمدحهن قصائد الشعراء، حيث قال **الأعمى التطيلي** يصف ورعها وتقواها:

دنيا ولا ترف، دين ولا قشف * ملك ولا سرف، دركُ ولا طلـــب**

برّ ولا سقم، عيش ولا هرم * جدّ ولا نصب، ورد ولا قـــــــــرب**

ردْ غمرة ترتمي من كل ناحية * عُبابُها الفضةُ البيضاءُ والذهـــبُ**

مليكةُ لا يُوازي قدرها ملكٌ * كالشمس تَصغُر عن مقدارها الشهب**[٣٤]

والرثاء واضح المعالم ضمن أغراض الشعر في هذا العصر قال الأعمى التطيلي، وهو يحس بالحزن والكآبة لفقدان زوجته **آمنة**:

وليت حياتي غير شجو مردد * عهد له إلا ألذ حياتيا**[٣٥].

كما نلمس الحكمة الناطقة والموعظة الحسنة عن الشاعر الأعمى التطيلي مما يدل على صدق مشاعر الناس في هذا العصر وقد ارتبط الرثاء بالحكمة والموعظة في قصائد كبار شعراء العصر وزهاده[٣٦].

كانت المرأة في عهد **يوسف بن تاشفين "تسير وحدها حاملة الذهب فتجول أقطار إفريقيا والمغرب لا تجد من يعترض سبيلها أو من يمسها بسوء"**، ورغم ما يستشف من هذا النص من مبالغة، فإن الحقيقة السائدة قد حققت للمجتمع في الغرب الإسلامي ما لم يتحقق في أي دولة من الدول المتعاقبة على حكم المنطقة.

ولا يمكن معرفة الحالة الأدبية والفكرية للمرأة الأندلسية، إلا بالعودة إلى النصوص الدفينة، وسأقتصر على **نوازل ابن الحاج**(تـ٥٢٩هـ١١٣٥م)، لأنها في حكم المخطوط، من جهة ومن جهة أخرى، لأن فتاوى **أبي المطرف عبد الرحمن بن قاسم الشعبي** (ت٤٩٧هـ/١١٠٤م)، **وابن رشد الجد**(٥٢٠هـ/١١٢٦م) أصبحت

الآن متوفرة بين أيدي الباحثين، أما **ابن الحاج** فنوازله من الأهمية بمكان رغم صعوبة فك طلاسمها.من ذلك مسائل البيوع (الجواري والإيماء)، والعتق والزواج، والمصاهرة والنفقة والسكن والصداق والنشوز وتزويج الفتيات الصغيرات اليتيمات خاصة من قبل أوليائهن.والسجن للفتيات اللائى هربن من حجر الأولياء، ونورد في قضية سجن المرأة الأندلسية ما ورد في مسائل **ابن الحاج الشهيد**، لنعرف ظروف المرأة الأندلسية، على الرغم مما لحق هذا النص من محو لبعض الكلمات **مسألة**:قال: أبو عبد الله بن الحاج: نزلت، وذلك أن رجلا تزوج امرأة وعقد نكاحها ولي ثم ظهر أنه ليس بولي لها، فسجنت المرأة والزوج، وهرب الولي، ثم أحضر الزوج والزوجة فأنكر الزوج أنه ما علم أنه ليس بولي لها، فأحلف على ذلك فحلف ولو نكل قالت لوجب عليه...الأدب وأقرت الزوجة فأفتي: فإن أدبها سجنها وفرق بينهما والإستبراء على المرأة بثلاث حيض ووجب على الزوج(كلمة غير مفهومة) السكنى فيها حيث يذهب كانت من فرجونش؟ فقال وليها نحملها مع نفسي فأفتي: أن له ذلك من أجل الخوف عليها وأنها كانت في فندق وذلك في رمضان سنة ثلاثة عشر وخمس مائة(**٥١٣هـ/١١١٩م**)[٣٧].

كما تشير نوازل الحقبة المرابطية إلى أسواق العبيد والرقيق الأبيض، كما تشير إلى حيل تجار الرقيق والجواري من حيث الأثمان أو التدليس على المشتري، وقد أشرنا في معرض حديثنا إلى واحدة من هذه المسائل الخاصة بجارية حرة بنت حُرَّيْن مع قُضاة **تلمسان وقرطبة والمرية** في الحقبة مدار الدراسة، من خلال **نوازل ابن الحاج الشهيد**،كما إن ظاهرة العبيد ظاهرة عرفت منذ أن أنشأ منهم **يوسف بن تاشفين** حرسه وجيشه الخاص، كما استخدمهم **علي بن يوسف** في حروبه بالأندلس لخبرتهم وجلدهم مما يبرز حضور السودان والحشم في الجيش المرابطي كما تشير كتب الحسبة وفتاوى الحقبة المرابطية للعبيد والخدم في قصور العائلات الوجيهة

وفقهاء السلاطين، وقصور الأمراء والأثرياء.كما ملك اليهود المماليك والعبيد،وكان هؤلاء اليهود الذين كانوا من قبل يبحثون في الزبالة عن خرقة مهترئة يكفنون بها موتاهم، أصبحوا في عهد الطوائف يقتسمون **غرناطة** وأعمالها فيما بينهم يقبضون الجبايات، ويتأنقون في اللباس، ويذبحون في الأسواق "فعادوا إلى سابق عهدهم كما فصلناه في غير هذا العمل.

ويدل البحث في كتب الفقه والنوازل استفحال ظاهرة تفوق النساء على عدد الرجال في المجتمع المرابطي، وذلك ربما عائد للحروب الطاحنة التي خاضها الجيل الأول والثاني بالمغرب والأندلس خاصة، فقد خلفت هذه الحروب العديد من الأرامل، كما تشير إلى ذلك أمثال العامة التي جاءت في أزجال **ابن قُزمان** وشاح وزجال الحقبة المرابطية.كما أن تجارة الرقيق[٣٨] والجواري خاصة أسفرت عن اكتظاظ الأسواق بهن فعز الأزواج وكثرت العوانس[٣٩].ومن ذلك عزوف الرجال عن الزواج بالحرائر خاصة للشروط العالية المسجلة في عقود الزواج والكالي وملحقاته الذي كان نذير فقر وسوء عاقبة، حتى انتشرت ظاهرة العزوبية في المجتمع، مما أدى بالمجتمع الأندلسي على عهد المرابطين أن ينظر لهؤلاء نظرة ارتياب وشك في سلوكهم الاجتماعي، كما أشارت كتب النوازل إلى ظاهرة أخرى هي تعدد الزوجات وأحكام التعدد كما أشار إلى ذلك **ابن زكون** فقيه الحقبة المرابطية في فصل خاص في كتابه "**اعتماد الحكام في مسائل الأحكام**"[٤٠].

ويتحدث كُتَّاب الحسبة ورجال التاريخ عن ظاهرة الانحلال والفساد الذي تعرفه بعض الحواضر الأندلسية في عصر المرابطين **كإشبيلية**، التي تجمع بين المتناقضات بين التدين والتمسك بالعقيدة والزهد إلى درجة التصوف،وبين اللهو والعربدة التي تبلغ أقصاها في واديها، حتى قالوا فيها " **وهذه المدينة من أحسن مدن الدنيا، وبأهلها يضرب المثل في الخلاعة،وانتهاز فرصة الزمان الساعة بعد**

الساعة يعينهم على ذلك واديها الفرج وناديها البهج"، حيث ابتذلت فيها المرأة في أوساط الخاصة كما انتشر في بعض الأوساط البغاء وسميت **البغايا بالخراجيات** وحسب أحد **الباحثين "خرجيرات"**(٤١)، وكان لهن أماكن خاصة في بعض الفنادق التي سميت **بدور الخراج**، وكانت **البغايا أو الخراجيات** يقفن خارج الفندق بكامل زينتهن المبالغ فيها، متبرجات كاشفات عن شعورهن لإغراء الرجال، وتحريض النساء أيضًا، مما حدا **بابن عبدون الإشبيلي** صاحب الحسبة، بأن يمنع نساء **دور الخراج** عن كشف رؤوسهن خارج الفنادق، والتحلي للنساء، وينهين عن السير بينهن ولو سمح لهن بذلك،بل كان من الممكن الإرسال في طلب الخراجيات إلى المنازل، ولا بد للخراجية أن تجيد الرقص والغناء وسائر فنون التسلية، وكانت دور الخراج يسمع فيها أصوات الغناء والموسيقى التي تتسرب إلى خارجه مما سبب حرجًا للمارة.وبالرغم من عمل الفقهاء والمحتسب من أجل الحفاظ على الآداب العامة ونجاح المرابطين في دعوتهم وهو ما نراه في أدب المرابطين، أدب الجهاد والاتحاد(٤٢) فإن وضع المجتمع الأندلسي لا يعكس النجاح الكامل للدعوة الإصلاحية المرابطية، فقد ذكر **ابن عبدون الإشبيلي** في حسبته محذرًا حيث قال:" **ويُمنع النساء من الغسل في الأجنة (البساتين)، فإنها أوكارُ الزنا"**(٤٣).وطلب أن لا يجلس للنساء على ضفة الوادي في فصل الصيف، إذا ظهر الرجال فيه.وبلغ الشباب الماجن درجة إقلاق النساء والكشف على النساء المحزونات في مقبرة **إشبيلية،** كما أفسدوا على النساء راحتهن أيام العيد حيث أمر المحتسب والسلطان أن لا يترك الشبان أيام العيد يجلسون فيها(المقبرة) على الطرق لاعتراض النساء، ويجدُّ في منع ذلك المحتسب ويعضده القاضي، يجب أن يمنع السلطان أن يُجلس على أفنية القبور لمراودة النساء ويتعاهد ذلك كل يوم مرتين.كما أن ظاهرة العهر، قد صاحبها انتشار شرب الخمر بين الخاصة والعامة مما يدل على انحراف المجتمع إلى

حَدٍّ ما، هذا إذا ما صدقنا الروايات الموحدية حول تبرج النساء وشرب الخمر؛ وهي الرواية الوحيدة الموجودة بين أيدي الباحثين اليوم في غياب وصمت المصادر المرابطية الضائعة والدفينة.يقول ابن عبدون:"من معايب مقبرة إشبيلة فقال:" **وأقبح ما في مقبرتها(وبها يُعَابُ أهلُ بلدنا) السُّكنى على ظهور الموتى لقوم يشربون الخمر، وربما يفسقون**" [٤٤]ولما عاد **أبو بكر بن العربي** خزانة العلم وقطب المغرب -كما كان يلقب- تولى قضاء إشبيلية سنة ٥٠٨هـ/١١١٤م التزم العدل في الحكم والمساواة في القضاء والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلى أن أوذي في سبيل ذلك، فهوجم في داره وأحرقت كتبه، بمؤامرة دبرها حاسدوه، ومنافسوه وما أكثرهم، ومن القضايا وظواهر عصره التي عرف بها أهل بلده إشبيلية تربية الشعر بطريقة غير مقبولة فكان **ابن العربي** القاضي يعاقب من فعل ذلك في مدة توليه القضاء بحلق الشعر والضرب، قال **أبوبكر بن العربي:**" وقد كنت أيام الحكم بين الناس أضرب وأحلق، وإنما كنت أفعل ذلك بمن يربي شعره عونًا على المعصية، وطريقًا إلى التجمل به في الفسوق، وهذا هو الواجب في كل طريقة للمعصية أن يقطع إذا كان ذلك غير مؤثر في البدن"[٤٥].هذا بالنسبة لإشبيلية التي تبدو لنا أن المشروع التربوي والأهداف التربوية للمرابطين لم تؤثر فيها رغم ما عرف عن علمائها ورجالها من حب للعلم والمعرفة في هياكل التعليم المشهورة.ونستشف من كلام **محمد بن العربي** وهو يفسر سورة النور أن الفساد قد بلغ مداه فقال:" وقد لعب رجل بصبي، فضربه الوالي ثلاثمائة سوط، فلم يغير ذلك مالكًا حين بلغه، فكيف لو رأى زماننا هذا بهتك الحرمات والاستهتار بالمعاصي، والتظاهر بالمناكر، وبيع الحدود، واستيفاء العبيد في منصب القضاة، لمات كمدًا، ولم يجالس أحدًا؛ وحسبنا الله ونعم الوكيل"[٤٦].وانتشرت المنكرات والبدع في أواخر عصر المرابطين، ومنها تكلفة الزواج وما يصاحبها من غلاء، والنصوص لاتدع مجالا

للشك فيما يتطلبه الزواج والوليمة من نفقات باهظة حتىأن القاضي **أبا بكربن العربي**(٤٧) اعتبر ذلك من المنكرات يقول في **سراج المريدين** وهو يتحدث عن البدع والمنكرات التي حدثت في أواخر العصر المرابطي"وقد عظم الخطب في هذا الزمان حتى لا يدري العبد على أي شئ يبكي، أعلى فوات دنياه...أم على عروسه التي تطالب بما ليس به طاقة".

وإذا كان **حجة الإسلام** قد اكتفى بالدعوة إلى تعليم الزوج زوجته علم الحيض وأحكامه مع تعليمها أحكام الصلاة، وهو كل ما يدعو إليه **الغزالي** في موضوع تعليم المرأة، والمعروف أن تعليم المرأة لم يكن مطروحًا ومفهومًا كما نفهمه اليوم، لكن من الغريب أن يقصر **الغزالي** تعليم المرأة على مسألة أو مسألتين هامشيتين، فإذا كان موقف **الغزالي** من تعليم المرأة أحد كبار علماء العصر في المشرق والمغرب، فكيف كانت حالة المرأة التعليمية ومشاركتها الأدبية والعلمية في غياب النصوص والشواهد.

قد لا نفي دور المرأة المرابطية حقها في هذه العجالة، نظرًا لغياب النصوص الخطية الخاصة بالمرحلة عُمُومًا والنساء خصوصًا، لهذا فإن الإشارة إلى هذه الأدوار المحددة لنجاح أو فشل المشروع التربوي والتعليمي المرابطي، لهو مدخل يحتاج إلى بحث دقيق في مضان النصوص الخطية الدفينة،كالفتاوى وكتب العقود والشروط والأحكام، لهذا اكتفينا بهذه النصوص في هذا التقييم لدور المرأة المرابطية الأدبي والعلمي؛ لعل الدراسات والأبحاث الخاصة بالمرأة المرابطية عمومًا والأندلسية خصوصًا في عصرهم كفيلة بسد الفراغ الكبير في الدراسات الجامعية(٤٨).

ويبدوأن ميل الشعراء–ومنهم **ابن قزمان–** إلى الخلاعة، وهو ليس من أرباب التصاون والشرف في غزله، بل كان متهتكا مسرفًا يميل إلى الخلاعة واللهو، ويدعو إلى الاستهتار والإسفاف، حيث كان ابن عصره دون شك في مرحلته الأخيرة، إذْ

أن الأندلس لعهده قد أخلدت إلى الراحة نسبيا بعد أن كفيت شر نصارى الشمال، وبعث المرابطون في الثغور بوادر الانفراج والسلم في الحواضر الأندلسية، لهذا تفرغ الوجهاء والشعراء خاصة وبعض أمراء الملثمين للقصور والمنتديات للسماع والطرب وماجت الليالي الحالمة بروائع الأوانس من سبايا **قشتالة وجليقية والإيطاليات،** وكل منهن فاتنة ذات لهو وأنس.وبلغت الحياة الفكرية أوجها حيث انخرط فيها جماعة من أهل الفكر الحي، وما من قاعدة أو حاضرة إلا وقام فيها للأدب والفن أسواق رائجة **كقرطبة وإشبيلية ومالقة وسرقسطة وبلنسية** وهو الأدب والعلم الذي يملأ بطون الكتب التي وصلتنا[٤٩].وقد سجل لنا **عبد الملك بن زهر** فتنة الجواري والصراع الدائر داخل البلاط المرابطي فقال يصف حالة من حالات الصراع:"كانت عند الشقي؟ **علي بن يوسف** جارية تسمى **الثريا،** أصابها عَقْرٌ في أمعائها الدقاق وتبع ذلك إسهال مفرط وعِصار، وكلما رمت علاجها أعياني حتى أتت عليها نيف على أربعين يومًا، وقد حرت في علتها فإني كنت أحسن الظن، فإذا أمعاءها قد انسلخت طبقتها الداخلة كلها، فأوقفني **الصقلبي** عليها فعجبت من حدة خلط يبلغ إلى هذا ويؤثر هذا التأثير العظيم دفعة، فبعد لأني تيقنت أن **قمر**(حظيته الأعز عنده) من صواحبها سمتها، فلم يكن فيها حيلة وماتت من علتها تلك"[٥٠].

ونحب أن نختم هذا البحث الخاص بمساهمة المرأة الأدبي والعلمي بشاعرة كبيرة، من عصر المرابطين هي **نزهون بنت القلاعي الغرناطية** التي عاصرت نبيهات عفيفات من بيوت غلب عليها الصلاح **كحمدة بنت المؤدب، وهند** خادم **أبي محمد بن مسلمة الشاطبي** الكاتب، و**حفصة بنت الحاج الركونية** من أهل **غرناطة** عاصرت **حمدة** حسب ما ذهب إليه **ابن الأبار**[٥١].وهي شاعرة ماجنة كثيرة النوادر،كان لها مجلس أدبي[٥٢]، ومن نوادر **نزهون** التي احتفظ لنا بها التاريخ أن

أبا بكر بن قزمان الشاعر الزجال، جاء ليناظرها وكان يرتدي **غفارة صفراء** – وهي زي الفقهاء يومئذ– وعندما لمحته قالت له بصوت تتخلله نغمة من الدعابة والظرف: **إنك اليوم كبقرة بني إسرائل صفراء فاقع لونها ولكنك لا تَسُرُّ الناظرين"** فضحك الجميع ممن حضر وثار **ابن قزمان** واستشاط غضبًا، فأخذ يسب واندفع الحاضرون إليه وطرحوه في بركة أمام البستان(٥٣) ودخل **أبو بكر الكُتندي على الأعمى المخزومي**، وهي تقرأ عليه فقال أجِزْ:

لو كنت تبصر من تكلمه***

فأفحم الأعمى و لم يحر جوابًا ، فقالت **نزهون** (من الكامل):

***** لغدوت أخرس من خلاخله.**

البدر يطلع من أزرَّته* والغصن يـــــمرح في غلائله.**(٥٤).

ولها مساجلات مع **أبي بكر المخزومي الأعمى** الذي كان حيًّا بعد الأربعين وخمسمائة". قالت تهجوه:

قُلْ للوضيع مَقَالاً*يُتلى إلى حين يُحشرْ.**

مِن المدوَّر أُنْشئـــ*تَ والخرا منه أعطرْ.**

حيث البداوةُ أمست*في مشيها تتبخترْ.**

لذاك أمسيت صبًّا* بكل شيء مدور**

خُلِقْتَ أعمى ولكن* تهيمُ في كل أعور**

جازيت شعرًا بشعر* فقل لعمري من أَشْعَرْ**

إن كنتُ في الخلق أُنثى*فإن شعري مُذَكَّرْ.**

فقال لها **أبو بكر المخزومي الأعمى** اسمعي:

ألا قُل لنزهونة ما لها ***تجرُّ من التيه أذيالها.

ولو أبصرت فَيْشَةً شَمَّرَتْ * –كما عودتني– سِرْبَالها.**

فحلف الوزير ابن سعيد أن لا يزيد أحدهما على الآخر في هجوه كلمة، فقال المخزومي الشاعر: أكونُ هجَّاء الأندلس وأكفُّ عنها دون شيء، فقال أنا أشتري منك عرضها وكان الهجَّاء المخزومي حيًّا بعد الأربعين وخمسمائة(٥٥).ولم يسلم أهل مُرسية من هجاء **المخزومي**،حتىغادرها إلى غيرها من حواضر الأندلس،فقال فيهم:(متقارب)(٥٦).

على أهل مُرْسية لعنةُ * تعمُّ الديار وأربابها**

فما غلَّقتْ قطُّ مذْ فُتحت * على فاضل الطبع أبوابها**

كلاب تمر إلى شاعر* وتكشف للشر أنيابها**

ثم اتهمه الفقيه **أبومحمد عاشر بن محمد الطبني**(٥٧) وبلغه عن **الطبني** أنه ينعي عليه شرب الخمر، فقال المخزومي الأعمى الشريف كما نعته **صفوان بن إدريس** فيه(٥٨)(كامل).

طُبْنِيكمْ هذا الفقيه مُحَقِّق * باق على عهد الصديق مُقيم**

شهدت عليه باللواط جماعة * والله يعلم أنه مظلوم**

ساء الفقيه بأنني مُنْخَلِعُ * ويسرني أن الفقيه فطيم.**

والطبني هو فقيه عارف موثق ولي قضاء **مُرسية**. وعلق **المقري** فقال: ومع كون أهل الأندلس سُبَّاقَ حلبة الجهاد، مُهْطعين إلى داعية من الجبال والوهاد، فكان لهم في الترف والنعيم والمجون ومداراة الشعراء خوف الهجاء محلٌّ وثير المهاد، وكان الأعمى المخزومي الهجاء من شعراء عصر المرابطين فقال فيه **ابن الخطيب**،ومما نقله عنه **المقري التلمساني**:"إنه كان أعمى شديد الشر، معروفًا بالهجاء، مسلطا على الأعراض، سريع الجواب، ذكي الذهن، فطنًا للمعاريض، سباقا في ميدان الهجاء، فإذا مدح ضعف شعره، وقدم المخزومي إلى غرناطة في نهاية حكم المرابطين وكان له في مجلس الوالي **أبي بكر بن سعيد** المساجلة والهجاء الذي دار بينه وبين **نزهون**

الغرناطية.كان أبو بكر الأعمى المخزومي المدوري شديد الشر معروفًا بالهجاء، مسلطاً على الأعراض كما سبق أن ذكرنا(٥٩).وله أيضًا في في ذم أهل **مُرسية**(٦٠)(متقارب):

كلاب تمر إلى شاعر * وتكشف للشرِّ أنيابها**

وخلاصة القول: إنَّ كل الأسماء اللامعة ممن ذكرنا أو ممن أشرنا له إشارة عابرة، والذين عاشوا في عصر المرابطين، وهم رواد الحركة الشعرية:**ابن خفاجة، ابن الزقاق البلنسي، ابن عبدون اليابري(ت.٥٢٩هـ/١١٣٦م)، ابن بقي الأندلسي، الأعمى التطيلي، المخزومي الأعمى الغرناطي، أبو بكر الأبيض،** وغيرهم من الفقهاء الشعراء أو الحكماء الشعراء، يدرك الباحث المنصف تمام الإدراك أن الحركة الشعرية في عصر المرابطين حركة ناضجة مميزة بفحولها في كثير من الخصائص، بل نخالف ما أجمع عليه كثير من النُّقَّاد من أن الحركة الشعرية في هذا العصر امتداد للعصر السابق أي عصر ملوك الطوائف(٦١).

كما أبرزت دراستنا للعلوم اللِّسَانية والأدبية ومشاركة المرأة في الحياة الأدبية والعلمية، ظاهرة التطور في العصر مجال الدراسة،كما أن التراث الإسلامي قد استوعب معادلة معروفة عند **محيي الدين بن عربي**: "**إنَّ الرجل مدرج بين ذات ظهر عنها وبين امرأة ظهرت عنه**..."(٦٢).

الإحالات

(١)– ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، الجزء التاسع، راجعه وصححه، محمد يوسف الدقاق، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م. ص:٩٩.

(٢)– القاضي عياض، **ترتيب المدارك**، الجزء الثامن، تحقيق سعيد أعراب، الرباط، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.١٩٦٨م.ص:١٦٨.عصمت عبد اللطيف دندش، **أدوار سياسية لنساء في دولة المرابطين(أضواء جديدة على المرابطين)**، بيروت ، دار الغرب الإسلامي،١٩٩١م.ص:١٦٩.

(٣)–النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**،(**الجزء الثاني والعشرون**)، تحقيق وتعليق.مصطفى أبو ضيف أحمد،الدار البيضاء،، دار النشر المغربية.(دت).ص:٣٨٥ مجهول، **الحلل الموشية**،**نشرة زمامة**، ص:٤٩–٥٠.ابن الخطيب، **الإحاطة**، **الجزء الثالث**، ص:٥٢٣.انظر مقاربة تاريخية مميزة. دورتيا كرافولسكي، **البدو في مصر والشام في القرنين السابع والثامن الهجريين عند العمري في "مسالك الأبصار** (مجلة الاجتهاد) العدد السابع عشر، السنة الرابعة، ص:٣٥–٧٢. دندش، **أدوار سياسية لنساء في دولة المرابطين**، ص:١٦٩.

(٤)– **غنيمة(محمد عبد الرحيم)**، **تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى**، تقديم عبد الله كنون،تطوان المغرب الأقصى، دار الطباعة المغربية،١٩٥٣م.ص:٣٠٣.

(٥)–محمد بن تومرت، **أعز ما يطلب**، تحقيق وتقديم الدكتور عمار طالبي، الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٥م.ص:٢٤٢ وما بعدها. العمري، **مسالك الأبصار**(تحقيق **دوروتيا**)ص:١٨٤.

(٦)– عبد الواحد المراكشي ، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، ص:٢٦٠–٢٦١.صفوان بن إدريس المرسي، **زاد المسافر، وغُرّة مُحَيَّا الأدبِ السَّافر**،(**أشعار الأندلسيين من عصر الدولة الموحدية**) أَعَدَّه وعَلَّق عليه عبد القادر محداد، بيروت، دار الرائد العربي، ١٩٨٠م.ص:٤٩.العمري، **مسالك الأبصار في ممالك الأقطار**، (تحقيق دوروتيا)ص:١٨٤.انظر سقوط الدراسات الحديثة في نفس لون الدعاية

الموحدية:محمد قريبيز، **الشعر الصوفي في الأندلس في عصر المرابطين والموحدين،** إشراف أ.د.عمر الدقاق،جامعة حلب كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، سوريا، (رسالة ماجستير، مخطوطة) ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.ص:٦.

(٧)- غنيمة، **تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى،** ص:٤٣. دندش، **معاهد العلم والتعليم بالأندلس في عهد المرابطين،** (مجلة دعوة الحق)،رقم:٢٥٨،الرباط،١٩٨٦م. ص:٩٦.دندش، **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين،** (**عصر الطوائف الثاني**)بيروت دار الغرب الإسلامي ١٩٨٨م.ص:٣٦٩ وما بعدها. بوتشيش، **المغرب والأندلس في عصر المرابطين،** (**المجتمع.الذهنيات.الأولياء.**)، بيروت، دار الطليعة. ١٩٩٣م.ص:٥٠–٥١.

(٨)–قال ابن عبدون الإشبيلي وهو معاصر للحقبة موضوع الدراسة:" يجب أن لا يُلثم إلا صنهاجي أو لمتوني أو لمطي، فإن الحشم والعبيد ومن لا يجب أن يٌلثم؛ يُلثمون على الناس ويُهيبونهم ويأتون أبوابًا من الفجور كثيرة بسبب اللثام وهمًا، ويُكلم في ذلك السلطان، فإنهم عتاة، ويمتاز بذلك من عسى أن يُكرم أو يُوقر أو تُقضى له حاجة من المرابطين" ابن عبدون، **رسالة في القضاء والحسبة،** ص:٢٨.انظر: ابن رشد الجد، **فتاوى ابن رشد،** مسألة رقم:٢٧٧. **في تلثيم الملثمين،** ص:٩٦٣.قال **العمري** عن**"تلثيم مسوفة"**وسبب براقعهم إظهار الحزن على المهدي بن تومرت؟ العمري، مسالك الأبصار(تحقيق **دوروتيا**)ص:١٨٤.

(٩)–ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة،"نصوص جديدة لم تنشر"** تحقيق عبد السلام شقور، طنجة المغرب القصى، مؤسسة الطباعة والنشر والتوزيع.١٩٨٨م.ص:٤٠.فرنانديس(قنصل إسبانيا)، **غرناطة والحمراء(تأثير غرناطة الثقافي في العصور الوسطى)،** ترجمة الشريف محمد المدرس بثانوية سيدي بلعباس، **القسم الأول**، الشهاب المجلد الرابع، العدد ١٥١ السنة الرابعة، الخميس ٢٤ **محرم**

١٣٤١هـ ١٢ **جوليت** ١٩٢٨م.ص:٣.(ص:١٠٣) المجلد طبعة دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠١م.**ص:٣**.

(١٠)–الريسوني، **الشعر النسوي في الأندلس**، ص:١٤١.

(١١)–نفسه:ص:١٤١.

(١٢)–المقري التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، المجلد الرابع.ص:٢٩٢.

(١٣)–نصير الدين الطوسي، **تدبير الولد عند الطوسي داخل نظريته في الأخلاق وسياسة المدينة الفاضلة**(علي زيعور، **ميادين العقل العملي في الفلسفة الإسلامية الموسعة**)ص:٢٨٩.

(١٤)– دندش، **معاهد العلم والتعليم بالأندلس**، ص:٩٦. دندش **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين** ، ص:٣٣٨ وما بعدها.

(١٥)–زينب بنت علي بن حسين بن فواز العاملي، **الدر المنثور في طبقات ربات الخدور**، مصر، مطبعة بولاق، ١٣١٣هـ.ص:٣٣١.نقلا عن: غنيمة، **تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى**، ص:٣٠٦. عبد العزيز بن عبد الله، **المرأة المراكشية في الحقل الفكري**،ص:٢٦٦.

(١٦)– ابن عبد الملك المراكشي، **الذيل والتكملة، السفر الخامس، القسم الثاني**، ص:٤٥٢.

(١٧)– ابن عبد الملك المراكشي، **الذيل والتكملة، السفر الخامس، القسم الثاني**، ص:٥٥٧.ترجمةرقم:١٠٩٠. دندش، **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين** ، ص:٣٧٨.

(١٨)– ابن عبد الملك المراكشي، **الذيل والتكملة، السفر الخامس، القسم الثاني**، ص: ص:٦٥٤.ترجمة رقم:١٢٤٥.

(١٩)–نفسه، **السفر الثامن، القسم الثاني**،ص:٤٨٩..ترجمةرقم:٢٦٧. دندش، **الأندلس**، ص:٣٧٨.

(٢٠)–ابن الأبار القضاعي ، **المقتضب من كتاب نزهة القادم**، تحقيق إبراهيم الأبياري، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م. ص:٢١٦.بوتشيش، **ظاهرة الزواج في الأندلس إبَّان الحقبة المرابطية من خلال نصوص ووثائق جديدة**،(مجلة دراسات أندلسية)العدد:٩، تونس، رجب ١٤١٣هـ/جانفي، ١٩٩٣م.(انظر معايير اختيار الزوجة). الهامش:٤٣.بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، ص:١٢٥.

(٢١)–محمد رجب البيومي، **الأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير**،ص:١١٧. إداور بروى، **القرون الوسطى**،ص:٣٣٤.

(٢٢)–يقول ابن عبدون وهو يصف حال بلاده في نهاية عصر المرابطين كما يعتقد بعضهم: ابن عبدون الإشبيلي، **رسالة في القضاء والحسبة**، ص:٦٠.كما حذر ابن عبدون من تقليد اليهود للمسلمين في لباسهم وهيئاتهم مما يبين التأثير المتبادل بين الأمتين في بلاد الأندلس ، أنظر وضعية يهود الأندلس في عصر المرابطين، هافا لازاروس، **الفكر الإسلامي والفكر اليهودي بعض جوانب التأثير الثقافي المتبادل** (مجلة الإجتهاد) العدد الثامن والعشرون، السنة السابعة،بيروت، لبنان ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.ص ص:١٩٢—١٩٣.مسعود كواتي، **اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين**، الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع،١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.ص:٢٢٣ وما بعدها.ابن عبدون الإشبيلي، **رسالة في القضاء والحسبة**، ص:٥١.انظر وضع اليهود في عهد المرابطين.بوتشيش، **مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس**، ص:١٠٧.عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، **تاريخ المغرب والأندلس**، ص:٢٦٠.بشير صحراوي، **العلاقات الثقافية**

والأدبية بين المغرب العربي والأندلس في عصر الموحدين، رسالة ماجستير،مخطوطة إشراف، د.صلاح خالص، كلية الآداب، جامعة بغداد، ربيع الثاني، ١٤٠٣هـ /شباط ١٩٨٣م.ص:٤٨.د.سامية مصطفى محمد مسعد، **الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة في عصري المرابطين والموحدين**، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٣م.ص:٢١٩.

(٢٣)-يذكر **الباحث عبد السلام همال** هذه العادات من خلال قراءته لنوازل ابن سهل وغيرها من المصادر الدفينة التي لم تلق رواجًا كبيرًا رغم أهميتها في حياة الأندلس الاجتماعية والاقتصادية انظر: الأستاذ عبد السلام هَمّال ، **قضاء الجماعة بقرطبة الاسلامية من قيام الإمارة إلى نهاية الخلافة الأموية** (١٣٨-٤٢٢هـ/٧٥٦-١٠٣١م)، رسالة ماجستير بإشراف د. عبد الحميد حاجيات، جامعة الجزائر، ١٤١٤-١٤١٥هـ/١٩٩٤-١٩٩٥م. ص:١٨٧.(رسالة مخطوطة).ابن عبدون الإشبيلي، **رسالة في القضاء والحسبة**، ص:٤٦. دندش، **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين**، ص:٣٣٨. أنظر أيضًا رأي ابن رشد الحفيد حول المرأة الأندلسية: ابن رشد، **الضروري في السياسة(مختصر كتاب السياسة لأفلاطون)**،ص:١٢٥-١٢٦.ابن رشد، **سيرة وفكر(دراسة ونصوص)**ص:٢٥٠ وما بعدها. ***Albarnoz, L'Espagne Musulmane,OP-CIT, P:*** ٢٨٠.

(٢٤)-انظر وضعية المرأة المرابطية. بوتشيش، **المغرب والأندلس في عصر المرابطين**،ص:٤٦.

(٢٥)- فرنانديس(قنصل إسبانيا)، **غرناطة والحمراء(تأثير غرناطة الثقافي في العصور الوسطى)القسم الأول**، ص:٤.

(٢٦)- ابن عذاري ، **البيان المرابطي**، ص:٥٧.

(٢٧)- ابن عذاري ، **البيان المرابطي،** ص:٥٧.عبد العزيز بن عبد الله، **المرأة المراكشية في الحقل الفكري**،ص:٢٦٨.

(٢٨)- ابن عبد الملك المراكشي، **الذيل والتكملة، الجزء الثامن، القسم الثاني،** ص:٤٩٨.

(٢٩)- في كتاب الحلل الموشية وزير من وزراء علي بن يوسف اسمه ينتيان بن عمر فهل هو الوزير الذي أشار على أمير المسلمين بإطلاق سراج المهدي بن تومرت وبهذا تكون فانو حفيدته فتكون إذن فانون بنت عمر بن ينتيان بن عمر ، يقول عنه ابن عذاري وقد فرَّ إلى الموحدين :"**ولقي من الكرامة لديهم ما لا يزيد عليه"لعله إسحاق ابن الوزير ينتان:** ابن عذاري، **البيان المغرب، الجزء الثالث،** ص:٢٠.مجهول **الحلل الموشية** ، تحقيق زكار وزمامة، ص:١٠١.

محمد عبد الله عنان، **عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، العصر الثالث**، ص:٢٦٣.

Codera, Familia Real de los Benitexufin; p: ١٥

(٣٠)- عبد العزيز بن عبد الله، **المرأة المراكشية في الحقل الفكري** (صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد) المجلد السادس، العددان الأول، والثاني،١٣٧٨هـ/١٩٥٨م. ص:٢٧٢.

(٣١)- دندش، **الأندلس في نهاية المرابطين**، ص:٣١٦.

(٣٢)- نفسه، ص:٣١٦.

(٣٣)-بوتشيش، **المغرب والأندلس**، ص:٥٥. دندش، **أدوار لنساء في دولة المرابطين** (أعمال الملتقى الأسباني المغربي الثاني للعلوم التاريخية، غرناطة في ٦-١٠ نوفمبر ١٩٨٩م الأندلس (١٤٩٢م-١٩٩٢م). سلطاني، **اتجاهات الشعر في عصر المرابطين بالمغرب والأندلس**، ص:٤١. عبريق، **فن المديح في عهد المرابطين بالمغرب والأندلس**، ص:٣٢ انظر صورة أخرى للمرأة بجبل نفوسة وهي دلالة على

مكانة المرأة المسلمة في طلب العلم وتحصيله: بوبة مجاني، **دور المرأة في الحركة العلمية بجبل نفوسة من القرن الثالث إلى القرن السادس الهجريين**(٩–١٢م)**قراءة أولية لمخطوط إباضي من القرن ٦هـ/١٢م**(الحياة)دورية فكرية يصدرها معهد الحياة بالقرارة(الجزائر)العدد الثاني، نشر جمعية التراث(القرارة–غرداية) رمضان ١٤١٩هـ/ جانفي**١٩٩٩م**.ص:**١٦٠** وما بعدها.

(٣٤)– **ديوان الأعمى التطيلي**، القصيدة رقم:**٥**. ص:١٧.

(٣٥)–عبد الحميد عبد الله الهرامة، **الأعمى التطيلي،حياته وأدبه**، طرابلس، المنشأة العامة للنشر والتوزيع ١٣٩٢ ور/١٩٨٣م.ص:٣٨.

(٣٦)– الجيلالي سلطاني، **شعر الزهد والتصوف في عصر المرابطين بالمغرب الإسلامي**(مجلة الحضارة الإسلامية)العدد الثاني، ص:**٢١٩**.

(٣٧)– أبو عبد الله ابن الحاج ، **نوازل ابن الحاج** ،ص:٦٦–٦٧.ابن الحاج ونوازله حاضرة في معيار الونشريسي ونوازل البرزلي ومجالس القضاة والحكام لمحمد بن عبد الله المكناسي اليفرني قاضي الجماعة بفاس، وكانت **نوازل ابن الحاج وابن رشد الجد** مدار معظم النوازل التي رجعت إليها ، مثل **كتاب الأحكام لأبي المطرف الشعبي المالقي** (٤٩٧هـ/١١٠٤م) **ومعين الحكام على القضايا والأحكام** لابن عبد الرفيع (تـ٧٣٣هـ/١٣٣٢م) (جزءان)، وكل الذين تناولوا الفتاوى من المتأخرين خاصة انظر: العلامة المكناسي قاضي فاس.أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الشهير بالمكناسي اليفرني قاضي الجماعة بفاس **مجالس القضاة والحكام ورسوم مناظراتهم**، رقم الميكروفيلم:(م–٢٥) رصيد المكتبة الوطنية الجزائرية ص:١٨٩.انظر **الملحق** رقم:٨.ابن سهل، **ديوان الأحكام الكبرى، الجزء الثاني**، ص:٨٨٠.

(٣٨)– تشير نوازل الحقبة المرابطية إلى أسواق العبيد والرقيق الأبيض، كما تشير إلى حيل تجار الرقيق والجواري من حيث الأثمان أو التدليس على المشتري، وقد أشرنا

في هذا الهامش إلى واحدة من هذه المسائل الخاصة بجارية حرة بنت حُرَّيْن مع قُضاة **تلمسان وقرطبة والمرية** في الحقبة مدار الدراسة، من خلال **نوازل ابن الحاج**، وظاهرة العبيد ظاهرة عرفت منذ أن أنشأ منهم **يوسف بن تاشفين** حرسه وجيشه الخاص، كما استخدمهم **علي بن يوسف** في حروبه بالأندلس لخبرتهم وجلدهم مما يبرز حضور السودان والحشم في الجيش المرابطي كما تشير كتب الحسبة وفتاوى الحقبة المرابطية للعبيد والخدم في قصور العائلات الوجيهة وفقهاء السلاطين، وقصور الأمراء والأثرياء.انظر:إبراهيم القادري بوتشيش، **مسألة العبيد بالمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين(الإسلام السِّرِّي في المغرب العربي)القاهرة، سينا للنشر،١٩٩٥م**. ص:٢٣٢. إميليو غرسية غومث، **مع شعراء الأندلس والمتنبي(سيرُ ودراسات)**،ص:١٠٦.

انظر عن تجارة العبيد ومصادرهم وأسواقه بالأندلس:

William D.Phillips,Jr,Historia de la esclavitud en Espana,Fuenlabrada(Madrid),Editorial Playor,1990.P:96

(٣٩)- **نوازل ابن الحاج** ، ص:٨٤-٨٥-٨٦-٨٧. بوتشيش، **ظاهرة الزواج في الأندلس**، هامش رقم:١٤.

(٤٠)- أبو علي حسن بن زكون(حسن إبراهيم بن عبد الله بن أبي سهل (تـ٥٥٣هـ/١١٥٩م-١١٦٠م) ، **اعتماد الحكام في مسائل الحكام وتبيين شرائع الإسلام من حلال وحرام"**، (**نوازل ابن زكون**) مخطوط رصيد الخزانة العامة للوثائق والمخطوطات الرباط رقم:**ق:٤١٣**.ص:**٥٧**، بوتشيش، **ظاهرة الزواج في الأندلس إبان الحقبة المرابطية من خلال نصوص ووثائق جديدة**.(مجلة دراسات أندلسية العدد التاسع) مرجع سبق ذكره. انظر الخلاف الذي كان يقع بسبب المهر والكالي قال **ابن الحاج**:مسألة"رجل زوج ابنته من رجل وقبض مهرها عينًا فجهزها بثياب يستغرق بعضها النقد ومن جملة الثياب غفارة محرزة، وثوب رازي

ثم وقع بينه وبين صهره تشاجر فأراد الأب أخذ ما لابنته من الثياب وحوطها وقال الزوج تترك لي بقدر نقده فأجاب إلى ذلك، فأراد الأب أن يحتسب له من النقد بقدر الغفارة والرازي ولم يرد الزوج، وقال: إنهما هدية فأفتى أبو الوليد بن رشد وأبو عبد الله بن الحاج أن على الأب أن يترك في بيت البناء مقدار النقد من الجهاز، ولا يحتسب في ذلك شيء من ثمن الغفارة والرازي الذي اشتراهما له، وكان في السؤال أن قاضيا حكم بأن يحتسب من النقد فلا يلتفت إلى ذلك الحكم.قاله ابن رشد وابن الحاج. **نوازل ابن الحاج** ص:٦٨.

(٤١)-**الخراجيات** صنف من البغايا المذكورات في حسبة ابن عبدون الإشبيلي، وكذلك صنف آخر من البغايا وسماهن **بالطرازات** حيث قال:"**لا يخالط النساء في البيع والشراء إلا ثقة خيّر، قد عرف الناس خيره وأمانته...قطع الطرازات عن السوق واجب ، فإنما هن قُحاب"** ؟، انظر، ابن عبدون، **رسالة في القضاء والحسبة**، ص:٤٧.انظر أيضًا عن وضع الخراجيات، وما قال فيهن ابن عبدون الإشبيلي،**رسالة في القضاء والحسبة**، ص:**٥٠-٥١**.

إبراهيم القادري بوتشيش، **مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس**، ص:**١٩٣**.أبو بكر الطرطوشي، **رسالة في تحريم الجبن الرومي، وكتاب تحريم الغناء والسَّماع**،تقديم وتحقيق عبد المجيد تركي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، **١٩٩٧م**.ص:١٩٧ وما بعدها. **البرزلي، الحاوي، القسم الرابع، رقم:٣٢٧٤.ورقة:٢٩٥ وجه.**

Dr,Antanio Arjona Castro, La sexualidad en Espana Musulmana,P:٥٠.

(٤٢)- للتوسع في هذا الغرض أحيل على الأعمال الجامعية المتخصصة:

منجد مصطفى بهجت، **الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي في عهد ملوك الطوائف والمرابطين**، جامعة الأزهر، القاهرة، **١٩٨٠م**.(رسالة ماجستير).علي بن

ناصر حجاج، **الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي عبر القرنين(٥-٦) الهجريين،** الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود للعلوم الإسلامية،١٤٠٥هـ(رسالة ماجستير).

Urvoy, la Notion de Gihad en éspagne musulmane;P: ٣٥١.

(٤٣)- ابن عبدون الإشبيلي، **رسالة في القضاء والحسبة**، ص:٤٦.

Dr,Antanio Arjona Castro, La sexualidad en Espana Musulmana,P: ٥٠.

(٤٤)- ابن عبدون الإشبيلي، **رسالة في القضاء والحسبة**،ص:٢٦-٤٥-٤٦-٤٧-٤٨.العقباني،**كتاب تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر**،تحقيق فريد عبدي،ص:٣٠٢.

(٤٥)- عمار طالبي، **آراء أبي بكر بن العربي الكلامية**، الجزء الأول، ص:٦٣.

V.Lagardere,Abu Baker B.Al Arabi Grand cadi de seville(Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée(R.OM.M)40, 198-2. PP:91-101.

(٤٦)-ابن العربي، **أحكام القرآن**،**الجزء الثالث**،تحقيق علي محمد البجاوي،بيروت،دار المعرفة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.ص:١٣٢٧.

(٤٧)-ابن العربي، **سراج المريدين**، مخطوط القاهرة، ورقة:٥٧.طالبي، **آراء أبي بكر بن العربي الكلامية**، ص:٨٧.

(٤٨)- مليكة حميدي، **المرأة المغربية في عهد المرابطين** (٤٤٨-٥٤١هـ/١٠٥٦-١١٤٦م)، رسالة ماجستير مخطوطة، إشراف،د.صالح بن قربة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.نوقشت يوم الأربعاء، ١٣ ذو القعدة، ١٥ يناير ٢٠٠٣م.ص:٥٦. محمد إحدادن، **المرأة في الأدب الأندلسي**،جامعة حلب،(رسالة لم أوفق في الحصول عليها) وهي في ٢١٨ صفحة رقمها بالمكتبة الجامعية، جامعة الجزائر المركزية:***٢٠-١٩٧٤-٧٠٠١٣***

(٤٩)- أحمد حواجة، **الآداب التعاملية في فكر الغزالي**، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.ص:٦٦.إداور بروى، **القرون الوسطى، المجلد الثالث**، ص:٢٢٤.

(٥٠)- ابن زهر، **التيسير في المداواة والتدبير**، ص:٢٥٠. حميدي، **المرأة المغربية في عهد المرابطين**،ص:٦٣.

(٥١)-ابن الأبار، **تحفة القادم** ص:٢١٨-٢١٩.ابن سعيد المغربي، **المغرب في حُلي المغرب، القسم الثاني**، ص:١٦٤.

(٥٢)- عبد العزيز بن عبد الله، **المرأة المراكشية في الحقل الفكري**،٢٦٧.وحفصة الركونية أدركت الموحدين وهي شاعرة مبدعة، تعلق بها الأمير الموحدي أبو سعيد.وهي القائلة:

أزورك أم تزور فإن قلبي*إلى ما اشتهي أبدًا يميل**

سيمون الحايك، **ابن مردنيش أو الموحدون**، ص:١٢٦.بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، ص:١٢٧-١٢٨.

(٥٣)-الريسوني، **الشعر النسوي في الأندلس**، ص:٩٠ وما بعدها.

(٥٤)- ابن سعيد الغرناطي، **المغرب في حلي المغرب**، الجزء الثاني(طبعة ١٩٩٧م)، ص:٩٥-٩٦.المقري التلمساني، **نفح الطيب**، الجزء الرابع ، ص:٢٨٩. إحسان عباس، **تاريخ الأدب الأندلسي،عصر الطوائف والمرابطين**،ص ص ٢٦٦-٢٧٩. إميليو غرسية غومث، **ابن قزمان ..صوت في الشارع(شعراءالأندلس والمتنبي)**، ص:١٥١ وما بعدها.

(٥٥)- المقري التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، الجزء الأول ، ص:١٩٢-١٩٣.

(٥٦)- أبو بحر صفوان بن إدريس التجيبي المرسي، **زاد المسافر**،ص:١١٨.

(٥٧)–نفسه، ص:١١٨.

(٥٨)– أبو بحر صفوان بن إدريس التجيبي المرسي، **زاد المسافر**،ص:١١٨. سلطاني، **اتجاهات الشعر في عصر المرابطين بالمغرب والأندلس**، ص:١٨١.بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، ص:١٢٥.

(٥٩)– أبو بحر صفوان بن إدريس التجيبي المرسي، **زاد المسافر**،ص:١١٧.

(٦٠)– نفسه، ص:١١٨.

(٦١)–الجيلالي سلطاني، **اتجاهات الشعر في عصر المرابطين بالمغرب والأندلس**، ص:٩٣.

(٦٢)– محمد الحداد، **حفريات تأويلية في الخطاب الإصلاحي العربي**، بيروت، دار الطليعة، فبراير، ٢٠٠٢م.ص:١٥٦.

خامسًا

المنطق والفكر العقدي من أبي عبد الله يوسف بن محمد السنوسي
إلى عبد الرحمن الأخضري
(قراءة في الدرس المنطقي والأصولي)(*).

تمهيد:

تختص تعاليم الدين الإسلامي بصفة الشمول والاستقصاء سواء فيما تدلى به من الحقائق الكونية مصيرًا وتدبيرًا، أو فيما تتناول فيه حياة الإنسان اعتقادا وسلوكًا، وكان لهذه الصفة أثرها التربوي العميق على الفكر الإسلامي(1).قال العلامة ابن خلدون(٨٠٨هـ/١٤٠٦م) وهو يؤرخ لفن المنطق في الثقافة الإسلامية:"اعلم: أن هذا الفن قد اشتد عليه النكير على انتحاله من متقدمي السلف والمتكلمين، وبالغوا في الطعن عله والتحذير منه، وحظروا تعلمه وتعليمه، وجاء المتأخرون من لدن الغزالي والإمام الخطيب، فسامحوا في ذلك بعض الشيء(1).

فقد ظهرت **الحركة الفلسفية** – أو ما يمكن أن نسميه بالفلسفة الإسلامية– لأول مرة **كتيار فكري لوقف الفتنة التي اضطرمت نارها في بداية عصر بني أمية،** وكانت تقوم على**"فلسفة"** تأويل القرآن أو الحديث الشريف للوقوف مع فرقة ضد فرقة أخرى أو لتبرير موقف سلبي من **الحركة الإسلامية** التي بدأت تشهد لأول مرة صراعا دمويا في محاولة العودة إلى جاهلية العصبيات التي حاربها الإسلام بعنف على جميع مستوياتها فقال:الرسول صلى الله عليه وسلم: " **ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية،وليس منا من مات على عصبية"**. فعندما ظهرت عصبية الأمويين وتنادوا بالخلافة – أو **بالعصبية الأموية**– وعلت السيوف

الرقاب دفاعا عن الباطل برز تياران من المتكلمين هما: **المرجئة والجبرية، فالمرجئة تتأول** قول الله تعالى: { وآخرون مرجون لأمر الله}.

إن الإنسان مهما بلغت ذنوبه واستمرت وتواصلت في الدنيا عليه، فليس من حق أي كان أن يتهمه بالكفر أو المعصية، بل ليس من واجبه أن يستنكر عليه هذا العمل المشين؛ومن هنا كان واجبا على الناس جميعا أن لا يهتموا بما يقوم به غيرهم لأن الله { غفور رحيم}.

أما إذا كانت هناك فئة ظالمة مستبدة وأخرى مظلومة تعمل لصالح الناس، فلا يجوز القول أن هناك ظالما ومظلوما، فمثل هذا القول شرك بالله وادعاء بالألوهية وتدخل في مشيئة الله لأن الله هو الحاكم...فهل يريد الإنسان أن يشارك الله في حكمه الذي أرجأه إلى يوم الحساب، حيث تقام موازين العدل؟. وهل يصح "**للعبد**" أن ينصب على الأرض موازين العدل إلا إذا كان إلها أو شريكا للإله في الحساب والثواب والعقاب".

ولعل هذه النظرية الفلسفية المتقدمة في تاريخ الإسلام تقود إلى إفراغ الكلمات القرآنية من معانيها، **فلا الظالم ظالم ولا المظلوم مظلوم**، إنما هي حركة مد وجزر اجتماعية سيقول الله فيها الحق يوم القيامة، **وعلى الظالم والمظلوم كليهما انتظار يوم الحساب**،كما على الأمة أن لا تتدخل في إنصاف المظلوم والضرب على يد الظالم لأن ذلك "**تألُّه**" وتدخل في مشيئة الله.

وبكلمة واحدة نقول:إن **فلسفة المرجئة فلسفة اجتماعية هدامة تنسف قاعدتي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**،وقد تأثرت النفسيات الضعيفة بهذه الفلسفة، وانكمشت حركة الجهاد وانحصر المد الإسلامي انحصارا شديدًا، فكانت فلسفة "المرجئة" بمثابة المخدر الذي يشل حركة الجسم.

-صاحب هذا التيار تيار ثان هو تيار الفلسفة الجبرية.

و هذه المدرسة تستمد هي الأخرى أدلتها من القرآن الكريم، فكل حركة تقع في الإنسان أو في الكون إنما هي من قضاء الله ولا اعتراض للبشر على ما اقتضى الله، فالله هو الحاكم وهو المسيطر وهو الذي يحرك العباد ويوجه أعمالهم إلى الخير أو إلى الشر،ومن ثم فأعمال الناس ليست في الحقيقة أعمالهم وإنما هي أعمال الله نفذوها بمشيئته أو نفذت فيهم بمشيئته كذلك.

ومن هنا انطلق الجدل والكلام، واحتاج العلماء إلى علم المنطق، فكيف كان استقبال الغرب الإسلامي لهذا العلم، ولن نجد أفضل من تلميذ ابن رشد الحفيد فيلسوف قرطبة يوسف بن محمد بن طملوس، في تصوير حالة الثقافة المغربية الأندلسية وكيف استقبل الغرب الإسلامي علوم الإسلام.

كيف استقبل الغرب الإسلامي علوم الإسلام؟.

نص فريد لابن طملوس تلميذ ابن رشد فيلسوف قرطبة.

يقول **أبو الحجاج يوسف بن محمد بن طملوس**(٢) في كتابه **المدخل لصناعة المنطق** حول استقبال أهل الأندلس للعلوم على اختلافها وهو يمهد للتأليف في علم يجهله أهل الأندلس وهو صناعة المنطق: "إن أهل هذه الجزيرة أعني جزيرة الأندلس عندما دخلها المسلمون في أيام بني أمية،إنما كانت تحتوي على قوم وطوائف من العرب والبرابر ومن استقر فيها من مصالحة النصارى، وكل هؤلاء لم يكن عندهم علم وإنما وصلهم من العلم ما اضطروا إليه في الأحكام ونقل إليهم من التابعين وتابعي التابعين رضي الله عنهم من فروع المسائل فحفظوها ولكون الناس محتاجين إليها ،بسبب الأحكام عظم حاملوها وجل مقدارهم وصار الحاملون لهذه المسائل عند العامة علماء بإطلاق؛ وظنت العوام وأرباب المسائل أن هذا هو العلم الذي يجب أن يطلب و لم يظهر لهم علم سواه فكانت الرياسة في ذلك الزمان بهذا العلم واعتقدوا مع ذلك أن هذا العلم هو العلم الحق؛وأن ما اتصل بهم من المسائل عن الأئمة التي استنبطوها أنها من عند الله تعالى لكونهم إنما قبلوها عن عدل عن الإمام

الذي قلدوه عن رسول الله–صلى الله عليه وسلم، عن الله تعالى،وكان ما يتصرف في المسائل في أول الأمر على مذهب **الأوزاعي** ثم انتقلوا إلى مذهب مالك بن أنس رضي الله عنه،عن جميعهم فغدوا بمحبة هذا العلم والشغف به ونشأوا على تعظيم أهله واعتقاد صدقهم وبغض مخالفيه وذلك أنهم لما كانوا يعتقدون فيه أنه الحق وأنه من عند الله اعتقدوا في مخالفيه الكفر والزندقة، ولما امتدت الأيام وسافر أهل الأندلس إلى المشرق ورأوا هناك العلماء، وأخذوا عنهم المذاهب أعني مذاهب الأئمة المشهورين وكتب الحديث وانقلبوا إلى الأندلس بما أخذوه عن شيوخهم وما جلبوه

من المسائل الغريبة رأوا (كذا) علماء الأندلس–أن ما أتى به هؤلاء الداخلون هو مخالفته الحق الذي جاء به الرسول عن الله تعالى فاعتقدوا لذلك في هؤلاء الواصلين من المشرق بعلم المذاهب المنسوبة إلى الأئمة وبعلوم الحديث أنهم كفار زنادقة وقرروا ذلك عند العوام وعند السلطان وقاموا في طلب دمائهم وهتكهم نصرة لدين الله تعالى على زعمهم.

وأعظم من امتحن على أيديهم من أفاضل العلماء ولقي كل مكروه منهم **بقي بن مخلد** وكادت نفسه تذهب وتمزق كل ممزق لولا الأمير في ذلك الوقت فإنه ثبت في أمره وطالع ما عنده فاستحسنه وكان من جملة الذي أتى به من علم الحديث **مسند ابن أبي شيبة** فأمر الأمير بمطالعة ما عنده والأخذ عنه فانصرف الناس إلى **بقي** قليلا قليلا وأخذوا عنه الحديث وما نقل عن الأئمة وطالت الأيام فعاد ما كان منكرًا عندهم مألوفًا وما اعتقدوه كفرًا وزندقة إيمانًا ودينًا حقًّا.

ودانوا بهذا مدة ودأبوا عليه إلى أن اتصل بهم علم أصول الدين، فاعتقدوا فيه ما اعتقدوه أولا في مذاهب الأئمة من أنه كفر وزندقة، ولذلك قال **القحطاني**، **يا أشعرية يا زنادقة الورى... فعذ من القوم الذين هم أهل السنة والناصرون لدين**

هذه الملة، كفارًا وزنادقة، ثم نسوا أيضًا بهذا المذهب أعني علم الأصول. ودرجتهم الأيام إلى أن طالعوه وتمهروا فيه حتى كان فيه منهم أئمة وعلماء، ولكن بقي في نفوسهم أرباب المسائل أعني أهل الفروع استنكارًا لذلك إلى قريب من زماننا هذا، فإن ذلك الاستنكار لم ينتسخ من نفوسهم بالكلية كما استنسخ استنكار المنكرين لعلوم الحديث قبل ذلك ولكن صار هذا الحامل لهذا العلم آمنًا منهم في نفسه وماله متكلمًا بما شاء من علمه يملي فيه غير مترقب ولا خائف. فصار هذا العلم، وعلم الحديث ومذاهب الأئمة ومسائل الفروع كل ذلك دين الله تعالى، يجب الإيمان به والعمل بمقتضاه ، بعد أن كان فيه ما كان.

ولما امتدت الأيام وصل إلى هذه الجزيرة كتب **أبي حامد الغزالي**، متفننة فقرعت أسماعهم بأشياء لم يألفوها ولا عرفوها، وكلام خرج به عن معتادهم من مسائل الصوفية وغيرهم من سائر الطوائف الذين لم يعتد أهل الأندلس مناظرتهم ولا محاورتهم فبعدت عنه قبوله أذهانهم ونفرت عنه نفوسهم، وقالوا إن كان في الدنيا كفر وزندقة، فهذا الذي في **كتب الغزالي**، هو الكفر والزندقة، وأجمعوا على ذلك، واجتمعوا للأمير إذْ ذاك وحملوا على أن يأمر بحرق هذه الكتب المنسوبة إلى الضلال بزعمهم، وعزموا عليه في ذلك حتى أجابهم إلى ما سألوه منه فأحرقت **كتب الغزالي**، وهم لا يعرفون ما فيها، وخاطب الأمير إذْ ذاك جميع أهل مملكته يأمرهم بحرقها ويعلمهم أنه هو الذي أدَّى إليه نظر العلماء، وقرئت مخاطبته على المنابر وشنع الأمر بذلك تشنيعًا عظيمًا، وامتحن من كان عنده منها كتاب، وخاف كل إنسان على نفسه أن يرمى بأنه قرأ منها كتابًا أو اقتناه، وكان في ذلك من الوعيد ما لا مزيد عليه، وأشهر من امتحن في هذه الثورة **أبو بكر بن العربي** رحمه الله، فإنه صلى بحرها ثم عصمه الله بعد عظيم وفيه معنى قول القائل:**إن ينج منها أبو نصر فعن قدر**.

ثم لم تكن تمتد الأيام إلا قليلاً، وجاء الله **بالإمام المهدي رضي الله عنه** فبان به للناس ما كانوا قد تحيروا فيه، وندب الناس إلى قراءة **كتب الغزالي رحمه الله** وعرف من مذهبه أنه يوافقه، فأخذ الناس في قراءتها، وأعجبوا بها وبما رأوا فيها من جودة النظام والترتيب الذي لم يروا مثله قط في تأليف، ولم يبق في هذه الجهات من لم يغلب عليه **حب كتب الغزالي**، إلا من غلب عليه إفراط الجمود من غلاة المقلدين، فصار قراءتها شرعًا ودينًا بعد أن كان كفرًا وزندقة.

فلما رأيت هذا الذي ذكرته وما جرى عليه أمر الناس في القديم والحديث من إنكارهم أولا ما ألفوه واستحسنوه آخرًا، قلت في نفسي ولعل صناعة المنطق، هكذا يكون حكمها، تنكر أولا، وتستعمل آخرًا وليس هذا ببدع في حقها، إذْ لها التأسي في ذلك بسائر العلوم.

والغرض من الدرس المنطقي من خلال علمين كبيرين من أعلام الجزائر في العصر الوسيط ومطلع العصر الحديث، محمد بن يوسف السنوسي، وعبد الرحمن الأخضري، مجال هذه المحاولة المحفوفة بالمزالق المنهجية ومناهج المؤرخين التي تعتمد الجمع والتوصيف أكثر من النقد والتحليل في مسائل علوم العقل والفكر خاصة.

التمهيد للثورة المنهجية لأشاعرة الغرب الإسلامي

لقد اكتسب الدرس الأصولي أولا مدرسة متكاملة هي المدرسة الأشعرية ممثلة في أقطابها المشارقة، الأشعري، الأسفريني، الباقلاني المالكي الواسطة الأولى لأقطاب المغاربة، أبي عمران الفاسي ، أبي الحسن القابسي، المرادي القيرواني، وتلاميذه والضرير(أبو الحجاج يوسف بن موسى الكلبي السرقسطي (**ت**٥٢٠هـ/١١٢٦م) صاحب المنظومة الشهير"(التنبيه والإرشاد في علم الاعتقاد)وغيره، وعلم الدرس الأصولي الأندلس الباجي، ثم أخيرًا سفير الثقافة المشرقية إلى الغرب الإسلامي محمد بن العربي المعافري صاحب العواصم من القواصم، ومثل تيار الأشاعرة بالغرب

الإسلامي مجموعة من الأسماء اللامعة في الفقه وأصوله ومنهم محمد بن خلف بن موسى الإلبيري وهو من المتكلمين المتحققين، وعبد الحق بن محمد بن هارون السهمي القرشي الصقلي، ومحمد بن علي التميمي المازري الفقيه النظار(٥٣٦هــ/).وبقيت إلى هذا العهد العقيدة الرسمية قبل قيام دولة الموحدين، كانت هي عقيدة أهل التسليم والتفويض، ولقد ارتبطت هذه العقيدة بدخول المذهب المالكي، وتفشت وانتشرت بانتشاره وتفشيه، وعندما قامت دولة المرابطين بقي المذهب العقدي لهذه الدولة هو مذهب أهل التسليم والتفويض، وكان من شأن هذا المذهب أن يجعل سكان المغرب" بمعزل عن أتباعهم في التأويل، والأخذ برأيهم فيهم إقتداء بالسلف في ترك التأويل، وإقرار المتشابهات كما جاءت، حسب تعبير العلامة عبد الرحمن بن خلدون[٤].وبالجملة فإن على المتمسكين بالعقيدة الأشعرية أن يتسلحوا بالأدوات المنهجية الناجعة، وكان من موجبات ترسيم المذهب الأشعري بالغرب الإسلامي اتخذ طابعًا سياسيا فقد كان يعني في هذه المرحلة بالذات القضاء على دولة المرابطين السلفية، التي كرست عقيدة أهل السنة والسلف عقيدة رسمية لها.ولأجل هذا فقد أخذت عملية نشر المذهب الأشعري في هذه الفترة طابع المعارضة النظرية أولا.

أجل فقد كانت المعارضة السياسية لمرابطين عرفت أوجهاً متعددة ومن أبرزها المعارضة النظرية وهي معارضة تقوم على اختيار عقيدة مخالفة ومعارضة للعقيدة الرسمية لدولة المرابطين، واتهامهم بالتجسيم والتشبيه تبعًا لذلك، والتشهير بهم، وتشويه سمعتهم العقدية وإسقاطهم في الكفر لأنهم لا يوحدون الله ولا يترهونه التتريه المطلوب، فكانت هذه معارضة النخبة من أولئك الذين كرسوا مجهوداتهم الفكرية في تثبيت وترسيم هذه العقيدة الجديدة ويتعلق الأمر بمجموعة كبيرة من المفكرين نذكر منهم على سبيل المثال:أبو الحجاج الضرير والمهدي بن تومرت وأبو بكر بن العربي وأبو عمرو عثمان السلالجي(٥٧٤هـ)[٥].

وأصبحت الأشعرية وأعلامها موضع سؤال أمير المسلمين علي بن يوسف،حيث كتب إلى ابن رشد الجد من مدينة فاس يسأل عن الأشعرية ومن انتحل طريقتهم وسمى له فيه جماعة منهم.ونص السؤال:ما يقول الفقيه القاضي الأجل الإمام الأوحد **أبو الوليد** وصل الله تسديده وتوفيقه، ونهج إلى كل صالحة طريقه، في **الشيخ أبي الحسن الأشعري، وأبي إسحاق الأسفريني، وأبي بكر الباقلاني، وأبي بكر بن فورك، وأبي المعالي وأبي الوليد الباجي**،ونظرائهم ممن ينتحل علم الكلام، ويتكلم في أصول الديانات،ويصنف في الرَّدِّ على أهل الأهواء. أهم أئمة إرشاد وهداية، أم هم قادة حيرة وعماية؟ وما تقول في قوم يسبونهم، وينتقصونهم، ويسبون كل من ينتمي إلى مذهب الأشعرية، ويكفرونهم ويتبرؤون منهم، وينحرفون بالولاية عنهم ، ويعتقدون أنهم على ضلالة وخائضون في جهالة؟ ماذا يقال لهم، ويصنع بهم، ويعتقد فيهم؟ أيتركون على أهوائهم أم يكف على غلوائهم؟ وهل ذلك جرحة في أديانهم ودخل في إيمانهم؟ وهل تجوز الصلاة وراءهم أم لا؟ بين لنا مقدار الأئمة المذكورين، ومحلهم من الدين، وأفصح لنا عن حال المنتقص لهم والمنحرف عنهم، وحال المتولي لهم والمحب فيهم.

فأجاب رحمه الله على ذلك بهذا الجواب ونصه من أوله إلى آخر حرف فيه" تصفحت السؤال ووقفت عليه، وهؤلاء الذين سميت من العلماء أئمة خير وهدى، ممن يجب بهم الإقتداء ، لأنهم قاموا بنصر الشريعة، وأبطلوا شبه أهل الزيغ والضلالة، وأوضحوا المشكلات، وبينوا ما يجب أن يدان به من المعتقدات فهم لمعرفتهم بأصول الديانات، العلماء على الحقيقة لعلمهم بالله عز وجل، وما يجب له، وما يجوز عليه، وما ينتفي عنه، إذْ لا تعلم الفروع إلا بعد معرفة الأصول، فمن الواجب أن يعترف بفضائلهم، ويقر لهم بسوابقهم.فهم الذين عنى النبي عليه السلام-والله أعلم-بقوله:"**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه**

تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين" فلا يعتقد أنهم على ضلالة وجهالة إلا غبي جاهل أو مبتدع زائغ عن الحق مائل، ولا يسبهم، وينسب إليهم خلاف ما هم عليه إلا فاسق.

جاء في وصية أبي الوليد الباجي لولديه حول علم الكلام فقال:" وإياكما وقراءة شيء من المنطق وكلام الفلاسفة، فإن ذلك مبني على الكفر والإلحاد، والبعد عن الشريعة والإبعاد" والمراد هنا من علم المنطق المشوب بكلام الفلاسفة وعقائدهم، أما المنطق نفسُهُ مجردًا عن هذه العقائد فعلم نافع ولا شك ويلزم طالب العلم درسُه وفهمه، فهو مقدمة لكل العلوم شرعية وغيرها(٧).

والحقيقة أن الجو لم يكن مهيئًا لأشاعرة الغرب الإسلامي كي يبسطوا سلطاتهم وينشروا مبادئ مذهبهم بسهولة، بل إنهم وجدوا مواجهة قوية ومنظمة، فلم يكن المذهب السابق يعدم منظريه والمدافعين عنه، فهناك لائحة طويلة بمجموعة ممن كانت لهم اليد الطولى في الدفاع عن هذا المذهب والاستماتة في ذلك ومنهم: ابن رشد الجد والقاضي ابن حمدين وابن أبي زمنين، وعبد الرحمن بن عتاب وغيرهم كثير.إذْ كلهم كرسوا مجهوداتهم الفكرية للدفاع عن عقيدة أهل التسليم والتفويض، والتصدي للأشاعرة ما وسعهم في ذلك جهدهم، وحتى تتضح أمامنا الصورة فإن نظرة عابرة على عقيدة عرفت شهرتها في هذه الفترة وزامن ظهورها في هذه المرحلة من الصراع المحتدم بين المذهبين، ويتعلق الأمر بعقيدة"شفاء الصدور"لعبد الرحمن بن عتاب(**٥٢٠هـ/١١٢٦م**)وهي عقيدة متضمنة في كتابه"شفاء الصدور في الوصايا والمواعظ، والتذكير وجمل من الفرائض والفضائل والقرب إلى الله عز وجل والوسائل"(٨).والمتتبع لهذه الكتاب يرى أن ابن عتاب ظل وفيا لمذهبه في الاعتقاد لمنهجه في الاستدلال، وهذا بنصوص من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين، أو أقوال رجال المذهب المالكي، مع الابتعاد المطلق عن الاستدلال العقلي، أو قياس الغائب على الشاهد أو التأويل أو ما أشبه ذلك من

الأمور التي تميز منهجية خصومهم الأشاعرة، وابن عتاب وأضرابه ممن اشتهروا في هذه الفترة، ومع فقهاء قرطبة الذين يشكلون السلطة العلمية والفقهية وعلى رأسهم القاضي الشهير ابن حمدين هم ممن أفتوا بحرق كتاب الإحياء للغزالي، وهو الكتاب الذي أسقط دولة المرابطين وأقام دولة الموحدين(٩).

وتبرز شخصية الضرير (أبو الحجاج يوسف بن موسى الكلبي السرقسطي (ت٥٢٠هـ/١١٢٦م) من خلال منظومته التعليمية، ومحاورها المعروفة هي التأويل العقلي الذي لا يخرج عن موقف الأشاعرة في التأويل، ووضع شروطًا صارمة في قضايا استدلال الشاهد على الغائب، فإذا خرج عن هذه الشروط اعتبر باطلا، وتحدث عن النبوات والإمامة وغيرها، وظلت منظومة الضرير"التنبيه والإرشاد" مجال الدرس المنطقي الأصولي بالغرب الإسلامي وكثر شراحها إلى القرن التاسع الهجري أي إلى عصر الظاهرة العجيبة محمد بن يوسف التلمساني صاحب العقائد وأم البراهين وصغرى الصغرى وغيرها، والشخصية الثانية التي تركت أثرًا كبيرا في ترسيم المذهب الأشعري هو الثائر الموحدي محمد بن تومرت السوسي صاحب المرشدة الذي رسخ المذهب وأطلق عنان العمل بقواعد الأشاعرة الأصولية في الاعتقاد، أما آراؤه الشيعية أو غيرها فإن تأثيرها على مسيرة الفكر الأشعري بالغرب الإسلامي ظل مغمورًا وباهتًا، حتى رفض الساسة من دولته هذه الأفكار وتمردوا عليها أمثال المنصور، والمأمون، والرشيد وصرحوا برفضهم للميول الشيعية لمهدي الموحدين وبخاصة للقول بالمهدوية والعصمة، ظلت عملية الرفض والإنكار متوالية في أوساط الساسة والمفكرين الكبار حتى صار الحكم على ابن تومرت بالضلال بداهة عند أشاعرة الغرب الإسلامي.

وعلى الرغم من صغر حجم عقيدة المرشدة(١٠) .فإنها لاقت اهتمامًا كبيرًا في الوسط الأشعري لأنهم كانوا يرونها عقيدة تعكس أشعرية المهدي بن تومرت، فقد أجمعت الأئمة على حب هذه العقيدة ولا غير، وإنها مرشدة رشيدة لم يترك المهدي أحسن

منها وسيلة، وهذا هو السبب الذي جعل مجموعة من الشارحين يتهافتون على شرحها في فترات زمنية مختلفة وفي أماكن من الغرب الإسلامي متباينة من الأندلس والمغرب والجزائر، وتونس وليبيا والسودان، ومن أهم هذه الشروح:

١. شرح أبي عبد الله محمد بن خليل السكوني الإشبيلي نزيل تونس وهو شرح صغير اعتمد فيه صاحبه على شرح متن المرشدة شرحًا أشعريا مركزًا، قصد منه تأكيد أشعرية المرشدة، ومن خلالها تأكيد الفكر الأشعري في أذهان القارئين لهذا الشرح.
٢. شرح محمد بن إبراهيم بن عباد التلمساني(ت.٧٩٢هـ) وعنوانه الدرة المشيدة في شرح عقيدة المرشدة.
٣. شرح أبي عبد الله بن يوسف الخراط على مرشدة ابن تومرت وضاع هذا الشرح عام ٧٥٦هـ حين دخل النصارى إلى طرابلس الغرب، ومزقوا هذا الشرح وعاثوا في الأرض فسادًا.
٤. شرح أبي عبد الله محمد بن أبي العباس ابن إسماعيل الأموي المعروف بابن النقاش وعنوانه"الدرة المفردة في شرح عقيدة المرشدة"[11].

لقد كان المهدي بن تومرت في حركته الاجتماعية والسياسية داعية موهوب وله آراء في مجال منهج التفكير الشرعي، وأخرى في مجال الفهم العقدي، وثالثة في مجال الأحكام الفقهية، كما كانت له تطبيقات عملية في مجال السياسة والاجتماع[12].

ظاهرة محمد بن يوسف السنوسي وهيمنته على سلك التعليم والدرس الأصولي بالغرب الإسلامي

لقد تميز عصر السنوسي بنجاح الفكر الأشعري في مستويات عديدة، ونجح فقهاء نظار في ربط فن المنطق بالتخريج الفقهي، وقد مثل كتاب الحدود لابن عرفة الورفجومي نقطة تحول كبيرة عند علماء الفقه والأصول شبيهة بما وجده كتاب الإرشاد للجويني عند علماء الغرب الإسلامي من القبول والتفنن في شرحه ونظمه

كما فعل الضرير السرقسطي في منظومته التعليمية التنبيه والإرشاد"، كما قام المازري بتقعيد وشرح برهان الأصول للجويني من ذاكرته، وهي دلالة على عمق الجويني في الاعتماد على كبار الأشاعرة(١٣)

إن المظهر الذي ظهرت به عقائد السنوسي في هذه المرحلة بوأها مكانة عالية في عملية تعليم العقيدة الأشعرية، وتكريسها عقيدة رسمية للبلاد، وذلك نظرًا لبساطة مضامينها ومراعاتها للشروط الموضوعية لهذه الفترة، اجتماعيا ، وفكريا، فكانت بحق مرآة تعكس مستوى التطور العقدي الذي عرفه الغرب الإسلامي في هذه المرحلة والذي طبعه تقهقر وتراجع نوعي، إذ ما قورن بالمرحلة السابقة لا سيما في مرحلة الترسيم والتغلغل، فأصبحت عاد السنوي إلزامية في المدارس والجوامع وقام المدرسون بتكريسها عن طريق تدريسها للغار والكبار ، وكانت الصغرى إلزامية فتلقن للصغار لحفظها عن ظهر قلب، وهذا دليل على هيمنة هذه العقيدة بالضبط على النظام التعليمي بالغرب الإسلامي، لم يسبق لعقيدة أن مارستها فيما قبل.

وأصبح السنوسي ظاهرة في كل الغرب الإسلامي وفي العالم السني الأشعري حتى غدت المرجعية الكلامية وينتصر لها الشراح إذا اختلفوا في أمر يخص علوم التوحيد. ويمكن القول إجمالا أن كل ما كان يحوم حول العقيدة الأشعرية وتعليمها وتكريسها في هذه المرحلة كان يجد مرجعيته في أقوال السنوسي وتوجهاته، ولهذا السبب أخذ هذا الرجل صفة الإمام من طرف جميع من جاء بعده وهذه صفة لا يأخذها في المذهب الأشعري إلا من وصل مرتبة عالية في الإطلاع والاجتهاد داخل المذهب(١٤).

كلمة ختام حول الدرس العقدي وهيمنة السلك السنوسي

لقد رأينا سابقًا أن الإمام السنوسي أكد على ثابت أشعري مغربي هو"نبذ التقليد، ووجوب النظر العقلي في العقائد على العموم، وتعميم المعرفة الكلامية على مجموع أفراد المجتمع عامتهم وخاصتهم واعتبار ذلك شرطا أساسيا في الإيمان، وجاء من

جاء بعده في هذه المرحلة ليسير في نفس الاتجاه، وكان من شأن ذلك أن يخلق نقاشات كلامية، تقارعت فيها الحجج والأدلة، وتباينت في تفاصيلها الأفهام والآراء، ولعل أحسن مثال يمكن أن يعكس بوضوح مدى ما عرفته هذه النقاشات من حرارة عالية حول معنى كلمة الإخلاص، وبنفس عالة هو مثال النقاش الذي دار واحتدم في القرن العاشر بفاس بين ثلاثة من مشايخ النظر في هذه المرحلة وهم أبو عبد الله محمد بن علي الخروبي الطرابلسي نزيل الجزائر(٩٦٣هـ)[١٥] وأبو عبد الله محمد بن أحمد البستني(٩٥٩هـ) وأبو محمد عبد الله الهبطي(٩٦٣هـ) حول كلمة الإخلاص"لا أله إلا الله" و ما اصطلح على تسميته بنقاش الهيللة، أو كلمة التوحيد ، أو الكلمة المشرفة[١٦].

وخلاصة ما نقول حول هيمنة الدرس الأصولي والعقدي في هذا العصر لأن محمد بن يوسف السنوسي[١٧] معلما من معالم تطور المذهب الأشعري في الأصول، وما ألفه في هذا المجال، خير دليل على ذلك فكتابه أم البراهين، لا يشد انتباه الباحث برأي طريف، أو فكرة جديدة، أو طرح جديد لقضية من قضايا الأصول، وإنما بالمنهج المدرسي الذي اتبعه السنوسي باقتدار، وأصبح علامة من علامات الفترة التاريخية التي عاشها السنوسي، أو سبقته بقليل، وما لحقها من فترات، كما أن مختصر السنوسي في المنطق يعد ظاهرة عند معاصريه في اختصار هذا الفن، وما يدل على أهمية مختصر السنوسي في الدرس المنطقي إضافة إلى هيمنة عقائد السنوسي دون مبالغة أن المختصر كان مجال اختصار وشرح العلماء بتلمسان وفاس فقد قام عبد الرزاق بن حمادوش الطبيب الرحالة الجزائري بشرحه واختصاره في رسالة بعنوان "الدرر على المختصر"، وكان ابن حمادوش قد قرأ مختصر السنوسي حينما كان بالمغرب على الشيخ أحمد بن المبارك، وأجازه به، كما صححه في الجزائر على العالم المغربي أحمد الورززي عند زيارة هذا الأخير للجزائر سنة

١١٥٩هـ، وقد أعطاه الورززي شهادة بذلك تدل على براعة ابن حمادوش في معالجة هذا الموضوع[١٨].

لم يعد المفكرون الإسلاميون في هذه الفترة همهم الجديد، أو التجديد، وإنما أصبح همهم في المحافظة على القديم، كما وصل إليهم، كما استقر على يد المفكرين الأوائل الذين صاغوا المذهب الأشعري صياغة كلية، وبلغ نضجه وتماسكه وقوته مبلغًا جعل اللاحق لا يفكر إطلاقًا في الإضافة، بقدر ما يفكر في الطرق التي بها يحافظ على استمرارية هذا القديم، وتبليغه للأجيال القادمة[١٩].

المنطق والدرس الأصولي كما انتهى عند عبد الرحمن الأخضري(٩٢٠-٩٥٣هـ)

عاش الأخضري في القرن العاشر، وكان العصر يعرف بالتحولات الكبرى، وهذا العصر عصر انحطاط كما أشار هو نفسه في السلم المرونق، قال:

وقل لمن لم ينتصف لمقصدي *** العذر حق واجب للمبتدئ

ولبني إحدى وعشرين سنة *** معذرة مقبولة مستحسنة

ولا سيما في عاشر القرون *** ذي الجهل والفساد والفتون

والسلم يمثل المبادئ الأساسية في المنطق، وبدأ الأخضري بتعريف هذا العل فقال إنه آلة قانونية تعصم مراعاهما من الخطأ في الفكر، وبعد ذلك أشار إلى الكتاب والسنة وسلامة العقل وقد ردَّ على الرافضين لفن المنطق بدعوى أنه يحث على الإلحاد زاعمين أن كل من تمنطق تزندق، ثم تناول أنواع العلم الحديث، وأنواع الدلالة الوضعية وهي علاقة المطابقة ودلالة الطعن ودلالة الالتزام، وقد اعتمد عبد الرحمن الأخضري في كتابه السلم المرونق على المؤلفات المتداولة في الثقافة العربية منها"إيساغوجي" لفرفريوس،(شرح أرسطو) وكتاب النجاة لابن سينا، والمستصفى للغزالي والتعريفات للجرجاني ومختصر السنوسي في المنطق، وبسط المعاني وشرح المصطلحات قصد تقريبها من المتعلمين، ولم يدع التجديد والإبداع وإنما أراد أن

يعرف بالقضايا الكبرى وأن يحللها للمبتدئين، وكان غرضه في ذلك كله التعليم في الزوايا والمعاهد والمساجد إلى أن أصبح كتاب السلم من المتون المقررة في جامع الزيتونة والجامع الأزهر وغيرهما في إفريقيا والهند[٢٠].

لقد كان العصر عصر الكوارث والمحن وزمن التخلف وغياب العلماء، حيث انقرض العلماء و لم يبق فيه إلا حثالة الحثالة وغلبت العجمة على قلوب الأنام حتى كاد العلم ينقرض بانقراض أهله[٢١].

يقول الدكتور أبو القاسم سعد الله مقيما حياة عبد الرحمن الأخضري و لم يدع الأخضري أثناء حياته كرامة، ولا كشف ستر ولا إدراك علم الظاهر والباطن، وإنما كان عالما عاملا يؤلف المتون ويشرحها ويجمع الكتب ويفهمها ويجلس للدرس ويخرج التلاميذ، شأن العلماء الصالحين.

لقد كان الأخضري يملك عقلا رياضيا أكثر منه عقلا صوفيا يميل إلى الغموض والروحانية.قال في القدسية والتي هاجم فيها الدجاجلة من المتصوفة، قال الأخضري"

هذا زمان كثرت فيه البدع *** واضطربت عليه أمواج الخدع

وقال أبو زيد عبد الرحمن الأخضري في متصوفة عصره كما نقلها صاحب منشور الهداية من قدسيته[٢٢].

واعلم بأن الخارق الرباني *** لتابع السنة والقرآن

والفرق بين الإفك والصواب *** يُعرف بالسنة والكتاب

والشرع ميزان الأمور كلها *** وشاهد لفرعها وأصلها

والشرع نور الحق منه قد بدا *** وانفجرت منه ينابيعُ الهدى.

لم يكن الأخضري من دعاة التصوف بل كان بمقياس عصرنا مصلحًا ناقمًا على الدجاجلة، لهذا وجد شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون في القدسية ما يشفي الغليل

في أدعياء العلم والولاية من الجهلة والمشعوذين، والقدسية هي التي قام الحسين الورتلاني بشرحها وتدريسها(٢٣).

ومن الواضح أن الأخضري قد أثر بعلمه وسلوكه وتعففه في الأجيال اللاحقة، كما أن الدرس المنطقي والدرس اللغوي والنقد الموجه للدجاجلة من المشعوذين هو الذي طبع سيرة عبد الرحمن الأخضري فغدا علمًا من أعلام القرن العاشر، وانتشرت مختصراه ومنظوماته المنطقية غيرها في المشرق والمغرب، وطبع التعليم الأزهري والتعليم بالزيتونة بطابعه الخاص الذي يعبر عن سمو أخلاق عالم لم يعش إلا ٣٣ سنة كما يذهب إلى ذلك معظم الباحثين وهو لا يزال في سن العطاء.

**** ضميمة ****

متن صغرى صغرى الصغرى

لأبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي(٨٩٥هـ)

قال الشيخ الإمام السنوسي"

اعلم أن مولانا جل وعز واجب الوجود، والقدم والبقاء، مخالف لخلقه، قائم بنفسه غني عن المحل والمخصص ،واحد في ذاته، وصفاته وأفعاله.

وتجب له القدرة، والإرادة، والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام، وكونه تعالى قادرا ومريدا وعالما وحيا وسميعا وبصيرا ومتكلما.

و يستحيل عليه جل وعز العدم،والحدوث وطرو العدم والمماثلة للحوادث، والافتقار إلى المحل والمخصص والشريك وكذا يستحيل عليه جل وعز، العجز والكراهة والجهل والموت والصمم والعمى والبكم.

ويجوز في حقه تعالى فعل كل ممكن أو تركه.

والدليل على وجوده تعالى حدوث العالم.و لو لم يكن قديما لكان حادثا.ولو لم يكن باقيا لكان فانيا.ولو لم يكن مخالفا لخلقه لكان مثلهم. ولو لم يكن قائما بنفسه لاحتاج إلى المحل والمخصص.ولو افتقر إلى محل لكان صفة.ولو احتاج إلى مخصص

لكان حادثا.ولو لم يكن أحدا لكان مقهورا .وهو القاهر فوق عباده .ولو لم تجب له تعالى القدرة والإرادة والعلم والحياة لما كان شيء من خلقه.لو لم يتصف بالسمع والبصر والكلام لكان ناقصا.تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

ولو لم يكن فعل الممكنات و تركها جائزا لانقلبت الحقائق.وقلب الحقائق ،عليه تعالى مستحيل.

وأما الرسل عليهم الصلاة والسلام فيجب في حقهم الصدق والأمانة والتبليغ ويستحيل عليهم الكذب والخيانة والكتمان.ويجوز في حقهم عليهم الصلاة والسلام ما يجوز في حق سائر البشر ، لكن مما لا يؤدي إلى نقص في مراتبهم العليا كالمرض و نحوه.والدليل على صدقهم المعجزات، ولو لم يكونوا أمناء لكانوا خائنين، ولو لم يبلغوا لكانوا كاتمين، وذلك محال.ودليل جواز الأغراض البشرية عليهم مشاهدة وقوعها بهم لأهل زمانهم ونقلت إلينا بالتواتر(٢٤)

الإحالات

(*)مداخلها شارك بها الباحث في ملتقى بسكرة عبر العصور، أيام ٢١-٢٢ -٢٣ ديسمبر ٢٠٠٤م.

(١)-د.عبد المجيد عمر النجار، **فصول في الفكر الإسلامي بالمغرب**، بيروت، دار الغرب الإسلامي، **١٩٩٢**م.ص:١٠٧.

المازري (أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي(٥٣٦هـ)، إيضاح المحصول من برهان الأصول، دراسة وتحقيق الأستاذ الدكتور عمار الطالبي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، **٢٠٠١**م.ص:**٢٥١**.

(٢)-ابن خلدون، المقدمة، النسخة المحققة، بيروت، دار الفكر، **١٤٢٢هـ/٢٠٠٢**م.ص :٤٨٨.

(٣)- ابن طملوس، أبو الحجاج يوسف بن محمد (تـ٦٢٠هـ/١٢٢٣م)**كتاب المدخل لصناعة المنطق**(**الجزء الأول كتاب المقولات، وكتاب العبارة**) وقف على طبعه ميكائيل آسين بلاصيوس السرقسطي، مجريط، مطبعة الأبيرقة، مدريد سنة **١٩١٦** المسيحية.ص ص: **٩**-١٣.

(٤)-الأستاذ يوسف احنانة، **تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي**، المملكة المغربية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، **١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣**م.ص:٧٩.

(٥)- د.محمد الأمين بلغيث، **الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين**، المجلد الأول، أطروحة دكتوراه الدولة مخطوطة، إشراف أ.د.عبد الحميد حاجيات، قسم

التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، **١٤٢٣-١٤٢٤هـ/٢٠٠٢-٢٠٠٣م**.ص: ٢٦٠.

(٦)- ابن رشد، **فتاوى ابن رشد،** تقديم وتحقيق وجمع وتعليق، د.المختار بن الطاهر التليلي، **مسألة رقم**:٢٦٥.ص:**٩٤٣-٩٤٥**.انظر المسألة رقم **١٨٩** أيضًا في نفس الموضوع ص:٨٠٢.-٨٠٤.انظر نفس النازلة والإجابة عنها عند البرزلي ، **نوازل البرزلي،القسم الرابع**،ص: **٢٣٣**وجه.**مسائل أبي الوليد ابن رشد(الجد)** تحقيق التجكاني، الجزء الأول، مسألة رقم:**١٥٣**.ص:٧١٦ وما بعدها.

(٧)- ابن طملوس، **المدخل**، ص:١٣ وما بعدها، أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي(٤٧٤هـ) **وصية الإمام الحافظ أبي الوليد الباجي لولديه رحمهم الله أجمعين**،اعتنى بها جلال علي الجهان، بيروت، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزع ،١٤١٦هـ /١٩٩٦م. ص:٣٨ هامش رقم:٢.

(٨)-توجد نسخة مخطوطة من هذا الكتاب بخزانة يوسف بمراكش تحت رقم **٤٦١**. والنسخة مع الأسف كما وصفها الباحث يوسف أحنانة غير مرقمة كما أن أوراقها غير مرتبة مما يعسر التوثيق بصفحاتها وأرقامها.انظر: أحنانة، **تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي**، المرجع السابق، ص:٨١ هامش رقم:**٥**.

(٩)- د.محمد الأمين بلغيث، **الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين**، المجلد الأول،ص:**٢٥٥** وما بعدها.

(١٠)-أبو عبد الله محمد بن خليل السكوني، **شرح مرشدة ابن تومرت،** تحقيق محمد أحنانة، بيروت، دار الغرب الإسلامي، **١٩٩٣م**.عمر السكوني، **عيون المناظرات،** تحقيق المرحوم الدكتور سعد غراب، تونس، منشورات الجامعة التونسية، **١٩٧٦م**.ص:٢٩٠.

(١١)- يوسف أحنانة، **تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي**، المرجع السابق، ص:٩٣.

(١٢)-عبد المجيد عمر النجار، **فصول في الفكر الإسلامي بالمغرب**، :٨٥.

فارس بوِّز، **دراسة في فكر المهدي بن تومرت الزعيم الروحي والسياسي لحركة الموحدين**، دمشق، دار حازم،٢٠٠١م.ص:٩١.

(١٣)-التنبيه الإرشاد منظومة كاملة للمفكر الأشعري أبي الحجاج محمد بن موسى الكلبي الضرير السرقسطي المراكشي، وهي رجز في ١٦٠٠ بيت كلها على عقيدة الأشعري، ويذهب بعض الناس إلى أنه نهج فيها نهج أبي المعالي الجويني في كتاب الإرشاد، أو أنه حاكاه بالنظم والرجز، بل هناك من قال بنظمه، والحقيقة كما ذهب إلى ذلك من قارن بين الرجز والكتاب يجد فروقًا واضحة، علاوة على أن هناك زيادات واضحة، والصحيح أن الضرير سار على تنظيم قريب من التنظيم الذي نظم به الجويني مضامين كتابه الإرشاد لأن الكتاب كانت له سلطة معرفية كبيرة لكن هذا لا يعني أنه نهج نفس نهجه القد بالقد. أحنانة، **تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي**، المرجع السابق، ص:٨٣. المازري، **إيضاح المحصول من برهان الأصول**، ص:٢٧.(مقدمة المحقق).

(١٤)- أحنانة، **تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي**، المرجع السابق، ص:٢٠٧.

(١٥)-محمد حسين القذافي، **حياة أبي عبد الله الخروبي في طرابلس وتونس والجزائر والمغرب**(أعمال ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي) ليبيا، كلية الدعوة الإسلامية، ١٤٢٩ من وفاة الرسول١٩٩٨ إفرنجي، ص:٢٤٩.

(١٦)- أبو عبد الله السنوسي، **شرح أم البراهين في علم الكلام**، تحقيق وتعليق مصطفى محمد الغماري، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٩م.ص:٨٠ وما بعدها.

(١٧)-انظر ترجمة وافية للسنوسي.محمد بوشقيف، **العلوم الدينية في بلاد المغرب الأوسط خلال القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي**(٩هـ/١٥م) مذكرة ماجستير إشراف الأستاذ الدكتور عبد الحميد حاجيات، قسم التاريخ، جامعة وهران السانية، ١٤٢٥هـ-١٥ ديسمبر ٢٠٠٤م.ص:١٦٦-١٦٩.

(١٨)- د.أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزار الثقافي**(١٥٠٠-١٨٣٠)،الجزء الثاني، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م.ص:١٥٢.

(١٩)- أبو عبد الله السنوسي، **شرح أم البراهين في علم الكلام**، ص:٨ مقدمة المحقق.يقول أبو القاسم سعد الله أن السنوسي قد أثر في أجيال بأكملها وقد أثر على أجيال من المتصوفين بدراسته للعقائد وتحبيبه علم التوحيد للدارسين ودفاعه عن التصوف البدعي. أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزار الثقافي**(١٥٠٠-١٨٣٠)، الجزء االأول،ص:٤٩٩.

(٢٠)-د.أبو عمران الشيخ، ترجمة عبد الرحمن الأخضري،(**معجم مشاهير المغاربة**)، جامعة الجزائر، ١٩٩٥م.ص:٣٢.

(٢١)- شرح الأخضري على نظمه"**السلم المرونق**" القاهرة، ١٣١٤هـ، :٣٨.نقلا عن الجيلالي، تاريج الجزائر العام، الجزء الثالث، بيروت، دار الثقافة، ١٤٠٠هـ/١٩٨١م.ص:٨١.

(٢٢)-شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية**، تقديم وتحقيق وتعليق، الدكتور أبو القاسم سعد الله، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.ص:١٢٢.

(٢٣)-محمد الأمين بلغيث، **الشيخ محمد بن عمر العدواني مؤرخ سوف والطريقة الشابية**، الجزائر،٢٠٠٢م.

(٢٤)- حققها الأستاذ يوسف أحنانة وهي ملحقة بكتابه تطور المذهب الأشعري، المشار إليه أعلاه.ص:٢٦٤-٢٦٥.

سادسًا

مـــــدرســـــــــــة مــــــازونـــــــــة الفقهيـــــــة

خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي وآثارها

(قــــــراءة تاريخية)

مدخل عام

قال ابن العربي صاحب العواصم[1] **معرفًا الفقيه**:والخلق على قسمين:رعاة ورعية، فالعلماء رعاة والجهال رعية والعلماء خلفاء أتاهم الله علمه ورد الخلق إليهم فيما علموا ليسألوهم فقال {اسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون}.ثم قال وهو يتحدث عن اسم الفقيه:

"لم يكن هذا الاسم من المتقدمين موضوعًا وإنما صارت خطــة عند المتأخرين وضعوها في غير موضعها، وقد فسَّرَ النبي-صلى الله عليه وسلم- الفقه في المثل المتقدم الذي بيناه، فكل من كان له به فهو الفقيه، ومن تعدى عليه أو أصلح في وضعه في غير موضعه ووصف به غير أهله يكون ذلك كسائر التغيرات التي حدثت في الشريعة.

إن منهجنا في هذه الورقة، هو مجال التاريخ الثقافي في القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي وما ترتب عنه من نوازل وهموم وجدت لدى فقهاء مدينة **مازونة** أجوبة، وتساؤلات عن عصر التحولات الكبرى التي تعيشها منطقة هامة من العالم الإسلامي هي منطقة الغرب الإسلامي التي تعيش ظروفًا تثير الأسى بحسب الوثائق التي أرَّخَت للعصر بدقة وإحاطة بالظروف السياسية والاجتماعية للمنطقة.وكما أن تحديد حاضرة **مازونة** بالذات لأنها تدخل في عالم الدراسات **المونوغرافية** وهي التأريخ الخاص لعالم الحاضرة، ونسيجها الاجتماعي

والاقتصادي، وكيف عكست نوازل العصر حالة الجزائر الغربية من خلال فقهاء **مازونة وسهل الشلف وتلمسان ووهران**.

في غياب دراسات عن المدن في فضاء الدراسات الحديثة، وإقرار تفاوت مستويات الدراسات المنجزة لحد الآن حول تلمسان وقسنطينة بجاية، ومدينة الجزائر وخميس مليانة، لا يمنع من التأكيد على أن الأعمال المنجزة قد ساهمت في أكثر من مستوى، كاستغلالها المكثف لإمكانيات مصدرية متعددة الأصول، وفي معالجتها للتاريخ الجزائري جهويا ومركزيا من منطلق نظرية تنبع من واقع هذا التاريخ(٢).

وبحكم ما تعلمناه من منهجية مضبوطة فإنه لا يمكن تجاوز الموروث الثقافي الذي من مادته –التي نَوَّهَ بها باحثون لهم مكانة في التأسيس للبناء التاريخي العربي الإسلامي، وهذا الموروث الثقافي من مصادره الدفينة كما عبر العلامة الفقيه محمد المنوني البحاثة المغربي– وهي كتب النوازل أو الفتاوى(٣)، كتب سلاسل وطبقات العلماء والصلحاء، وكتب المناقب والكرامات، وغالبًا ما هُمِّشت هذه المصادر بحكم المنهجية الوضعية المعتمدة على الدفاتر والمراسلات الرسمية والمستندات العائلية والعقود والشواهد الأثرية وغيرها من الوثائق(٤).

وقد أثارت كتب المناقب والأدبيات التقليدية بين الباحثين جدلاً لأنها لا تُرتب ضمن الوثائق والآثار الموثوق فيها، والتي تنزع إلى الذاتية وبذلك تفتقد إلى المصداقية، وأخرى فاقدة لها(٥).

ولكن تطويع هذه الآثار المكتوبة بعد إجراء التعديلات المنهجية الضرورية عليها، قصد استدرار مخزونها التاريخي والأنثربولوجي على السواء، لأنها تسجل ثقافة عصر، كما تطرح كثيرًا من التساؤلات بالغة الأهمية حول الذهنية السائدة، وتحديد آراء النخب الفقهية خاصة ومواقفها من تلك الفترة من تاريخ المغرب.والشئ الظاهر أن المنقبة والرواية الشعبية الشفوية تجد أمامها محك المؤرخ، الذي بإمكانه أن يطوع هذه النصوص لكشف وتركيب الأحداث.

المدرسة الفقهية التي ظهرت إلى الوجود في **مدينة مازونة** بالغرب الجزائري، هي رديفة المدارس المعروفة بالجزائر، بجاية، قسنطينة بإقليم الشرق، تلمسان، مازونة وهران بإقليم الغرب.

عرف الشريف الإدريسي **مازونة** فقال: هي مدينة بين جبل في أسفل، ولها أنهار ومزارع وبساتين وأسواق عامرة ومساكن موفقة ولسوقها يوم معلوم وهي من أحسن البلاد صفة وأكثرها فواكه وخصب. وأما الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف في الدراسات اللاتينية بليون الأفريقي فيقول عن مازونة في رحلته ومعجمه وصف إفريقيا:"**مدينة أزلية بناها الأفارقة–حسب قول بعضهم– على بعد نحو أربعين ميلاً من البحر، تمتد على مساحة شاسعة وتحيط بها أسوار متينة، لكن دورها قبيحة فقيرة، وفيها جامع وبعض مساجد أخرى، لقد كانت مدينة متحضرة جدًّا في القديم، لكنها كثيرًا ما تعرضت للتخريب من قبل ملوك تونس وتارة من قبل الثوار تارة أخرى، وبالتالي من الأعراب، حتى أصبحت اليوم(القرن السادس عشر) قليلة السكان، وهم إما نساجون أو فلاحون وجميعهم تقريبًا فقراء، لأن الأعراب يثقلون كواهلهم بالإتاوات، والأراضي المزروعة جيدة تعطي غلة حسنة**(٦).

وقد أجمع الدارسون أن العصر مدار المداخلة، هو عصر الفتن والحروب بين دول المغرب الإسلامي ورثة حكم الموحدين منذ منتصف القرن السابع الهجري، وأكبر ضحايا هذا الصراع دولة بني عبد الواد بتلمسان، حيث وقعوا بين فكي كماشة ما بين طموحات الحفصيين في تونس، والمرينيين في المغرب الأقصى، كما كان النزاع السياسي على السلطة بين الأسرة العبد وادية قائمًا على أشده، وما زاد في عنف الدولة الزيانية هو صراعها الطويل مع قبائل **بني توجين** وتحالف هذه القبائل مع خصوم الدولة في تلمسان، كما قام الصراع العنيف في الجهة الشرقية في عهد

الحفصيين، وظهرت بالجهة الشرقية حواضر ثلاثة، **قسنطينة وبجاية وبونة** وفي أحيان كثيرة تستقل هذه الحواضر عن الحاضرة تونس، كما عاشت الواجهة البحرية صراعا مريرًا مع الممالك الأسبانية ومملكة البرتغال مما عجل بسقوط غرناطة حاضرة الإسلام المحاصر في أقصى الجنوب الغربي الأوروبي، والصراع الدائر بين الأخوة الأعداء هو الذي عجل بسقوط غرناطة أمام غياب المتطوعة من العلماء والزهاد من أهل العدوة المغربية، وكان الريف يشهد صراعًا قبليا مريرًا مما يدل على محنة المجتمع في القرن العصيب، القرن الرابع عشر، وهو قرن سقوط وتراجع قوة المسلمين وصعود الغرب اللاتيني الكاثوليكي الصليبي الذي نقل لنا أحقاده إلى ديارنا في مطلع القرن السادس عشر.

سلطة القبيلة في عصر المازوني، سلطة قائمة، مبنية على مجموعة من المصالح، لذلك نجد في ثنايا كتابه "**الدرر المكنونة في نوازل مازونة**"، قبائل تابعة للمخزن، تشكل قوة تسلطية قاهرة تتعسف باسم السلطة السياسية القائمة، هي عين السلطان وسيفه المسلول على من عاداه من القبائل الأخرى ورعاياه الحضر في المدن.وهي قبائل محظوظة كما تسميها بعض الدراسات بما تملك من قوة وجاه وسلطان داخل النسيج السياسي والاقتصادي والتي يزيد عدد أفرادها على **٣٠** ألف عنصر جندتهم السلطة المركزية لحماية مصالحها وفرض الأمن ودفع الملزوم وتأديب القبائل الثائرة في عصر بايات وهران الأقوياء.

وقبائل غير عابئة بالسلطان، ومن ذلك علاقة **بني عامر** بباي وهران والسلطة العثمانية، وقد وصفهم صاحب **الدرر المكنونة** بأنهم أهل بغي وفساد، ولا يصلحون بأرض الحكم لأنهم أهل غرض وفساد، وخطاب السلطة في عصر **المازوني** لا يختلف عن خطاب السلطة السياسية في العصر الوسيط عامة بوصفها للمعارضة بأن أصحابها من أهل الفتنة والشقاوة، وشق عصا الطاعة في وجه الشرعية ووحدة

الجماعة التي تزعم السلطة السياسية امتلاكها دون سواها من قوى المجتمع. وهذا خطاب عنيف انجر عنه إقصاء وترهيب لمن يسعى الخروج عن طاعة أولي الأمر والنهي؟

العلاقة بين القبيلة والسلطة ممثلة في باي وهران وقبائل الإقليم قائمة على القوة، لذلك نجد في ثنايا الدرر المكنونة للمازوني، ذكر لغياب السلطة وتعامل القبيلة(بني عامر خاصة) مع الأعراب الآخرين في تهديم الريف وإفساد المزروعات وتحطيم الحواضر لهذا غابت الحملات التأديبية لسلطان الجزائر نظرًا لغياب السلطة السياسية العليا عن المنطقة الواقعة بين طموحات السلطة المغربية وأعراب بني عامر وأعراب بني هلال وسليم. من أجل إخضاع القبائل المتمردة على سلطان المخزن وقوة شكيمته، والالتزام باللازمة وما يتبعها من حق السلطان على رعية خاضعة، وتحقيق شرعية السلطة في قتال المتمردين أو البغاة أو أهل الظلم والفساد عن طريق ممارسات عديدة وخطابات سياسية وفقهية، وعلاقات وطيدة مع من يحقق مصلحة استقرار النظام السياسي بكل الوسائل بما فيها استخدام الشريعة والفتوى.وفي هذا المعنى قال المازوني وهو يعالج مسألة القبيلة بالغرب الجزائري وفي عصر غياب سلطة سياسية حازمة:" وسأل بعض فقهاء بلادنا وهو الفقيه **أبو العباس أحمد المريض**(كذا) سأل شيخه الإمام **ابن عرفة** عن قضية قتال بني عامر وهذا عام (٧٩٦هـ/١٣٨٩م)ونص السؤال على اختصار لبعض ألفاضه:"جواب سيدنا أمتع الله بكم عن مسألة وهي جماعة في مغربنا من العرب تبلغ ما بين فارسها وراجلها قدر عشرة آلاف أو تزيد ليس لهم حرفة إلا شن الغارات وقطع الطرقات على المساكين وسفك دمائهم وانتهاب أموالهم بغير حق ويأخذون حرم الإسلام أبكارًا وثيبًا قهرًا وغلبة وخلفهم، مع أن أحكام السلطان أو نائبه لا تنالهم بل ضعف عن مقاومتهم فضلا عن ردعهم، بل إنما يداريهم بالأعطية والأنعام ببعض بلاد رعيته ونصب أعمالهم فيها وقطع نظر عمال السلطان عن النظر في جنايتها وفصل لأحكامها ثم

هم مع ذلك لا نأمن الوفاق من جانبهم نصبوا الغارات على هذه البلاد التي نحن فيها وقتلوا من عاجلوه وقطعوا الطرقات وطلبوا على قطع رقاب المساكين وأخذ أموالهم وسبي حريمهم، فأمرناهم بقتالهم وصرحنا بأنه جهاد، لما قال في المدونة، فاجتمع الناس على قتالهم، فهزمهم الله وقتل منهم خلق كثير، فأنكر ذلك علينا بعض المنتمين للعلم بهذه البلاد، بل كلهم ، فاستظهرنا عليهم بنصوص أهل المذهب كنص المدونة وما في آخر جهاد "الجلاب"....الخ.

هكذا كانت وضعية فقهاء العصر مع وضوح الدليل من المذهب في قتال الأعراب وقطاع الطرق.وتراجعت الزراعة وخربوا الريف، وزادت اللازمة والضريبة بشكل مخيف وزادت الأسعار عن المعقول، وانتشر التصوف البدعي بالريف والمدينة.وهو ما سجلته دواوين الفقه والنوازل في هذا العصر العصيب.

« يقول شيخ المؤرخين الدكتور **أبو القاسم سعد الله** ووسط هذه الصورة المضطربة للحياة السياسية كانت هناك بعض المدن تنمو بعدد سكانها وتشع بمدارسها ومساجدها وثقافة يتغذّى منها المجتمع روحيًّا وعقليا، ومن هذه المدن نذكر تلمسان وقسنطينة وبجاية ومازونة والجزائر وعنابة وبسكرة، ففي كل مدينة من هذه المدن عائلات وجيهة عالمة اشتهرت بالعلم والتأليف والدرس أو الزهد والتصوف.ومن هذه العائلات عائلة المقري والعقباني في تلمسان، وعائلة ابن باديس والقنفذ في قسنطينة، وعائلة المنجلاتي والمشذالي في بجاية، وعائلة ابن السكات بمدينة الجزائر، كما اشتهرت بسكرة بعلمائها أبي زيان ناصر بن مزني وعيسى بن سلامة و**أبي محمد عبد الله** المعروف بقصيدته في المديح النبوي(٧):

دار الحبيب أحق أن تهواها* وتحن من طرب إلى ذكراها**

أعلام مدرسة مازونة الفقهية

لم يصلنا عن أعلام الجهة الغربية من القطر الجزائري إلا القليل من الأخبار التي لا تفي بالمطلوب، كما هو الحال مع علماء بجاية وناشر ذكرهم الغبريني في عنوان الدراية، أوكما فعل شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون صاحب منشور الهداية مع أعلام مدينة قسنطينة، أو أحمد بن قاسم البوني (١١٣٩هـ/١٧٢٦م) في منظومته المعروفة باسم**"الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة" التي نشرها ابن أبي شنب في التقويم الجزائري سنة ١٣٣١هـ/١٩١٣م**.أو في كتابه الهام **التعريف ببونة إفريقية بلد سيدي أبي مروان الشريف**.

فإذا تصفحنا طلوع سعد السعود للآغا بن عودة المزاري، فإننا لا نكاد نعرف الكثير عن أعلام المنطقة الغربية، إلا ما كتب ابن صعد في النجم الثاقب في ما للأولياء من المناقب، وروضة النسرين في مناقب الأربعة الصالحين(الهواري، التازي، أبركان،والغماري وابن مريم صاحب البستان، ومقارنة مع ما عرفت المنطقة من علماء في تلمسان ومعسكر وسهل الشلف وقلعة بني راشد وسهل غريس وغيرها من المناطق، فإننا نكاد نجهل تاريخ المنطقة الثقافي، ومدرسة مازونة الفقهية تشمل شخصيات وأعلام تخرجوا في هذه المدرسة أو هم أصلا من أبناء هذه الحاضرة.

أبرز أعلام هذه المدرسة الفقهية.

أبو زكرياء يحيى بن موسى (أبي عمران) ابن عيسى بن يحيى أبو زكريا المغيلي المازوني وهو فقيه مالكي من أهل مازونة من أعمال وهران، ولي قضاء بلده، توفي بتلمسان سنة ٨٨٣هـ/١٤٧٨م.له الدرر المكنونة في نوازل مازونة وهي فتاوى ضخمة في ديوانين في فتاوى معاصريه من أهل تونس وبجاية والجزائر وتلمسان وغيرهم ومنه استمد الونشريسي مع نوازل البرزلي وغيرها.رحل إلى تلمسان حاضرة بني زيان، فأصبح أحد أبرز وجوهها العلمية في الفقه المالكي.

تتلمذ المازوني على جلة من العلماء وهم:

والده موسى بن يحيي بن عيسى الفقيه الأجل والمدرس المحقق والقاضي المحقق صاحب كتاب"ديباجة الافتخار".كما أخذ المازوني العلم عن ابن مرزوق الحفيد(٨٤٢هـ/١٤٣٨م)، وقاسم بن سعيد العقباني(٨٥٤هـ/١٤٥٠م)، وأبي العباس أحمد بن زاغو المغراوي(٨٤٥هـ/١٤٤١م)[٨]، وأبو عبد الله القاضي الشريف المدعو حمو الشريف(٨٣٣هـ/١٤٢٩م).

قال أحمد بن يحيى الونشريسي صاحب المعيار تلميذ المازوني :"الصدر الأوحد العلامة العلم الفضال ذي الخلال السنية، سني الخصال شيخنا ومفيدنا وملاذنا وسيدنا، ومولانا وبركة بلادنا أبي زكريا سيدي يحيى.وهو من العلماء الكبار الذين تناولوا الفتوى، وأصبحوا مرجعية فقهية، و لم يتوظف بعلمه عند السلطة.وكانت فتاوى المعيار والمازوني دائرة على فقه مالك بن أنس، لأنه المذهب الذي كان يتبعه جميع السكان باستثناء أتباع المذهب الإباضي[٩].

وهكذا أصبح العلماء والقضاة، حسب نوازل المازوني، هم الذين يقومون بالسهر على تنفيذ القانون، وأنَّى لهم ذلك في مجتمع يسوده الفساد والاضطراب[١٠].

وعرفت مازونة بعدد من الفقهاء أمثال موسى بن عيسى صاحب "**ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار**"، و"**حلية المسافر وآدابه وشروط المسافر في ذهابه وإيابه**"وهي من المجامع الفقهية الكبيرة المفقودة، وابنه يحيى صاحب الدرر المكنونة في النوازل المذكور أعلاه، أما مدينة الجزائر، فقد اشتهرت بزاهدها وعالمها **عبد الرحمن الثعالبي**، وتلميذه **أحمد بن عبد الله الجزائري الزواوي** (ت.٨٨٤هـ/١٤٨٠م)صاحب اللامية المشهورة في العقائد التي شرحها الشيخ السنوسي(٨٦٥هـ/١٤٥٦م)، كما اشتهرت وهران بالعالمين المتصوفين محمد الهواري وتلميذه **إبراهم التازي وأبي العباس أحمد بن أبي جمعة المغراوي الوهراني**

(٩٢٠هـ/١٥١٤م) **صاحب الفتوى الشهيرة إلى الموريسكيين** من أهلنا بالأندلس و"**جامع جوامع الاختصار والبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان**" في تربية الأولاد وتعليمهم وولده **أبي عبد الله محمد بن أحمد المغراوي الوهراني** المعروف **بشقرون الوهراني**، صاحب "**الجيش الكمين لقتال من كفر عامة المسلمين**" **وصاحب منظومة في القراءات التي نظمها حسب المحقق البوعبدلي عام** ٨٩٩هـ/١٤٩٤م.

المازوني:أبو زكريا يحيى بن موسى بن عيسى المغيلي المازوني (ت.٨٨٣هـ/١٤٧٨م).صاحب **الدُّرَر المكنونة في نوازل مازونة** المتكون من ديوانين كبيرين من حوالي ٧٠٦ ورقة(الديوان الأول:**٥١٦** ورقة، والثاني **١٩٠** ورقة) موجودة بالمكتبة الوطنية الجزائرية بالحامة مع ضياع الورقة **١٩٤** و**١٩٥** وجه وظهر إلا أن الميكروفيلم المصغر قد حفظ لنا الديوان كاملا.بلغني تحقيقها من طرف الباحث **مختار حساني من جامعة الجزائر**،من مدة طويلة إلا أنها لم تعرف النور إلى كتابة هذه السطور، ونبهنا إلى أهميتها الباحث الفرنسي **جاك بيرك** في دراسته القيمة حول توبة الأعراب، كما كان يشيد بأهميتها الأستاذ **مولاي بلحميسي**، في دروسه كلما استفز فينا روح الجد والاجتهاد للقيام بنسخها وتحقيقها.

وأفادني المازوني في معالجة اهتمامات فقهاء الإسلام في مسألة العلاقات الإسلامية مع دول الغرب أيام **الطرطوشي** منذ فتواه الشهيرة حول تحريم الكاغد والجبن الرومي واعتبر سلعهم نجسة، وهي تدخل ضمن القضايا السياسية والثقافية التي عرفها الغرب الإسلامي منذ عصر المرابطين، قال المازوني وسئل الإمام الحافظ سيدي أبو عبد الله بن مرزوق وقيل له جواب سيدنا في الكاغذ الرومي هل يجوز استعماله والنسخ فيه أم لا؟ لأن بعض الناس قال: "**إنه نجس لآنهم يعملون بأيديهم المبلولة النجسة على مقتضى المدونة ومقتضى القياس على ما نسجوه"فقال ما**

لاح لي فيها بمقتضى نصوص المالكية، إن لم يكن متفقا على طهارته عندهم فعلى الأقل من أن يكون مختلفًا فيه...(هكذا).كما سجل المازوني انحراف المرابطين أصحاب الزوايا والرباطات القائمة في ريف الغرب الإسلامي، مع تشدده مع أعراب بني عامر وأعراب بني هلال وسليم ودعا إلى قتالهم لأنهم أشد على المسلمين من المشركين، وهو بذلك لا يخرج عن دائرة المذهب في موقفه من أهل الفتنة وقطاع الطريق ومثيري الشغب في وجه الحجيج والسابلة وكل مواطني الدولة الإسلامية من المسلمين وغيرهم. كما عالج **المازوني** بنقله لفتاوى **الطرطوشي** حول تجديد كنائس النصارى بتونس، والأندلس، وهي ظاهرة تطرق لها فقهاء العصر **كابن الحاج، وابن رشد الجد، وابن سهل**، وتشددوا في عدم السماح لهم بتجديدها، وخالفهم في هذه الفتوى **ابن الحاج** الذي أبدى تسامحًا كبيرًا أشرنا إليه في محله في دراسة سابقة لنا، وتجددت القضية كما هو معروف مع علماء العصر وكيف كانت فتوى ابن زكري والشيخ السنوسي هي دعامة عبد الكريم المغيلي في هدم كنيس اليهود بتمنطيط رغم معارضة فقهاء فاس وفقيه توات **العصنوني**(١٣).
لقد استمد أبو زكريا يحيى المازوني نوازله وأحكامه من مهذب والده، كما استمد من المهذب جل من اعتنى بنوازل العصر، والمهذب مادة مصدرية في الوثائق والأحكام، وعلى الرغم من هذه المكانة العليا فلا يزال مغمورًا لا يعرف الكثير من الباحثين المهتين بالنوازل وكتب الأحكام والفقه والتاريخ عنه إلا قليلاً(١٤).

وأبرز **المازوني** مكانة العلماء في المجتمع الإسلامي مشيرًا إلى أنهم صلاح الأمة بعد صلاح الحكام، كما عالج المازوني مواقف علماء السلف من الفرق العقدية كالمعتزلة والخوارج والأشاعرة، كما تطرق إلى البدعة والبدع في العقيدة والسلوك ومواقف العلماء منها كالسبحة والميزان وضرب خط الرمل، وإنكار علماء عصر المرابطين على **الغزالي** إباحته لبعض هذه المستحدثات في حياة المسلمين وعلى رأس

المستنكرين -كما سجل **المازوني** في نوازله- **ابن العربي المعافري**(١٥).لقد ترك العصر بصماته على شخصية الفقيه النوازلي المازوني مما أفادنا فائدة كبيرة عن حالة الريف والمدينة بما فيها أقاليم أخرى في شرق البلاد، كبجاية وريف الصومام، مبرزًا عادات وتقاليد العلماء والرعية والمتصوفة والمرابطين الذين انحرفوا عن رسالة المتصوفة فقد سجل عليهم انحرافهم عن الشرع وأحكامه.وأورد في هذا فتوى **عبد الرحمن الوغليسي**، الذي سئل عن مرابطين يتقدمون على أصحابهم فيحددون ما يجب عليهم من الزكاة أو قطيع الأرض للرجل المذكور أو شبهه إما ثلاثين ذهبًا أو أربعين أو أقل أو أكثر ويترك لهم...فهل تجوز لهم التمسك بذلك، أجاب الوغليسي بعدم الجواز لأجل الفقه والجاه، والضعفاء والمرضى أولى بزكاة هؤلاء(١٦).

لقد كان لعلماء مازونة الدور الكبير في المحافظة على تماسك المجتمع ووحدته في مواجهة أهل الزيف والانحراف، وقد عاصر وتتلمذ عليه كبار فقهاء القرن العاشر الهجري من أمثال العلامة **أحمد بن يحيى الونشريسي** صاحب المعيار الذي ترك سيرة حسنة وعلمًا ينتفع به إلى اليوم.

مدرسة مازونة العلمية:

يرجع الفضل في بروز مدينة مازونة إلى الوجود كحاضرة علمية إلى الهجرة الأندلسية التي استقرت بها فأسست بها هذه الجالية الموريسكية زراعة وصناعة فأصبحت شبيهة بقراهم ومدنهم الأندلسية وكنا قد أشرنا في عمل سابق لنا أن كل مدينة تظهر بالمغرب الأوسط ناتجة عن استقرار الأندلسيين الفارين بدينهم من أسبانيا ومحاكم التفتيش، وعلى سبيل التمثيل لا الحصر نذكر الهجرة الموريسكية إلى مازونة، فبها ظهرت مدرسة مدينة مازونة التي أقامها **الشيخ محمد بن الشريف البولداوي**، وهي نموذج من نماذج مدارس الجهة الغربية من المغرب الأوسط(١٧).

ثم أسس الفقيه العارف محمد بن علي الشارف المازوني مدرسة تربوية بمازونة في بداية القرن الحادي عشر الهجري، وقام بالتدريس فيها إلى أن لقي ربه، ثم تجدد ازدهار المدرسة على يد الشيخ أبو طالب محمد بن علي، في بداية القرن الثاني عشر الهجري، وخلفه على المدرسة أخوان من أبرز تلامذة المدرسة هما: الشيخ **محمد بن هني** وشقيقه الشيخ **عبد الرحمن بن هني**(١٨).

أما أشهر طلبة هذه المدرسة فهو الفقيه العالم **محمد أبوراس الناصر المعسكري** المولود عام **١١٥٠هـ/١٧٣٧م** بقلعة بني راشد قرب معسكر، استوعب علوم عصره وكان من طلبة مازونة النجباء، توفي عام **١٢٣٨هـ**/١٧ أبريل **١٨٢٣م**.ترك ثروة فقهية وعلمية كبيرة وسلسلة طويلة البعض مفقود والبعض مخطوط، فقد خلف وراءه مائة وستة وثلاثين مخطوطة بين قصيرة وطويلة، ولم يطبع منها إلا اثنان(١٩). الأول: **فتح الإله ومنته في التحث بفضل ربي ونعمته أو حياة أبي راس الذاتية والعلمية**، نشره محمد بن عبد الكريم الجزائري رحمه الله بالجزائر عام **١٩٩٠م** والسيرة في حوالي **١٨٥** صفحة من الحجم الكبير، وهي سيرة مميزة تدخل في باب السيرة العلمية، وهي تجربة غنية صادقة عن حواضر وأعلام الجزائر في عصر أبي راس الناصر المعسكري، وهو الذي عاصر قرني المصاعب والكوارث خلال القرنين الثامن عشر وعقدين من القرن التاسع عشر، والكتاب الثاني/عجائب الأسفار وقد طبع مترجمًا إلى الفرنسية من طرف السيد أرنو.نشر كاملا عام **١٨٨٥م**، بعد أن نشره على حلقات في **المجلة الإفريقية**.

ومما يبرهن عن أهمية مدرسة مازونة الفقهية ما جاء على لسان أبي راس الناصر قال سألني الشيخ **محمد بن لبنة** عن وجهتي، فقلت له ذاهب إلى **مازونة**، قال لما؟ قلت: لقراءة الفقه، فقال: والقرآن؟ فقلت له: نعرفه بأحكامه وأنصاصه وما يتعلق به، فحفظت في مازونة مختصر خليل وفهمته معنى ولفظًا في عامي الأول، ثم قرأت

للطلبة الفرائض، وتتلمذ على الشيخ العلامة الناصح **محمد بن القندوز المستغانمي**[20]، الذي تتلمذ عليه **محمد بن علي السنوسي المستغانمي** بعد أن حفظ قدرًا من الكتاب والفقه على يد كفيلته العالمة الفاضلة عمته فاطمة في **بوقيرات**،وكان هذا العالم الفذ سيدي محمد بن القندوز قوالا للحق فقتله الباي حسن، مما أدى إلى هجرة السيد السنوسي الكبير الفقيه مجدد سيرة **محمد بن عبد الوهاب** بالغرب، في ليبيا والجزائر وتشاد والصحراء الكبرى.

وممن درس وتخرج في مدرسة مازونة الشيخ عدة بن غلام الله مجدد الطريقة الشاذلية ومؤسس الزاوية في جبل مخنون بضواحي تيارت، منهم محمد بن العالم قاضي منطقة **بركان**، والمأمون بن العالم باش عدل وجدة، بالمغرب الأقصى.

أبو راس الناصر شخصية علمية محترمة صال وجال مشرقًا ومغربًا، ومحمد أبو راس الراشدي المعسكري(**١١٦٥–١٢٣٨هـ/١٧٥١–١٨٢٣م**) وما يعنينا أنه ممن اهتم بانتمائه إلى ثورة **درقاوة** على السلطة العثمانية عام ١٢١٧هـ/١٨٠٢م وهو من وجهاء وأعيان الجزائر في عصره وقد كتب(**درء الشقاوة في حروب درقاوة**) وهي الحروب التي عرفت أيام ولاية مصطفى باشا على الجزائر.وأشار إلى ثورة درقاوة، وهي ثورة عنيفة كادت تعصف بالسلطة العثمانية، وقد تكون الثورة بإيعاز من سلاطين المغرب، وقد ألف فيها أبو راس كتابًا هو في حكم المفقود[21].

إن الاختلاف الواقع بين الباحثين حول مصطلح مدرسة، يرجع بالضرورة إلى المناهج المعتمدة في فهم ما يمكن أن نعرف من المصطلح، وقد اتفق أهل الفقه مثلا أن المدرسة المالكية تتكون من الشيوخ والعلماء والفقهاء الذين كونوا الميراث الفقهي للمذهب المالكي وهم مدرسة الأثر من الصحابة من عمر وابنه وعلماء المدينة السبعة من التابعين إلى إمام دار الهجرة مالك بن أنس الأصبحي

(ت.١٧٩هـ/)، ثم المدرسة المصرية عبد الرحمن بن القاسم وأضرابه ومن أخذ عنه أقاويل مالك بن أنس إلى تأسيس المرجعية الفقهية الممثلة في المدونة.

المدرسة المغربية ممثلة في أسد بن الفرات وعلي بن زياد وابن حبيب وغيرهم من علماء إفريقية والأندلس، وهؤلاء جميعًا، يمثلون مصادر المالكية ومرجعيتهم الفقهية مع ما تميز به كل تيار وبلد في نقلهم وشرحهم واجتهاداتهم داخل مصادر المالكية عامة[٢٢].

لقد كانت **مازونة** مدرسة وحاضرة فقهية، ولا نعدم البحث في تراث هذه الحاضرة التي كانت في يوم ما عاصمة بايلك الغرب الجزائري فنعثر على مصادر دفينة تمكننا من سد فجوات كبيرة في ميراثنا الفقهي خاصة والعلمي عامة.

إحالات الدراسة

(١)- أبو بكر محمد بن العربي المعافري، **سراج المريدين، الجزء الثاني**، رصيد المكتبة الوطنية بباريس، ورقة:٢٦وجه.

(٢)-لقد أصبحت العناية بالفتاوى ومسائل العلماء مادة مصدرية ثرية لإعادة تركيب الحدث التاريخي وقد نبه إلى هذه الأهمية غالبية من درس هذا الموضوع وتمكن باحثون من الاستفادة من الفتاوى في دراسة الحياة الاجتماعية والاقتصادية والمذهبية في الغرب الإسلامي.انظر الدراسة الخاصة بالعدواني في هذا الكتاب.

(٣)-لطفي عيسى، **أخبار المناقب في المعجزة والكرامة**، تقديم علي اللواتي، تونس، سراس للنشر، ١٩٩٣م.ص:٦.

لطفي عيسى، **مدخل لدراسة مُميزات الذهنية المغاربية خلال القرن السابع عشر**،تونس، سراس للنشر ، ١٩٩٤م.ص:١٧ وما بعدها.د.إبراهيم القادري بوتشيش، **واقع الأزمة والخطاب" الإصلاحي" في كتب المناقب والكرامات(دراسة تطبيقية على الأزمة الموحدية في أواخر القرن السادس الهجري وبداية السابع(تاريخ الغرب الإسلامي، قراءاتُ جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة)**، بيروت، دار الطليعة، ١٩٩٤م.ص ص:١٠٦—١٢٢. إبراهيم القادري بوتشيش، **دور المصادر "الدفينة" في كشف الجوانب الحضارية المنسية للمدينة المغربية(دراسة تطبيقية حول مدينة مراكش من التأسيس إلى أواخر عصر الموحدين(تاريخ الغرب الإسلامي)**، مرجع سابق، ص ص:١٢٣—١٤١.

Sami Bargaoui ; L'hagiographe et l'historien :les pièges de l'écriture ;à propos de la publication de l'ouvrage d'Al-mountasir B.al-mourabit B.Abi Lihya alGafsi, Nour al-Armash fi Manaqib al-qashshash,étude et établissement du texte par Hassine Boujarra et lotfi Aissa; Librairie al-Atika, Tunis, 1998 P:585.in-Correspondances (Institut de Recherche sur le Maghreb Contemporain N° 57 juillet -août-septembre Tunis 1999 p:3 et suivantes.

(٤)- من أهم الدراسات المنجزة في هذا المجال، انظر: د.مصطفى أحمد بن حموش، **المدينة والسلطة في الإسلام، نموذج الجزائر في العهد العثماني**، دبي، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، **١٩٩٩م**.(**٣٢٠**صفحة).فاطمة الزهراء قشي، **قسنطينة المدينة والمجتمع في النصف الأول من القرن ١٣هـ/١٨-١٩م**، دكتوراه الدولة، جامعة تونس الأولى، سنة **١٩٩٩م.٦١٨** صفحة(دراسة خطية).

(٥)- ***Magali Morsy, Les Ahnsala examen du rôle historique d'une famille maraboutique de l'atlas marocain, Préface maxime Rodinson, Paris, Mouton ١٩٧٢.p:٥ et suivantes.***

لطفي عيسى، **أخبار المناقب**، ص:٦.من تقديم **الأستاذ علي اللواتي**.

انظر أيضًا عن علاقة الزاوية والولي بالسلطة:

Yassine Karamti, La ville, les saints et le « Sultan » étude sur le changement social dans la Région de Nefta(Tunisie)aux XIX et XX siècles , Librairie al-Atika,Tunis , 1998 P:585.in-Correspondances (Institut de Recherche sur le Maghreb Contemporain N° 56 -Mai-Juin-1999 Tunis, p:3 et suivantes.

(٦)-تقع مازونة على بعد ٦٠ كلم غربي مدينة الشلف وكانت حاضرة ثقافية وعلمية في العهد الزياني كما كانت مقرًّا لبايلك الغرب في فترة من فترات التاريخ العثماني انظر: الحسن بن محمد الوزان الفاسي، **وصف إفريقيا**، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، القسم الثاني، بيروت، دار الغرب الإسلامي، **١٩٨٣م**.ط.٢.ص:٣٦.انظر عن مازونة بالتفصيل:

Belhamissi(moulay), Histoire de Mazouna(des origines à nos jours) Alger, SNED.1981.P:25-37.

(٧)- د.سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**(٤٥/١).

(٨)– ابن زاغو: هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الشهير بابن زاغو المغراوي التلمساني، الإمام المحقق المتفنن العابد، له شرح على التلمسانية في الفرائض وله فتاوى في المعيار، والدرر المكنونة توفي في الرابع عشر من شهر ربيع الأول سنة ٨٤٥هـ/ ٢ أوت ١٤٤١م) نيل الابتهاج، ص١١٨.أبو الحسن القلصادي (٨٩١هـ/١٤٨٦م)، **رحلة القلصادي المسماة تمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل**، تحقيق ودراسة محمد أبو الأجفان، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٨م.ص:١٠٥.الفكر السامي للحجوي، الجزء الثاني ص/٢٥٧.محمد بن محمد مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، بيروت، دار الكتاب العربي، ص:٢٥٤. ترجمة رقم:٩٢١.

(٩)– د. أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**(١/٣٩٢).

(١٠)–نفسه، ١/٤٣.

(١١)– الجيلالي عبد الرحمن بن محمد، **تاريخ الجزائر العام**،**الجزء الثاني**،بيروت، دار الثقافة، ١٩٨٠م.ط.٤.ص:٢٣٧.

(١٢)–وقع خلط كبير في تواريخ وفاة أحمد بن أبي جمعة المغراوي، صاحب الفتوى الشهيرة لموريسكيي الأندلس، وكتاب"جامع جوامع الاختصار) واقترح رابح بونار وجلول البدوي أن الوفاة كانت عام ٩٢٠هـ/١٥١٤م)، كما وهم البعض في مؤلفات الابن شقرون الوهراني صاحب الجيش الكمين ومنظومة في القراءات، فجعل الباحث يوسف عدار وفاته عام ٩٢٩هـ/ ١٥٢٤م)وهذا أيضًا مما يدعو إلى الحيرة هل توفي الابن شقورن لتسع سنوات بعد وفاة الوالد؟ انظر :أحمد ابن أبي جمعة المغراوي(ت.٩٢٠هـ/١٥١٤م)،**جامع جوامع الاختصار والبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان**، تحقيق تعليق أحمد جلول البدوي ورابح بونار، الجزائر، ذخائر المغرب العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٧٥م.ص:٦. الأستاذ

يوسف عدار، **أصول أحكام النظر والتقليد عند علماء المغرب الإسلامي في القرون التاسع والعاشر والحادي عشر**، مع تحقيق(الجيش الكمين لشقرون الوهراني)، رسالة ماجستير إشراف/أ.د.عمّار جيدل، كلية أصول الدين، جامعة الجزائر، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.ص:٣٤١.د.محمد الأمين بلغيث، **شذرات من تاريخ مدينة البليدة الثقافي**، ص:٦٨. قال المهدي البوعبدلي أن نظم منظومة التقريب وهي في ٣٠٢ بيت عام ٨٩٩هـ/١٤٩٤م. المهدي البوعبدلي، **اهتمام علماء الجزائر بعلم القراءات في القديم والحديث**، كتاب الأصالة(محاضرات ومناقشات ملتقى الفكر الإسلام الخامس عشر(ملتقى القرآن الكريم، من ٢ إلى ٨ ذو القعدة، ١٤٠١هـ/١-٧.سبتمبر ١٩٨١.) الجزء الأول، قسنطينة، الجزائر، مطبعة البعث.ص:١٥١.

(١٣)- محمد بن عبد الكريم المغيلي، **مصباح الأرواح في أصول الفلاح**، تقديم وتحقيق الأستاذ رابح بونار، الجزائر، سلسلة ذخائر المغرب العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، أكتوبر ١٩٦٨م.ص:١٥.محمد بن عبد الكريم المغيلي، **أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي**، تقديم وتحقيق الأستاذ عبد القادر زبادية، الجزائر، سلسلة ذخائر المغرب العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٧٤م.ص:٨-٩.

(١٤)-د.بوبة مجاني، **كتب النوازل والأحكام مصدر للتاريخ الاجتماعي، العصر الزياني نموذجًا**(التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور (أعمال ملتقى دولي في التاريخ) ٢٣-٢٤ نيسان- أفريل سنة ٢٠٠١م.قسنطينة منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري، قسنطينة،الجزائر، ٢٠٠٢م.ص:١٤٨.

(١٥)- د.محمد الأمين بلغيث، **الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين**، المجلد الثاني، أطروحة دكتوراه الدولة مخطوطة، إشراف أ.د.عبد الحميد حاجيات، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، ١٤٢٣-١٤٢٤هـ/٢٠٠٢-٢٠٠٣م.ص:٦-٧.

(١٦)- د.محمد حسن، **المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي، الجزء الأول،** جامعة تونس الأولى،١٩٩٩م.ص: ٢٠. المازوني، **الدرر المكنونة في نوازل مازونة، السفر الأول،** رصيد المكتبة الوطنية الجزائرية بالحامة، ورقة:١٥٣ وجه.

(١٧)- ***Belhamissi(m), Mazouna, une petite ville, une langue histoire, Alger, SNED, ١٩٨٢.P: ٤٩.***

حنيفي هلايلي، **الموريسكيون الأندلسيون في المغرب الأوسط خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين،** رسالة ماجستير مخطوطة، إشراف: أ.د.عبد الحميد حاجيات، جامعة وهران، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، السنة الجامعية ١٩٩٩-٢٠٠٠م.ص:١٩٩.

(١٨)-د.بوعبد الله غلام الله، **نظرة عامة على التعليم الأهلي في سهل الشلف خلال النصف الأول من القرن العشرين** (أعمال الأسبوع الوطني الثالث للقرآن الكريم) الجزائر، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م ص:٣٧.

(١٩)-راجع مؤلفات أبي راس الناصر/ محمد أبو راس الجزائري، **فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته(حياة أبي راس الذاتية والعلمية)** حققه وضبطه محمد بن عبد الكريم الجزائري، تقديم د.أبو القاسم سعد الله، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٩٠م.ص:٢١. يحي بوعزيز، **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، الجزء الثاني،** بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٥م.ص:٢٣٤-٢٤٤.

(٢٠)-أبو راس الناصر، **فتح الإله(سيرة أبي راس)**ص:٢٠-٢١.

(٢١)- انظر: أبو راس الجزائري، **فتح الإله ومنّته في التحدث بفضل ربي ونعمته،**(مقدمة الدكتور أبو القاسم سعد الله)د أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي،** الجزء الأول، ص:٢٢٢.عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام،**

الجزء الرابع، ص:٥٦٩ وما بعدها. د.محمد الأمين بلغيث، **الشيخ محمد بن عمر العدواني، مؤرخ سوف والطريقة الشابية**، الجزائر، مارس ٢٠٠٢م.ص:٧٦.

(٢٢)–انظر المدرسة الأندلسية.د.محمد الأمين بلغيث، **الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين**، المجلد الأول، ص:١٠٧وما بعدها.

سابعًا

النَّسَقُ الثَّقَافِي للسُّلْطَةِ في الجزائر وتونس من خلال تاريخ العدواني.

مدخل عام

إن **تاريخ العدواني** مادة مصدرية ووثيقة حيَّة عن الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية التي عرفتها منطقة واسعة من بلاد المغرب، تمتد من طرابلس الغرب إلى الجزائر الشرقية، خاصة صحراء سوف وبايلك الشرق خلال القرن السابع عشر ومطلع القرن الثامن عشر.

وبحكم ما تعلمناه من منهجية مضبوطة فإنه لا يمكن تجاوز الموروث الثقافي الذي من مادته التي نَوَّهَ بها باحثون لهم مكانة في التأسيس للبناء التاريخي العربي الإسلامي، وهذا الموروث الثقافي من مصادره الدفينة كما عبر العلامة الفقيه محمد المنوني البحاثة المغربي، وهي كتب النوازل أو الفتاوى[١]، كتب سلاسل وطبقات العلماء والصلحاء، وكتب المناقب والكرامات، وغالبًا ما هُمِّشت هذه المصادر بحكم المنهجية الوضعية المعتمدة على الدفاتر والمراسلات الرسمية والمستندات العائلية والعقود والشواهد الأثرية وغيرها من الوثائق[٢].

وقد أثارت كتب المناقب والأدبيات التقليدية بين الباحثين جدلا لأنها لا تُرتب ضمن الوثائق والآثار الموثوق فيها، والتي تنزع إلى الذاتية وبذلك تفتقد إلى المصداقية، وأخرى فاقدة لها[٣].

ولكن تطويع هذه الآثار المكتوبة بعد إجراء التعديلات المنهجية الضرورية عليها، قصد استدرار مخزونها التاريخي والأنثربولوجي على السواء، لأنها تسجل

ثقافة عصر، كما تطرح كثيرًا من التساؤلات بالغة الأهمية حول الذهنية السائدة، وتحديد آراء النخب ومواقفها من تلك الفترة من تاريخ المغرب.والشئ الظاهر أن المنقبة والرواية الشعبية الشفويةتجد أمامها محك المؤرخ، الذي بإمكانه أن يطوع هذه النصوص لكشف وتركيب الأحداث.

إلا أننا قبل البدء نقول دون تقريرية أن تاريخ العدواني نص في غاية الأهمية لمعرفة السلطات التي تتنازع الشارع أو المجتمع في المغرب العربي أو أشكال السلطة، من سلطة الفقهاء؛ إلى سلطة السلاطين؛ إلى سلطة الشيخ على مريديه؛ وداخل هذه السلطات نتعرف على إمكانيات وأدوات التحكم التي تسيطر على العقلية المغربية وأساليب كل فئة في المجتمع، من هيمنة وسيطرة وتوجيه.

كتاب العدواني؛ هو من صنف التقاييد التي تمثل لونًا من ألوان التآليف الرائجة في عصر انكفاء مثقف عصر العدواني، على رؤيا تترع نحو الأسطورة، والخرافة، والعجائب والغرائب[٤].

هذه النصوص ومنها **كتاب العدواني** تتحدث بصدق عن ثقافة العصر الذي نحن بصدد الحديث عنه، ولهذا أقترح موضوع:" **النسق الثقافي للسلطة في الجزائر وتونس من خلال تاريخ العدواني**"خلال القرن السابع عشر أو القرن الثامن عشر للميلاد[٥] وهو العصر المفترض حسب تحقيق شيخ المؤرخين الدكتور أبو القاسم سعد الله لزمن الشيخ العدواني المؤرخ، ومن خلال النصوص والأمثلة المنتقاة بدقة، سأعالج السلطات التي تتنازع البقاء وتوجه المجتمع في المغرب العربي عمومًا، والجزائر وتونس بالخصوص.

الإشكالية المطروحة في هذه البحث تسعى إلى فهم وتحديد السلطات التي تتنازع طبقات المجتمع في كل من **الجزائر وتونس** في عصر العدواني أي القرن

السابع عشر أو القرن الثامن عشر كما يحتمل أن تكون المرحلة التي ظهر فيها تاريخ **محمد بن عمر العدواني** مؤرخ **صحراء سوف والطريقة الشابية**.

والشيء الذي يمكن أن يطرح في هذه الإشكالية أن التاريخ الإنساني عمومًا والمغربي خصوصًا، يعتمد في بعض مراحله على الأسطورة الموغلة في النسق الثقافي ولهذا لا يمكن أن نتعرف على الأفكار التي كانت تشكل النسق الثقافي للسلطة.
السلطة في عصر العدواني تتقاسمها مجموعة من القُوى الفاعلة في المجتمع هي:

- **سلطة البايلك** في الجزائر وباي تونس العثماني أو السلطة المركزية في الشرق الجزائري والإيالة التونسية.
- **سلطة القبيلة** في فضاء الجزائر وتونس، والقبيلة وحدة سياسية واجتماعية لعبت الأدوار المركزية في حركة المجتمع من خلال العصبيات أو القاعدة الصلبة لقيام الدول أو إمارات مستقلة"متغلبة"[٦] خارج دائرة السلطة المركزية، وغالبًا ما تمتد في الدواخل والقلاع والحصون والصحاري الشاسعة البعيدة عن سيف السلطان ومخزنه وضريبته الرسمية وغير الرسمية[٧].
- **سلطة شيخ الطريقة** أو الفقيه أو سلطان العلم.أو مولى الساعة وسأعالج في ثنايا هذه الورقة العلاقات المتداخلة بين هذه السلطات الثلاث إن صح التعبير، سلطة الباي والمخزن، سلطة القبيلة، سلطة الشيخ والمريد، ونتائج الصراع بين كل طرف من هذه الأطراف.

لا يمكن فهم السلطة في **الجزائر وتونس** إلا إذا تتبعنا منهجيا أنواع السلطات الفاعلة في عصر **محمد بن محمد بن عمر بن عبد الله العدواني الرحماني مؤرخ سوف والطريقة الشابية** لأن الخطاب السياسي تصنعه معالم متعددة متنازعة في فضاء المنطقة ونسيجها الإجتماعي والثقافي الذي هو من مكونات النسق الثقافي للسلطة في هذه المرحلة التاريخية الحساسة أو مرحلة التحولات الكبرى[٨].

المخزن وممارسة السلطة في الجزائر وتونس،

محاولة في تركيب المسار التاريخي

قد لا يسمح **كتاب العدواني** الإحاطة بشكل كامل وشامل وتوضيح خصائص النظام السياسي في كل من **الجزائر الشرقية، وتونس،** ومع ذلك فإن الكتاب يعطي للقارئ لمحة حية ولوحات نابضة بالحياة عن تجربة إنسانية مؤثرة تصور أسلوب مثقف ذلك العصر (عصر العدواني مؤرخ سوف) في مواجهة قهر السلطة وفوضى البنية الاجتماعية وسط مناخ مأسوي مطبق، أصبح فيه الأمل في الخلاص ضربًا من المعجزة.

ويتبين من ربط أحداث حاضر **العدواني** من خلال كتابه جدِّ صعب، حتى صعب علينا الجزم بالمرحلة التاريخية التي عاصرها مؤرخ سوف، بدقة كاملة فتبين لي أن الانقطاع عن حاضره يفضي ضرورة إلى العودة إلى عصر الصفاء والتأسيس لتاريخ وجغرافية المنطقة وأن الماضي يبقى أحْرى بالعناية من الحاضر والمستقبل معًا، لأنه مصدر الموعظة والزمن المثالي الذي ارتقت تجاربه وأحداثه إلى مرتبة النموذج لهذا تبقى رؤية النخبة سقيمة ومشدودة إلى الخلف والاستهانة بالحاضر لأن الخوف من السلطان القائم ، ألجمه عن الكتابة والتدوين(٩).

إن النسق الثقافي للسلطة السياسية القائمة في **الجزائر وتونس** قائم على الشوكة والقوة والاستبداد ، لهذا يقع الانقطاع الموضوعي في تركيب الأحداث التاريخية، ولأن مراد أو صاحب تونس أو صاحب قسنطينة دلالة على العصر العثماني في **الجزائر وتونس،** وتبدو لهجة العدواني صارمة أحيانًا ومرات أخرى لا يجرأ عن ذكر صاحب **تونس.**

قال **العدواني اللُّجي** المؤرخ يصف حالة تونس ووصف حاكمها **التركي:**-" قال: قلت له: أخبرني أنت رجل عاقل، فإن أرضي ضاقت علي بما رحُبت، وأردت

الانتقال منها إلى أخرى، قال لي عليك بثلاثة قُرى، فإن لم يكن ثلاثة فيهن(أي أطلب منك عدم الإقامة في أي واحدة من هذه المدن الثلاث)قلت له: ما هن؟ يرحمك الله؟ قال لي **توزر وأسفاقص وتونس،** قلت له: وهذه ثلاث اختار واحدة منهن ، قال لي: ما رأيت خيار، قال لي: فتونس خيار البقع، ورعاياها تركي أمير بن أمير بن أمير، قلت له ما اسمه؟ قال لي: ربما يفشي خبري فيلزم علي ما يلزم، ولكن أرمز عليك حروف اسمه ، أوله حاء ، وآخره هاء ، ويقول الدكتور أبو القاسم سعد الله معلقًا على هذه الإجابة، " وقد سألت **الشيخ محمد الطاهر التليلي** عن هذا الرمز فاقترح اسم **حمودة**" وكان **"حمودة باشا"** قد تولى تونس رسميا عام ١٠٤١هـ/١٦٣١م، وجاءه اللقب سنة **١٠٦٥هـ/١٦٥٦م**" مثلما ذهب إلى ذلك محقق **تاريخ العدواني** وعلى إثر وفاة **مراد الثاني ابن حمودة باشا** الذي حكم ما بي**ن ١٦٦٦–١٦٧٥**م دخل الحكم في تونس في صراع عنيف على السلطة[١٠].

ومن هذه الإشارة رجَّح محقق الكتاب عصر **العدواني** بالقرن السابع عشر أو مطلع القرن الثامن عشر، والإشارات التاريخية الواردة في تاريخ **العدواني** قليلة للتثبت من أحداث عصره التاريخية التي عاصرها، لأن أقرب الأحداث الحاضرة في تأليف **مؤرخ سوف والطريقة الشابية،** هو تاريخ دخول قسنطينة تحت سلطة الدولة العثمانية، وهي المرحلة التي يؤرخ لها بدقة **الشيخ الفكون صاحب منشور الهداية** المعاصر للعدواني، حيث تعود أولى المحاولات العثمانية للسيطرة على إقليم الشرق الجزائري وحاضرته قسنطينة حسب بعض الدراسات المختصة، كما جاء في "تاريخ بايات قسنطينة لفايسيت ***Vaysettes***"[١١]، تعود إلى سنة **١٥٢٧**م، وهو مجهود لم يعقبه سوى استقرار ظرفي منذ سنوات الحملات التي قادها **" قارة حسن"** مساعد "خير الدين باشا" داخل بايلك الشرق الجزائري ، ويجب انتظار تاريخ

١٥٣٤م أي موعد الإنزال الذي قامت به القوات العثمانية بعنابة حتى تسترجع قسنطينة ارتباطها بهم بعد فاصل حكم حفصي دام اثنتي عشرة سنة[١٢].

يمكن اعتبار انقسام العائلات الوجيهة داخل **قسنطينة** إلى شقين واحد محافظ سيتشبث بولائه القديم تجاه **الحفصيين،** وتقوده عائلة عبد المؤمن[١٣]، والثاني منفتح على العثمانيين ومساند لحضورهم ترأسه **العائلة الفكونية**[١٤]، قال **ابن العطار** في **"تاريخ قسنطينة""وكان رأس الممتنعين الشيخ الكبير ذو النسب الشهير سيدي عبد المؤمن ورأس الراضين بدخول الأتراك العالم الجليل سيدي عبد الكريم الفقون"**[١٥] وقد حقق العثمانيون أهم نتيجة من خلال التباعد بين وجهات النظر حول السلطة الجديدة بالجزائر، وتناقض مصالح العائلات الوجيهة، وقد أبدت العائلات المحافظة إلى غاية **١٥٥٨م** تحفظًا تجاه السلطة الجديدة، مما أدى بشيخ الجماعة بمدينة قسنطينة رفض تقلد خطة القضاء التي عرضت عليه، مما أدى بالحكم الجديد إلى اختيار **عائلة الفكون** لتكون الحليف الجديد فتمكنت هذه العائلة الوجيهة من الارتقاء في الجاه والسلطان، كما كان مصير **عبد المؤمن الاغتيال**[١٦]، ويبدو أن انخراط حضر قسنطينة وعائلة الفكون ، قد شجع العثمانيين على التوغل في الدواخل وتوفير الطاعة بالمناطق التلية، والتقدم نحو الجنوب الشرقي في محاولة لإنهاء تحصن أولاد صولة بجبال الزاب، ومن حسنات **العدواني** أنه أسعفنا في تحديد الحيز الجغرافي الذي عاد إلى أكبر التجمعات القبلية بهذا الإقليم، **فالذواودة** كان مجالهم الجهة الجنوبية الشرقية، بينما تحصن **الحنانشة** وحلفاؤهم مثل **النمامشة وقرفة ومرداس ودريد** بالمناطق الأكثر انفتاحًا على الشمال(عنابة سوق أهراس)، وقد عادت مشيخة العرب إلى **آل بوعكاز** المنتسبين إلى فصيل **أولاد صولة، من الذواودة**، وحافظ **الحنانشة** ومن حالفهم على ولائهم التقليدي تجاه **الشابيين**

بالقيروان والجريد التونسي، حيث امتد سلطانهم إلى عين شبرو عشرين كلم شرق **تبسة**(١٧).

والحنانشة قبيلة عربية عتيدة تقطن نواحي **الأوراس وتبسة وسوق أهراس وشمال غرب تونس** وكانت ذات نفوذ كبير على قبائل أخرى،ويسمي **لورونت فيرو الحنانشة بالحرار** وهي عائلة(كذا) كانت إلى حوالي ١٨٣٠م هي صاحبة النفوذ الواسع على مدى الحدود التونسية وهذا بمنطقة الحنانشة ومن أبرز العائلات **أولاد خليفة، وأولاد ناصر، أولاد سلطان، أولاد بوعزيز، وأولاد إبراهيم، ومنذ التاريخ المذكور أعلاه حلت محل الحرار عائلة (الرَّزْقِي) على رأس الحنانشة.**

وحسب شهادة الحاج **أحمد بن المبارك بن العطار** أحد أعلام قسنطينة الخبير بقضايا الإقليم فقد وقع توافق في توزيع السلطة في إقليم الشرق الجزائري، وهو ما أخبرنا عنه أيضًا الشيخ العدواني إجمالا كما سلف أن ذكرنا، حيث أن مشيخة العرب عادت إلى **الذواودة** التي تمتد سلطتهم من جبال الزاب إلى شط الحضنة، في حين يرجع إلى **الحنانشة** الذين يضم حيز انتجاعهم كلا من **تبسة** ، **سوق أهراس، وقالمة** وظيف قبلي رسمي يعادل سلطة نظرائهم **الذواودة** ، أما إمارة الإقليم فتبقى من مشمولات الأتراك، تساعدهم العائلات الوجيهة داخل المجلس الشرعي أو مجلس الجماعة،وفي هذا يقول **الحاج أحمد بن المبارك بن العطار**،حينما اتفقت القوى المحلية والسلطة التركية على صلح بينهم" بأن يكون الترك بقسنطينة ويكون تصريف الوطن بينهم أثلاثًا ، ثلثه لابن علي شيخ العرب وثلثه لشيخ نجع الحنانشة، وثلثه لحاكم الترك، وتعاهدوا على هذا واصطلحوا عليه ومن ذلك الوقت بقيت العادة إلى وقتنا أن الباي إذا أتته خلعة الولاية من الجزائر يلبسها هو الأول ثم يبعث بها إلى شيخ العرب، وبعده إلى شيخ الحنانشة، ويعرف وظيف الحنانشة بوظيف القفطان لأن ولايتهما كولاية الباي"(١٨) ويبدو أن الحنانشة قد عانوا من الولاء

المزدوج بين السلطة السياسية العليا في تونس ، وبين الولاء لبايلك الشرق الجزائري، وقد ورد نصٌّ في غاية الأهمية في **تاريخ العدواني** حيث قال الهادف وهو شخصية محورية في تاريخ المنطقة كما هو مفصل في ثنايا تاريخ العدواني قال: "ياحنَّاشي، أنت لك نصف إفريقية ولك نصف قسنطينة لأنك بين علامين؟ غليظين ملوكته(كذا) ، عن صاحب **تونس** ، وقلة معاملتك نقص" وعلق المحقق فقال " **من الحذر أن تبقى دائمًا على علاقات طيبة مع جاريك الإثنين ، يعني حاكم تونس وحاكم قسنطينة**".

وتذكر الدراسات التاريخية أن العمل الذي قام به **الآغا حسن**[١٩] هو الذي سيعيد تشكيل الخريطة السياسية بهذا الإقليم، خاصة بعد أن نجحت السلطة العثمانية بالجزائر في قمع انتفاضة **١٥٦٨م** التي أعقبتها بحملة تأديبية ضد الأطراف النافرة من حضورها، بعد أن غُرِّمت المدينة، وعينت على رأسها بايلكًا جديدًا في شخص" رمضان بوشلاق" حسب **هايدو**[٢٠].

وقد كان الحسم النهائي كما أسلفنا سنة **١٥٧٢م** تلك التي عرفت مقتل زعيم عائلة عبد المؤمن وتشتت حلفائه **أولاد صولة**، وتنظيم بايلك الشرق، حسبما جاء في **تاريخ قسنطينة للحاج أحمد بن المبارك بن العطار**[٢١]، ويظهر صدى تنظيم البايلك منذ نهاية القرن السادس عشر، غير أن الولادة العسيرة للنظام المؤسس في بايلك الشرق قد حسم الحدود الشرقية، بعد التوازنات التي ستعرفها أقصى الحدود الشرقية، أثناء تأديب أولاد خليفة في الحمامات وعين شبرو، والنمامشة في **خنشلة**، وفشل ثورة الأوراس الشابية أو صاحبة التوجه الشابي[٢٢] ، كما تحدث عنها **العدواني المؤرخ**، وحديث العدواني عن **طرود ودريد والهمامة والحنانشة وأولاد صولة، أو صولة وزناتة** وغيرها، حديث عن البداوة التي لا تعرف الحدود، ومن حب للحرية، والبحث عن المجال الحيوي للعيش والرعي والفروسية، والغزوات

والدفاع عن المرأة والشرف والبحث عن مكان بعيد عن السلطة والضرائب والمضايقات السلطانية[٢٣].

تبدو ملامح القرن السابع عشر أو الثامن عشر كافتراض لعصر **العدواني** من خلال النظام أوالسلطة السياسية ، هو قرن الكارثة وزمن القرن العصيب، والإنطباع الأول الذي يخرج به قارئ **تاريخ العدواني**، هو الشعور بالإنقباض الذي لا يخلو من الإنبهار الفطري ،خاصة بعد أن تُرسم في أذهاننا مشاهد مسلسل" الأهوال" المتعددة خلال عصر **العدواني**، ولا تخلو الإنطباعات التي نخرج بها من قراءتنا للمادة الإخبارية **للعدواني** من إثارة التساؤل عن الصورة المهولة، البشعة التي وصفت بها السلطة السياسية، وهذا ليس معناه الإستهانة من القناعة التي نحملها لأهمية المادة الإخبارية والمعلومات التي تحدثنا عن أحوال الناس، وأخلاقهم وكل سلوكات هذا المجتمع الذي يعيش في دائرة مغلقة[٢٤].بل العكس تمامًا فتاريخ العدواني وكتب المناقب العاصرة له التي ساعدتنا في قراءة أخبار وأحوال المجتمع في هذه المرحلة ، أعادت لنا رسم الصورة ولو شبه باهتة ، إلا أنها تغطي مكانة كبيرة من الفراغ المهول الذي تعانيه المرحلة التاريخية التي غابت فيها المصنفات المعاصرة التاريخية التي تساعد على خشف خبايا التحولات الكبرى للمجتمعات العربية في المنطقة.

لم تسعفنا الوثائق والأخبار المنقبية والدفاتر الأرشيفية عن علاقة هذا المجتمع بغيره من الأحداث التي تعرفها الضفة الشمالية، وحتى وإن عرفت السلطة السياسية، ما يقع في الدول الأوروبية الصاعدة **كالبرتغال وأسبانيا** وأثناء التحولات الإقتصادية والعلمية التي استخدمت ضد مصالحنا، رغم ما هو معروف عن تفوق البحرية في تونس والجزائر والمغرب، في الحوض الغربي للمتوسط، حيث كان

العصر، عصر المصاعب والمتاعب والتحولات الكبرى، خاصة بعد اكتشاف الأوروبيين المسيحيين لتقنيات السفن البخارية في مطلع القرن التاسع عشر(٢٥).

وما نملك من معلومات في عصرنا أن الغرب وفرنسا بالذات حامية الكنيسة الكاثوليكية ، هي مدبرة الحملات الصليبية على الغرب الإسلامي منذ منطقة كولونيا، وخلال القرن السابع عشر كانت نظرة فرنسا واضحة المعالم من خلال رجال الدين المبشرين والجواسيس الذين نازعوا ملك فرنسا الثالث عشر في علاقة المودة التي ربطته بسلاطين آل عثمان، وأهم عمل عرف عن مدننا الساحلية خاصة **"الجزائر البيضاء" "الجزائر المحروسة" وتونس** ، قد جاء من عملين ورحلتين معروفتين وهي شاهد على العقليات الأوروبية عامة والفرنسية خاصة في القرن السابع عشر والثامن عشر وهو العصر المفترض لتاريخ **محمد بن عمر العدواني مؤرخ سوف والطريقة الشابية** هما: الرحلة والنظرة الأولى يقدمها الأب المهندس ورجل الدين **دان**(***Dan***) والثانية وجهة نظر الراهب **كوبان**(***Coppin***) وهي انطباعات ومواقف إيديولوجية راسخة في الجدل المسيحي الإسلامي في القرنين السابع عشر والثامن عشر، وقام الراهبان **دان وكوبان** للحيلولة دون دوام السلم القائم بين الدولة العثمانية وفرنسا التي من المفروض بحسب نظرة الراهبين هي رأس الحربة لحرب صليبية في هذه المرحلة والقضاء على الجزائر المحمية أو المحروسة كما يسميها الراهبان أكثر من ضرورة من أجل الكنيسة والكرسي البابوي ، ونفس الجدل وإن كان بصورة محتشمة نجده عند العدواني الذي يتحدث من مجاهل الصحراء عن إنزال مسيحي وسيطرة مسيحية على المنطقة(٢٦).

إن السلطة السياسية في تونس خاصة، سلطة منحرفة، مستبدة تابعة للنصارى في الخارج واليهود(٢٧) في الداخل، ويبدو ومما ذهب إليه المؤرخ أبوالقاسم **سعد الله** أن الصورة السوداء التي وصف بها السلطان هي نتيجة لصدى الدعوة الشابية ضد

العثمانيين، وهي الدعوة التي حملها محمد المسعود الشابي، وابنه **علي**، وحفيده بوزيان، إلى نواحي **سوق أهراس والكاف وباجة والأوراس**(٢٨).

سلطة القبيلة في عصر العدواني

ورد المصطلح قبيلة في القرآن الكريم بصيغة الجمع، وتعرض إليه **النويري** في ترتيبه النوعي للمجموعات البشرية ، إذْ تدرج من الجذم إلى الجمهور إلى الشعب إلى القبيلة إلى العمائر، ثم البطون، فالأفخاذ، فالعشائر والفصائل وأخيرًا الرهط، على أن تحديد المفاهيم يختلف من مصدر إلى آخر(٢٩).

النظام الإجتماعي في المغرب أساسه القبيلة، الوحدة الأساسية والنمط السائد في الريف المغربي، خلال عصر **العدواني**، والظاهرة القبلية(٣٠)، تبرز المستوى الإقتصادي والإجتماعي للبدو في الريف والصحراء في فضاء المغرب الكبير،وقوة القبيلة تظهر من مكانتها الإقتصادية، والعسكرية والخدمات التي تقدمها للسلطة القائمة، وهذه المكانة هي التي ترفع ذكرها، وتسجل جاهها في حياة المجتمع، ولا أريد أن أعيد طرح المفاهيم المختلفة للقبيلة كما هو وارد في الدراسات السلالية والاجتماعية والاقتصادية.

فهذا الموضوع تناوله غيري بتفاصيل كثيرة مع الإختلافات الكبرى بين المدرسة الغربية الأنجلوسكسونية التي تروج لما يعرف "**بالنظرية الانقسامية**" من خلال دراستها لمجتمع قبائل آيت عطا وعلاقتها **بالزاوية الحنصالية** وتسعى هذه الدراسة إلى قراءة هذه النظريات وتصحيح بعض المفاهيم التي روجت لها المدرسة الأنثروبولوجية، ولعل القاسم المشترك بين الدراسات الغربية يكمن في إحدى الخلاصات التي توصل إليها أصحابها، وهي أن القبيلة المغربية قامت على مبدأ التضامن والمساواة وانعدام التراتب الاجتماعي، وهذا معناه أن المجتمع المغربي اتسم بالسكونية والتطور البطئ، وقد أثبت بعض الدارسين المغاربة هشاشة النظرية

الإنقسامية كما رد علماء الاجتماع والتاريخ من أمثال **الباحث عبد الله حَمُّودِي** ، والمؤرخ والمفكر **عبد الله العروي** على أشهر دارسي هذا الموضوع من المدرسة الأنجلوسكسونية مثل **"جيلنير"** (***Gellener***) **وويستربوري**(***Wasterbury***) مما يغنينا عن طرح هذا الجدل من جديد[٣١].

لأن التفاسير الإجتماعية التي تبنّاها "مورغن" مفاده **نظرية التجزئة** "إذْ تقسم **"نظرية التجزئة"** المجتمع إلى أجزاء متساوية أساسها القرابة الدموية الحقيقية أو المزعومة، فالقبيلة مكونة من مجموعة عشائر، وهي عبارة عن مجتمع كامل التنظيم يمتاز بانحداره من أصل واحد وبوجود اسم خاص به ولغة وسلطة ومنطقة جغرافية خاصة، وتفسر نظرية التجزئة الإنقسامات داخل القبيلة بالهجرات الناتجة عن قلة الموارد والإنفجار السكاني[٣٢]. وفي هذا المجال جاء ذكر القبيلة في قوله تعالى: { يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم}(الحجرات الآية رقم١٣.)

لا أريد أن أكرر غيري ممن لهم باع طويل في تحديد الأنساب ومضارب القبائل واختلافها وانتمائها، فقد قلنا أن تراثنا المخزون الكافي، من **ابن الكلبي**، إلى **ابن عبد البر** حافظ المغرب والأندلس و**ابن حزم وابن خلدون** إلى **جواد علي** قد أسهبوا في رسم الصورة الكاملة للقبيلة والدور الذي تقوم به كعصبية وقاعدة صلبة للدولة التي تظهر إلى الوجود، أو الدور الذي عرَّفه **محمد عابد الجابري** من خلال كتابه الخطاب السياسي العربي، وخاصة حينما تعامل مع موضع حساس هو **"القبيلة والغنيمة"**، أو ما قام به **جاك بيرك**[٣٣] من خلال عمله المتميز" **في مدلول القبيلة بشمال إفريقيا**"؟ أو **إبراهيم القادري بوتشيش**[٣٤]، القبيلة في العصر الوسيط، أو الدراسات الراقية لإيفان بريتشارد(***Evans Pritchard.***)[٣٥] المتخصص في قبائل طرابلس الغرب، و**الحركة السنوسية**[٣٦]، وهذا موضوع تشق

من أجله المهج، وموضوع قابل للنقاش، مع علماء الاجتماع والتاريخ والسياسة، والأنثروبولوجية، لكن سأكتفي -في هذا المحور من الدراسة- بتحديد دور القبيلة في تحقيق شرعية السلطة السياسية من خلال **عصر العدواني** أو النزاع القائم حول السيادة والمال والجاه والشرف.

إن أول ما كتب **العدواني**، رغم أننا نشك في أن النص المنشور تبدو عليه منهجية جديدة في التأليف، وكذلك غياب التقاليد المعروفة في المصنفات التراثية، حيث أن المؤلف يسجل في ديباجة مطولة دواعي الكتابة والمنهج المتبع والتسلسل الموضوعي حتى في كتب المناقب والكرامات، نجد منهجية متبعة وغاية مقصودة وأما تاريخ العدواني فقد بدأ صفحته الأولى بأنساب وأوطان بعض القبائل، وعمارة سوف وأجوبة ومسائل وفوائد شتى، هذا يدل على أولويات فرضتها قوة القبيلة في الفعل التاريخي، ولا أقصد من أمر القبيلة إلا الدور السياسي الذي تمارسه في فضاء جغرافي محدد بعصر العدواني، وهذا في **تونس والجريد وصحراء سوف وانتجاع الحنانشة والأوراس وقسنطينة**.

سلطة القبيلة في عصر العدواني، سلطة قائمة، مبنية على مجموعة من المصالح، لذلك نجد في ثنايا كتابه ، قبائل تابعة للمخزن(٣٧)، تشكل قوة تسلطية قاهرة تتعسف باسم السلطة السياسية القائمة، هي عين السلطان وسيفه المسلول على من عاداه من القبائل الأخرى ورعاياه الحضر في المدن.وهي قبائل محظوظة كما تسميها بعض الدراسات بما تملك من قوة وجاه وسلطان داخل النسيج السياسي والاقتصادي والتي يزيد عدد أفرادها على **٣٠** ألف عنصر جندهم السلطة المركزية لحماية مصالحها وفرض الأمن ودفع الملزوم وتأديب القبائل الثائرة.

وقبائل غير عابئة بالسلطان، ومن ذلك علاقة **طرود** بصاحب إفريقية، وقد وصفهم صاحب إفريقية بأنهم أهل بغي وفساد، ولا يصلحون بأرض الحكم لأنهم

أهل غرض وفساد كما عبر صاحب تونس حسب تاريخ العدواني،وخطاب السلطة في عصر **العدواني** لا يختلف عن خطاب السلطة السياسية في العصر الوسيط بوصفها للمعارضة بأن أصحابها من أهل الفتنة والشقاوة، وشق عصا الطاعة في وجه الشرعية ووحدة الجماعة التي تزعم السلطة السياسية امتلاكها دون سواها من قوى المجتمع.وهو خطاب عنيف انجر عنه إقصاء وترهيب لمن يسعى الخروج عن طاعة أولي الأمر والنهي؟

العلاقة بين القبيلة والسلطة المركزية في **تونس، وقسنطينة** قائمة على القوة، لذلك نجد في ثنايا تاريخ العدواني، ذكر للحملات التأديبية لسلطان تونس وصاحب إفريقية وبايات قسنطينة من أجل إخضاع القبائل المتمردة على سلطان المخزن وقوة شكيمته، والالتزام باللازمة وما يتبعها من حق السلطان على رعية خاضعة، وتتحقق شرعية السلطة في قتال المتمردين أو البغاة أو أهل الظلم والفساد عن طريق ممارسات عديدة وخطابات سياسية ودينية، وعلاقات وطيدة مع من يحقق مصلحة استقرار النظام السياسي بكل الوسائل بما فيها استخدام الشريعة والفتوى ، التي يقولون بأنها تقول بقتل الثلثين من أجل طاعة أو إصلاح الثلث الباقي[٣٨].وينسب المستبدون من أصحاب الخطاب السياسي الاستبدادي، هذه الفتوى لإمام دار الهجرة **مالك بن أنس**.وهي فتوى لا أساس لها من الشرع، أو في تاريخ الإمام مالك الفقهي، إلا في مخزون أهل الظلم والاستبداد عبر التاريخ.

سلطة الطريقة الصوفية

الأشراف والوجهاء والأولياء **نخبة عصر العدواني**، والزمن زمن الزاوية[٣٩]، وشيخ الطريقة.

لقد كانت الزاوية والطريقة الصوفية سلطة قوية، بما تملك من مال وأتباع وسلطة روحية على المجتمع، وقد انخرطت السلطة والمجتمع بمختلف طبقاته ضمن التاريخ

الثقافي بالمغرب العربي، ومن الطرافة أن يكون **الشيخ العدواني** المؤرخ من شيوخ العصر، فهو سلطة روحية وصاحب مكانة بين أهل سوف واللجة التي يفخر بها لأنها البلاد التي حققت له الحرمة من الخضوع لاستبداد مراد صاحب تونس، أو صاحب قسنطينة التركي، والعدواني ما في ذلك شك مؤرخ **سوف**، ومؤرخ الطريقة الشابية التي قامت على مناهضة السلطة المركزية في تونس والقيروان وبايلك الشرق الجزائري. يقول **علي الشابي المؤرخ التونسي** ناشر تراث" سيدي عرفة الشابي"[٤٠]، أن من يريد التأريخ للشابية فعليه بكتاب العدواني، فعلى الرغم من أن الشابي قادري السلوك"**الطريقة**" فإنه متعاطف مع الشابية ودعاتها محمد المسعود الشابي الذي زار **سوف** عام **١٠١٥هـ**، كما كانت له رحلة دعوية قادته إلى فركان والأوراس وشارك في تدعيم ثورة الأوراس على سلطة بايلك الشرق بقسنطينة، والشابية التي يؤرخ لها محمد العدواني، ناهضت السلطة المركزية في تونس وأقامت دولة دامت مدة طويلة نسبيا حوالي نصف قرن كما واجهت الإنزال الأسباني في جربة حينما غابت السلطة المركزية المفترض فيها إعلان الجهاد على الغزاة الأسبان، وقد كان عرفة الشابي[٤١] منازعًا للسلطة بحكم التنافر القائم بين القيروان عاصمة إفريقية الأولى، رمز الصفاء والعلم والأخلاق، وترشيش تونس رمز التسلط العثماني ورمزه" **مراد**" أو صاحب **تونس**، وقد أبرز العدواني مؤرخ سوف نهاية الدولة الشابية التي أقامها العالم والمفسر الصوفي **سيدي عرفة**. وكانت طموحات **سيدي عرفة الشابي** أبعد من قيام دولة انفصالية، ذات حدود ضيقة في المجال التونسي، بل يسعى لاعتلاء عرش تونس.

يبدو من دراسات المؤرخين وعلماء الاجتماع في الجزائر وتونس، أن حرص قادة الرأي العام من العلماء والفقهاء ورجال الطرق الصوفية، بما يملكون من مكانة في نفوس الناس وما بين أيديهم من ثروات طائلة وعقارات كبيرة، هي التي شكلت

نقاط الخلاف بين السلطة العثمانية الجديدة، والسلطات القائمة التقليدية العالمة(الفقهاء، والقضاة، المالكية خاصة) في مواجهة حكم عثماني استبدادي(صاحب تونس، مراد).

إن علاقة الشيخ بالمريدين(٤٢)، علاقة متينة في المخيال الثقافي الشعبي، ولهذا عملت السلطة مجهودات كبيرة للانخراط في هذا المجال، فعززت صفوفها بكسب ولاء وود رجال الطرق وأصحاب الزوايا بعد القضاء على الشابية في القيروان وعوضت السلطة المركزية الشابية وما كانت عليه سلطة عالم تونس **سيدي أبي الغيث القشاش**(٤٣) الذي نعرف كراماته الصوفية ومكانته في البلاد من خلال كتاب"**نور الأرماش في مناقب القشاش**" لصاحبه **المنتصر بن المرابط بن أبي لحية القفصي** مقدم **الزاوية القشاشية بقفصة** منذ وفاة والده عام ١٦١٠م ، الذي ورث التقدم بدوره من صهره **الحاج أحمد البرجي** المتوفي عام ١٦٠٢م(٤٤).

وهذه المرحلة التاريخية لتنفذ **الطريقة القشاشية والبكرية والقادرية في تونس،** ستعرف في الجزائر الشرقية وخاصة الريف القسنطيني صعود سلطة **الطريقة الرحمانية**، التي لعبت دورًا محوريًّا في نشر التضامن بين سكان المنطقة، ونشر الأخوة والعلم وقد كانت **زاوية شلاطة** بمثابة المركز العلمي والتربوي الكبير للطريقة الرحمانية وهي طريقة ثائرة على جهل المجتمع بمبادئ الإسلام، كما هي طريقة ثائرة على السلطة السياسية الجائرة، وسيتضح موقفها من القضايا الاجتماعية والسياسية بشكل بارز في تونس والجزائر من خلال مناهضتها للآلة الاستعمارية بشكل واضح ومشرف، منذ منتصف القرن التاسع عشر، رغم استقالة معظم الطرق الصوفية في الجزائر وتونس أمام الظاهرة الاستعمارية فبدلا من وقوفها إلى جانب المجتمع فقد وظفتها الإدارة الاستعمارية توظيفًا خاصًّا لخدمة مصالحه والوقوف أمام الحركة الإصلاحية والوطنية(٤٥).

إلا أننا لا نجد في تاريخ المنطقة الشرقية معالم ثورة ضد السلطة العثمانية، كما هو حاضر في تونس والقيروان في عصر العدواني، ما عدا ما ستعرفه من خلال **ثورة درقاوة**(٤٦) التي انتمى إليها الثائر محمد بن عبد الله **بلحرش** صاحب الثورة في **وادي الزهور** على **الباي القلي** الذي ثار على السلطة العثمانية،مع حلفائه **أولاد عطية**(٤٧) وكانت بينهم وبين **القلي** مواجهات مسلحة، هزت فيها **الطريقة الدرقاوية السلطة المركزية في الجزائر**(٤٨)، وقدذهب بعض الباحثين أن **مولاي سليمان** صاحب الإصلاح الوهابي المناهض للطرقية سلطان المغرب الأقصى هو الذي استخدم أتباع **الطريقة الدرقاوية** وسلَّطهم على أتراك الجزائر في **وهران** وبايلك الغرب الجزائري وكذلك **التيجانية**(٤٩)، وربما كان للمغرب الأقصى الدور المحوري في تسليط **التيجانية** على السلطة العليا القائمة في الجزائرككل، وهو موضوع لم نلم مصادره ووثائقه في غياب نصوص"در الشقاوة" لأبي راس الناصري(٥٠)، ونصوص مغربية تزيل الغموض عن هذه المرحلة ودور الطرق الصوفية في العلاقات الجزائرية المغربية(٥١)، وهي مرحلة حاسمة في تاريخ الجزائر الحديث. ولا يمكن أن نغفل أنه إذا كان القرن السابع عشر هو قرن **الطريقة الناصرية** التي تزعمها كل من الصوفي الشهير **" عبد الله بن حسين القباب" و" أحمد بن إبراهيم الأنصاري"**، و لم تعرف طريق الشهرة والانتشار إلا بعد مجيء الصوفي **محمد بن ناصر الدرعي** حوالي **١٦٤٥م** وانتشرت بقوة عام **١٧١٧م** أي مطلع القرن الثامن عشر، فإن القرن التاسع عشر هو قرن **الدرقاوية**، حيث تطورت على حساب **الناصرية**.

إن النصوص المنقبية التي عالجنا بعضها تتحدث عن بطل، وإذا كان النص منقبة فإنه يحتوي على أفعال خارقة، لهذا نجد صعوبة في الإلمام بالإتجاه التاريخي

الموضوعي لتطور المجتمع في الجزائر وتونس إلا من خلال تكاتف المنقبة بالرواية الشعبية، مع أدوات وأخبار المؤرخ(٥٢).

العلاقات بين السلطات الثلاث

إن السلطة المركزية(البايلك)، قد عوضت سلطة وتقاليد الزاوية من خلال الإجلال إلى حد الإفراط أحيانًا في احتفالات الزوايا الموسمية"الزيارة" والرعاية المادية، حيث كانت الاحتفالات التي تقام حول الأضرحة والزوايا وتشريفات السلطات العليا، وكثيرًا ما تتضمن تنقلات البايات والسلاطين إلى الأضرحة والمزارات في احتفالات رسمية(٥٣).

كما حرصت الزاوية على ربط نفسها بالشرع ، فهي تسعى إلى حرمان السلطة السياسية العليا(المخزن) من **"مشروعية"** إخراجها عن إطار الإسلام الشرعي، لأنها تمثل الشرع على مستوى محلي، وقد يفوق تمثيلها للإسلام السلطة العليا نفسها (المخزن) كما هو حاصل مع الشابية ومع القشاشية بتونس فبعد الامتحان الكبير للولي القشاش مع علماء تونس حيث اتهموه بالمهدوية والخروج عن الحس بالمداومة على الشطح والتخمر واعتماد ضروب من " **الأحوال الربانية"** الأمر الذي دفع بهؤلاء إلى التأسيس كطرف مضاد **للشيخ أبي الغيث القشاش** صاحب الوقت أمام السلطة السياسية العليا **رمضان باشا**(تـ١٠٢٢هـ/١٦١٣م)، وهكذا فإن الولي قد اضطر إلى سلوك طريق السنة ونبذ البدعة فتلقى تكوينًا علميا للمحافظة على مكانته كولي صالح، وتشبع بأمهات متون السنة وحرص على جمع مكتبة تزيد عن ثلاثة آلاف مجلد، وانتصب للتدريس بجامع الزيتونة، كما كان ينفق الأموال على الطلبة ومعظم مساجد **تونس** وهو ما أهله لأن يكون سلطة روحية وقوة كبيرة يحسب لها السلطان التركي بتونس ألف حساب داخل التيارات السياسية والإيديولوجية المتصارعة.وبفضل إشعاع الزاوية وتأثيرها في تونس وقفصة

والساحل فقد أصبح أغلب العلماء من مريدي القشاشية ، وهو ما أهل الشيخ الولي إلى مكانة مرموقة، ترفع من شأنه كأحد حماة الدين والشرع في مواجهة سلطة ظالمة رغم تحاشي **الشيخ أبي الغيث القشاش** المواجهة مع السلطة حتى كانت هي البادئة، كما هو مفصل في مناقبه في **نور الأرماش**.

كانت الزاوية تعمل أحيانًا على إدماج القبيلة في "**المجتمع العام**" وإضفاء المشروعية على وجودها بواسطة تبني مبادئ الطريقة، كما أن الانتماء إلى الطريقة وسلالة الشيخ قد يرفعها إلى مرتبة الشرف والانتماء إلى آل البيت، حتى ولو كانت الطريقة من تأسيس الفقيه العالم من وسط غير عربي، فما بالك أن يكون هاشميا، وهو الجدل المطروح في مناقب عصر العدواني بقوة.

كما انخرطت القبيلة، وتحالفت مع شيخ الطريقة، وكانت علاقة القائد(ممثل المخزن)والقبيلة،(شيخ القبيلة)،والشيخ المتعالي(العالم أو الفقيه)(شيخ الطريقة)، قد تداخلت وبدأ الشد والجذب إلى غاية ظهور الصدمة الكولونيالية في المغرب والجزائر وتونس، وستصبح لكل بلد خصوصيات، وسوف تكون الطريقة والقبيلة مدخلا لمواقف ليس مجالها هذا البحث[٥٤].

خاتمة

لقد كان **الشيخ العدواني**، شاهدًا على ثقافة عصره، وهي الثقافة السائدة تقريبًا في معظم العالم الإسلامي، وعلى الرغم من تحفظنا على السرد التاريخي ومصداقية الأحداث، فإن تاريخ العدواني وثيقة حية بإمكاننا أن نتوغل فيها ونتعامل معها بلطف، وكم سيكون الدارس سعيدًا لو عثرنا على **نسخة كاملة لتاريخ العدواني**[٥٥] ، فتسعفنا في سد ثغرات وتغطية مساحات شاسعة نراها ناقصة، ونرى بترًا في الأحداث وتسلسلها في الطبعة والتحقيق الحالي.

تاريخ العدواني، شاهد على السلطة في الجزائر وتونس، ومشارك في العلاقات التي ربطته أو ربطت أمثاله من العلماء والشيوخ والصلحاء بالقبائل في صحراء سوف والجريد التونسي، كما كان ناقدًا للسلطة القائمة في تونس خاصة؛ التي اتهمها **بالانحياز إلى النصارى** والاعتماد في تعاملهم المالي الربوي على **يهود البلاد** على حساب الرعية الفقيرة البائسة، غير أن الغائب عند الراوي، وعند العدواني طبعًا، ذكر مصادره، وفي كثير من الأحيان ينسب بعض المواقف إلى الراوي، وفي اعتقادنا، هو ناقل لأخبار غيره من كتب المتقدمين من أصحاب المناقب وكتب الطبقات، كما فعل حينما سُئِلَ عن **اليهود**(٥٦)، وذكر القصة المنسوبة لأحد صلحاء رباط **سوسة** في العهد الأغلبي(٥٧)، وتحذيره لأصحابه من مداخلة اليهود الذين يَكِنُّونَ كرهاً شديدًا للإسلام والمسلمين.

وأخلص أن التجاوز الممكن عن مصداقية السرد التاريخي، وذكر المصادر التي استقى منها كثيرًا من المعارف والمعلومات والأخبار الدقيقة، تقرب لنا الصورة أن الرجل رحالة وتاجر كبير، وعالم صوفي؛ تجول في، **الشلف**، **الأوراس**، **بسكرة وورقلة**، واستوطن الجريد التونسي مدة إملائه لرحلاته ومذكراته.

وقد أجمع كل من تناول **كتاب العدواني** بالدراسة أن الكتاب الأصلي مفقود وما بقي منه مجرد ذكريات مختصرة عن تاريخ سوف وطرود وعدوان والشابية والحنانشة والذواودة وغيرها من الموضوعات غير المرتبة من الذاكرة الشعبية مستوحاة من **تاريخ العدواني المفقود**.

الإحالات

(*)– نشرت هذه الدراسة بالمجلة التاريخية المغاربية رقم ١١٧، جانفي كانون الثاني، تونس، ٢٠٠٥م.

(١)–لقد أصبحت العناية بالفتاوى ومسائل العلماء مادة مصدرية ثرية لإعادة تركيب الحدث التاريخي وقد نبه إلى هذه الأهمية غالبية من درس هذا الموضوع وتمكن باحثون من الاستفادة من الفتوى في دراسة الحياة الاجتماعية والاقتصادية والمذهبية في الغرب الإسلامي انظر على سبيل المثال:

J.Berque;Les Hilaliens repentis ou l'Algérie rurale au XVe siècle d'apres un manuscrit jurisprudentiel(Annales E.S.C) sept-oct ١٩٧٠.P: ١٣٢٥-١٣٥٣. J.Berque; En lisant les Nawazil Mazouna (Studia Islamica)Paris ١٩٧٠ PP: ٣١-٣٩. Berque(J):AL Youssi , problème de la culture marocaine au XVIIè siècle , paris, Mouton , ١٩٥٨,

محمد المختار ولد السعد، **الفتاوى الفقهية والتاريخ الاقتصادي والاجتماعي الموريتاني، الكراسات التونسية**(مجلة العلوم الإنسانية)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، المجلد(**XLIX**) العدد **١٧٥**، الثلاثية الرابعة لسنة **١٩٩٦**م.ص ص:١١–٦١.الدكتور كمال السيد أبو مصطفى، **جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي**،الأسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب ،**١٩٩٧**م.ص ص:٧–٩.

(٢)–لطفي عيسى،**أخبار المناقب في المعجزة والكرامة**، تقديم علي اللواتي، تونس، سراس للنشر ، **١٩٩٣**م.ص:٦.

لطفي عيسى، **مدخل لدراسة مُميزات الذهنية المغاربية خلال القرن السابع عشر**،تونس ، سراس للنشر، **١٩٩٤**م.ص:١٧ وما بعدها.د.إبراهيم القادري بوتشيش، **واقع الأزمة والخطاب" الإصلاحي" في كتب المناقب والكرامات(دراسة تطبيقية على الأزمة الموحدية في أواخر القرن السادس الهجري وبداية السابع**(تاريخ الغرب الإسلامي، قراءاتُ جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة)، بيروت، دار الطليعة، **١٩٩٤**م.ص ص:١٠٦–١٢٢.د.إبراهيم

القادري بوتشيش، **دور المصادر "الدفينة" في كشف الجوانب الحضارية المنسية للمدينة المغربية(دراسة تطبيقية حول مدينة مراكش من التأسيس إلى أواخر عصر الموحدين**(تاريخ الغرب الإسلامي، مرجع سابق، ص ص:١٢٣–١٤١.

Sami Bargaoui ; L'hagiographe et l'historien :les pièges de l'écriture ;à propos de la publication de l'ouvrage d'Al-mountasir B.al-mourabit B.Abi Lihya alGafsi, Nour al-Armash fi Manaqib al-qashshash,étude et établissement du téxte par Hassine Boujarra et lotfi Aissa; Librairie al-Atika, Tunis, 1998 P:585.in-Correspondances (Institut de Recherche sur le Maghreb Contemporain N° 57 juillet -août-septembre Tunis 1999 p:3 et suivantes.

(٣)– ***Magali Morsy, Les Ahnsala examen du role historique d'une famille maraboutique de l'atlas marocain, Préface maxime Rodinson, Paris, Mouton ١٩٧٢.p:٥ et suivantes.***

لطفي عيسى، **أخبار المناقب**، ص:٦.من تقديم **الأستاذ علي اللواتي**.انظر أيضًا عن علاقة الزاوية والولي بالسلطة:

Yassine Karamti, La ville, les saints et le « Sultan » étude sur le changement social dans la Région de Nefta(Tunisie)aux XIX et XX siècles , Librairie al-Atika,Tunis , 1998 P:585.in-Correspondances (Institut de Recherche sur le Maghreb Contemporain N° 56 -Mai-Juin-1999 Tunis, p:3 et suivantes.

(٤)– لطفي عيسى، **مدخل لدراسة مُميزات الذهنية المغاربية**،ص:٢٣.

(٥)–محمد بن محمد بن عمر بن عبد الله العدواني، **تاريخ العدواني**، تقديم وتحقيق وتعليق أبو القاسم سعد الله،بيروت، دار الغرب الإسلامي،١٩٩٦م.ص:٢٢.

(٦)–لقد تقلصت سلطات الخليفة العباسي في بغداد وبرزت أطراف جديدة قوية متسلطة ويسمى هذا العصر بعصر المتغلبين الأقوياء. كما كان استيلاء الأسرة البويهية علىالحكم قد أذن بالفصل بين السلطتين الزمنية والروحية وهو ما مثل مقدمات الضعف والسقوط وقد حاول الفقهاء أن يجدوا مبررا شرعيا لنظام قائم تكون فيه السلطة الفعلية للأمير المتغلب والنظرية للخليفة وعلى إثرها ظهرت **نظرية الماوردي** صاحب الأحكام السلطانية تبعًا للروح الواقعية نفسها التي فرضها الواقع

التاريخي والسياسي للخلافة" انظر عبد الله فياض **الخلافة العباسية في عهد البويهيين،** مجلة رسالة الإسلام، العددان ١–٢.السنة الثانية، العراق، محرم ١٩٨٧م،ص:٢٧ وما بعدها. محمد الأمين بلغيث، **النظرية السياسية عند المُرادِي وأثرها في المغرب والأندلس،** الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٩م. ص:٢٧.

(٧)– **تاريخ العدواني**، ص:١٢.

(٨)– عبد الله حمُّودي، **الشيخ والمريد(النسق الثقافي للسلطة في المجتمعات العربية الحديثة)**، ترجمة عبد المجيد جحفة، المغرب الأقصى، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر ١٩٩٩م.ط.٢.ص:١٥.

(٩)–**تاريخ العدواني**،ص:١٩٥.

(١٠)–**تاريخ العدواني**،ص:١٩،ص:١٩٥ هامش رقم:٣. لطفي عيسى، **مدخل لدراسة مُميزات الذهنية المغاربية**،ص:٥٦.

(١١)- ***Vayssetes(M), Histoire des Beys de Constantine In Recueil des notes et mémoires de la société archéologique de Constantine; ١٨٦٧.P: ٢٨٠. Mercier, Ernest, Histoire de constantine , Constantine , ١٩٠٣.P: ٢١٠ et suivantes.***

(١٢)– لطفي عيسى ، **مدخل لدراسة مُميزات الذهنية المغاربية**،ص:٣٨.

(١٣)– قال **الحاج أحمد بن المبارك بن العطار**:" ونزل الأتراك بسطحة المنصورة وشرعوا في بناء قصبة هناك لعسكرهم وأظهروا العدل والسياسة وخالف **سيدي عبد المؤمن** وأهل حومة **باب الجابية** على الترك وقابلوهم ثلاث سنين إلى أن تحيلوا على الشيخ سيدي عبد المؤمن وكانت له مشيخة فصالحوه ولم يزالوا ينصبون له حبائل المكر والخداع حتى تمكنوا به، دعوه للضيافة بقصبة المنصورة فأجابهم وخرج إليهم آمنًا فقتلوه وسلخوا جلده وملأوه قطنًا وبعثوا به إلى الجزائر ودفنت جثته بمسجده المعروف به اليوم" الحاج أحمد بن المبارك بن العطار، **تاريخ قسنطينة** ، تحقيق المرحوم رابح بونار،دون طبعة ودون ناشر.ص ص:٥٧–٥٨.

(١٤)- العنترى، محمد الصالح، **فريدة منيسة فى حال دخول الترك بلد قسنطينة واستلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة**، مراجعة وتقديم وتعليق يحي بوعزيز، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٩١م. ص:٦٨.عبد الكريم الفكون ، **منشور الهداية**، ص:٧ وما بعدها. الدكتور أبو القاسم سعد الله، **شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، داعية السلفية**، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٦م. ص:٣ وما بعدها.وعن **عائلة الفكون** ضمن العائلات الوجيهة بقسنطينة انظر: عبد القادر الراشدي (تـ١١٩٤هـ/١٧٨٠م)، **تحفة الإخوان في تحريم الدخان**، دراسة وتحقيق عبد الله حمّادي ،بيروت ، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٧م.ص:٦ وما بعدها.

(١٥)-الحاج أحمد بن المبارك بن العطار، **تاريخ قسنطينة**،ص:٥٧.

(١٦)-نفسه، ص:٥٨.

(١٧)- الحاج أحمد بن المبارك بن العطار،**تاريخ قسنطينة** ، ص:٥٧.

(١٨)- الحاج أحمد بن المبارك بن العطار ، **تاريخ قسنطينة** ، ص:٥٦-٥٧، تاريخ العدواني، ص:١٧٥ هامش رقم:٢.و ص:٢١١.لطفي عيسى ، **مدخل لدراسة مُميزات الذهنية المغاربية**، ص:٤٠.

(١٩)- الحاج أحمد بن المبارك بن العطار، **تاريخ قسنطينة** ، ص:٥٧-٥٨.

(٢٠)- ***Haido (D); Topographie et histoire générale d'Alger, traduction de l'espagnole in Revue Africaine ١٨٧٠-١٨٨٠-١٨٩٦, édition partielle , Alger .***

لطفي عيسى ، **مدخل لدراسة مُميزات الذهنية المغاربية**، ص:٣٩.

(٢١)-الحاج أحمد بن المبارك بن العطار، **تاريخ قسنطينة**، ص:٥٧.

لطفي عيسى، **مدخل لدراسة مميزات الذهنية المغاربية**، ص:٣٩.

(٢٢)-في نسخة **العدواني** التي نشرها شارل لورنت فيرو أورد نصًّا موغلا في الثقافة الشعبية والذي لايزال يتردد على ألسنة الناس حينما يتنابزون بالألقاب

أورده بالعربية مع ترجمته إلى اللغة الفرنسية كما فعل فيرو لغاية في نفس أحد أعمدة المدرسة الاستشراقية قال **سيدي عبد الله**(؟):

تعبت يا أوراس الفاجر* كل شجرة براجل**

لحمك ما يطيب* وكسرتك بلا عجين**

ماءك كثير وناسك موسخين**

العربي بغمزة* والشاوي بدبزة**

« Je suis fatigué, O Aurès! montagne de l'impiété;
Chacun de tes arbres a un homme pour le défendre;
Ta viande ne cuit pas, ton pain n'est pas pétri;
tu a de l'eau en abondance;
Et cependant tes habitants sont malpropres;
L'arabe (obéit) à un clignement d'oeil;
Et le chaoui(Berbère) n'obéit qu'à coups de massue. »

انظر:

Kitab El Adouani ou le Sahara de Constantine à Tunis-traduit par Charles Laurent Ferraud ,Recueil des notices et mémoires de la société archéologique de la province de Constantine, 1868,P:159.
Abdélhamid Zouzou, L'Aures au temps de la France coloniale(évolution politique, économique et sociale(1837-1939), Alger les éditions Houma Tome 1.2001.P:62.

تبدو الأوراس منطقة ثائرة في عصر العدواني وقد حدثنا **الفكون** عن الأوراس وثورها بزعامة **يحيى بن سليمان الأوراسي** و لم تهدأ باغتيال **الشيخ يحيى الأوراسي** الذي يتعاطف معه صاحب منشور الهداية المعاصر للعدواني اللجي ثم استمرت ثورة الأوراس بقيادة شقيق يحيى، فابن الثائر يحيى الأوراسي، لذلك كانت الأوراس تمثل منطقة ثائرة مزمنة على سلطة البايلك في **قسنطينة** وقد دعمتها **الشابية**، كما تحالف **أولاد يحيى** مع الشابية وشكلوا فيما بعد جيشًا وتحالفوا مع الشابية ضد السلطة المركزية في تونس، وهذا التحالف بين الحرار أو الحنانشة والسلطة المركزية في تونس قد جلب الوبال على زعيم **الحنانشة بوعزيز** انظر عن مواقف رجال

العصر ومنهم الفكون من ثورة الأوراس.شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية**، تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور أبو القاسم سعد الله، بيروت، دار الغرب الإسلامي،١٩٨٧م. ص:٥٤ .لطفي عيسى، **مدخل لدراسة مُميزات الذهنية المغاربية خلال القرن السابع عشر**،ص:٤٣ وما بعدها. عبد الله العروي، **مجمل تاريخ المغرب**، (**رقم**: ٣)، الدار البيضاء بيروت، المركز الثقافي العربي،١٩٩٩م.ص:٧٦ وما بعدها.انظر **جبل الأوراس** كما وصفه مارمول كربخال ، **إفريقيا** ، **الجزء الثاني**، ترجمة محمد حجي، محمد زنيبر، محمد الأخضر، أحمد التوفيق، أحمد بنجلون، دار المعرفة للنشر والتوزيع ، الرباط ، ١٩٨٨—١٩٨٩م. ص:٣٩٠.الحاج أحمد بن المبارك بن العطار ، **تاريخ قسنطينة**، ص:٦٤.

(٢٣)– تاريخ العدواني، ص:٤٧. لطفي عيسى، **مدخل لدراسة مُميزات الذهنية المغاربية خلال القرن السابع عشر**،ص:٤٢ وما بعدها.

(٢٤)–تبدو هذه الصورة السوداء ناتجة عن رفض السلطة التركية الجديدة في تونس والمغرب كما عبر عنها أحد شيوخ العصر ، **الشيخ العدوان**ي وهي صورة صادقة لتأثر المحيط الإقليمي **بدعوة الحركة الشابية** كما ذهب إلى ذلك شيخ المؤرخين الدكتور أبو القاسم سعد الله انظر:**تاريخ العدواني** ،ص:١٩.

(٢٥)– عن تفوق البحرية الجزائرية في هذا العصر انظر:

Moulay Belhamissi, Marine et marins d'Alger(١٥١٨-١٨٣٠)Tome I(les navires et les hommes) Alger bibliothèque nationale d'Alger ١٩٩٦.pp: ١١-١٨٩.

Ibidem,T. ٢.pp: ٥-٢٢١.

Ibidem,T. ٣.pp: ٦-١٩٤.

وعن تفوق البحرية في بالمغرب الأقصى زمن **العدواني** انظر:عبد المجيد قدوري، **المغرب وأوروبا ما بين القرنين الخامس عشر والثامن عشر** ، الدار البيضاء ، بيروت ، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠م.ص:٣٣٧ وما بعدها.

(٢٦)-عالج موضوع فانسان مايزي" تونس والجزائر في كتب الرحالة الأوروبيين خلال القرنين السابع والثامن عشر حالة العقلية الغربية.وهي دبلوم الدراسات المعمقة التي أشرفت عليه السيدة جوزيت بونتي(***Josette*** Pontet) من جامعة ميشيل دي موناتان بوردو الثالثة(***Université Michel Montaigne Bordeaux III***) عام ١٩٩٨م و لم نتمكن سوى من ملخص بمجلة مراسلات انظر:

Vincent Meyzie, Tunis et Alger dans les récits de voyage Français des XVII^{ème} et XVIII^{ème} siècles: un révélateur des mentalités Européennes, (Correspondances (مراسلات))(Institut de Recherche sur le Maghreb Contemporain N° 57 juillet -août-septembre Tunis 1999.PP:11-17.

(٢٧)-يبدو تنفذ اليهود ظاهرة عامة في القرن السابع عشر، الحادي عشر الهجري وهو حسب بعض الباحثين ظاهرة عامة في المغرب انظر على سبيل المثال: **منهاج الصواب في قبح استكتاب أهل الكتاب** ، لمؤلف مجهول في القرن الحادي عشر الهجري، تحقيق داود علي الفاضل، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، ص:٨ (مقدمة المحقق).ومن أكبر المناهضين لخروج اليهود بالغرب الإسلامي عن قوانين الدولة الإسلامية الإمام المغيلي، انظر موقفه من الظاهرة: محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني(٩٠٩هـ)**مصباح الأرواح في أصول الفلاح(نازلة يهود توات)**، تقديم وتحقيق الأستاذ: رابح بونار، الجزائر، سلسلة ذخائر المغرب العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٦٨م.ص:٢٩.

(٢٨)-**تاريخ العدواني** ، ص:٤٨.

(٢٩)-محمد حسن، **حول إحدى القبائل البربرية:نفوسة(مجالها الجغرافي وعلاقتها بالسلطة المركزية)**مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بالرباط جامعة محمد الخامس، العدد العاشر، **١٩٨٤م**.ص:**١٤٩**.

(٣٠)-تعد دراسة النظام القبلي مسألة ملغمة لقلة المعلومات وهي من المواضيع الملغزة على حد تعبير أحد الباحثين التي لا يمكن للدارس سبر غورها دون الإصطدام بمجموعة من المثبطات والعوائق، وفي مقدمتها قلة المادة التاريخية الخاصة بالمجتمعات الرعوية والبدوية، ناهيك عن مزالق الأطروحات الأنثروبولوجية التي تعسفت في أدوات التحليل بما تحمله من نفحة استعمارية تحاول وصف المجتمع المغربي بـــ"**السكونية**" والركود في تطوره الاجتماعي.انظر: بوتشيش، **التكوين القبلي في البوادي(مباحث في التاريخ الاجتماعي)** ص:٢١٦.

(٣١)-إبراهيم القادري بوتشيش، **البنية القبلية بالمغرب ومسألة المساواة والتراتب الاجتماعي**(تاريخ الغرب الإسلامي) ص:**٢١** وما بعدها. عبد الله العروي، **ثقافتنا في ضوء التاريخ**، الدار البيضاء ، المغرب الأقصى ، **١٩٨٣م**.ص:٤١.وحول **الزاوية والعائلة الحنصالة** وانتشارها بالمغرب والجزائر الشرقية (**قسنطينة فرجيوة**)انظر الدراسة القيمة للسيدة مُرْسي): ***Magali Morsy, Les Ahnsala ,p:٧ et suivantes.***
محمد ضريف، **مؤسسة السلطان"الشريف" محاولة في "التركيب"**، المغرب الأقصى إفريقيا الشرق، **١٩٨٨م**.ص:٨٩.

(٣٢)- محمد محسن،**حول إحدى القبائل البربرية** ، ص:١٥٠.

(٣٣)- جاك بيرك، **في مدلول القبيلة بشمال إفريقيا**"(**الأنثروبولوجيا والتاريخ**:**حالة المغرب العربي**) الترجمة العربية، المغرب الأقصى، الدار البيضاء ، دار توبقال،١٩٨٨م. ص:**١٢٥**.والمقال بالفرنسية:

J.Berque;Qu'est ce qu'une tribu Nord Africaine? In Hommage à LucienFebvre, Paris 1953,TI.P:261-272.

(٣٤)–د.إبراهيم القادري بوتشيش،**التكوين القبلي في البوادي**(مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين)، بيروت، دار الطليعة، ١٩٩٨م.ص: ٢١٦–٢٤٧.

(٣٥)–**إيفان بريتشار** من كبار علماء الإجتماع **بجامعة أكسفورد** في هذا العصر وعلى الخصوص علم الاجتماع الريفي ، فقد تخصص في دراسة المجتمعات الريفية ومن أشهر أعماله باللغة الإنجليزية:بحسب سنوات ظهورها والتي لها علاقة بليبيا وإفريقيا:

١. ***Tribes and their divisions.In Hanbook on Cyrenaica (Part 8);D.C.Cumming ,ed, Cyrenaica:British Military Administation.1944***
٢. ***The Sanusi of Cyrenaica.Oxford at the Clarendon Press.1955.***

(٣٦)– تنسب هذه الحركة السياسية والدينية إلى السيد: محمد بن علي بن السنوسي بن العربي الأطرش بن محمد بن عبد القادر بن أحمد شهيدة ويرجع في نسبه إلى الفرع الإدريسي (من خلال إدريس الأزهر(الأصغر)باني فاس ابن الإمام إدريس الأكبر أول ملوك الأدارسة.وكانت السنوسية دعوة من الدعوات الصالحات التي أعادت للمسلمين في إفريقيا والصحراء الكبرى مكانتها التاريخية حيث كانت طريقة تمتاز بوضوح مناهجها في الدعوة والإصلاح ، حيث دعت إلى إحياء الدين الإسلامي ومحاربة الجمود ونبذ البدع ومؤسسها أصيل محلة الواسطة على ضفتي وادي شلف وأسرته من قبيلة مجاهر التي ينضوي تحتها ما يزيد عن سبعين ألف نفس ولا تزال مستغانم مقرا لهذه الأسرة، وقد أسس ابن السنوسي الحركة المنسوبة إلى جده السنوسي حوالي عام ١٨٣٧م على وجه التقريب ولقد اهتم الدارسون بهذه الحركة الإصلاحية خاصة رجال المخابرات الفرنسية والإيطالية ولقد ترك هؤلاء دراسات فيها الكثير من الدس والتشويه.عن تاريخ هذه الحركة الإصلاحية انظر: دي كاندول(ئي.آ.ف)، **الملك إدريس عاهل ليبيا حياته وعصره**، ترجمة وطبع **محمد عبده بن غلبون منشستر بريطانيا** ١٩٨٩م ص:٣ وما بعدها.(الدجاني) أحمد

صدقي، **الحركة السنوسية نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر**، بيروت ١٩٨٨م، ص:٣٤ وما بعدها.

E.E.Evans Pritchard, The Sanusi of Cyrenaica, Oxford At the Clarendon Press.1973.p:62. Triaud , (Jean-louis) La légende noire de la sanusiyya (une confrérie musulmane saharienne sous le regard français (1840 - 1930) volume II Institut de recherches et d'études sur le monde arabe et musulman , Aix -en-Provence (IREMAM) éditions de la maison des sciences de l'homme, Paris France 1995. Triaud,(Jean-Louis), Tchad 1900-1902-une guerre Franco- -Libyenne oubliée (une confrérie musulmane la sanusiyya, face à la France) L'harmattan Paris. 1987 Duveyrier H., La confrérie Musulmane de sidi Mohammed ben Ali Essenousi et son domaine géographique; Roma ,tipografia del senato 1918.Ali Abdullatif Ahmida, The Making of Modern Libya, (state Formation, Colonization and resistance, (1830-1932) state University of New York press.1994.P:73

(٣٧)- الغالي غربي، **السلطة بالجزائر العثمانية على عهد الدايات(١٦٧١-١٨٣٠م)**،(دراسات وشهادات مُهداة إلى الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله) جمع وإخراج الأستاذ الدكتور ناصر الدين سعيدوني، بيروت دار الغرب الإسلامي، **٢٠٠٠م**.ص ص:**٣٩٥-٤١٥**.انظر ص: **٤١١** الهامش**٢-٣-٤**.

(٣٨)-من المسلمات المعروفة أن النظام السياسي الذي تقره السياسة الشرعية يقوم على تحقيق مصالح الناس بالحسنى ، وتحارب الشريعة الإكراه والغش والفساد أي كان مصدره.ولهذا فإن كل مبدأ يخالف المقاصد الخمسة الأساسية للشريعة الإسلامية كما نظمتها كتب الفقه والأصول ، هي تخريج وتأويل المفسدين في الأرض، وفتوى المستبدين" **قتل الثلثين من أجل إصلاح الثلث الباقي**" تتنافى مع حفظ النفس." **لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مؤمن " رواه البيهقي قال تعالى**: {ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم خالدًا فيها ، وغضب الله عليه ولعنه وأعَدَّ له عذابًا عظيمًا} **النساء الآية ٩٣.وقال تعالى**: { من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسًا بغير نفس أو فساد في الأرض ، فكأنما قتل الناس جميعًا ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا}.**المائدة الآية رقم: ٣٢.وجاء في**

حديث الرسول عن المعاهدين " من قتل نفسًا معاهدة بغير حقها ، فقد حرَّم الله تبارك وتعالى عليه الجنة أن يشم ريحها" مسند أحمد رقم:١٩٦١٨ **حديث مرفوع**.

(٣٩)–الزاوية مؤسسة كبيرة ارتبط وجودها بتاريخ العالم الإسلامي منذ ظهور أولى الزوايا وهو أمر مختلف فيه عند جل المؤرخين، وأما في الغرب الإسلامي فإن الزاوية قد ظهرت منذ أيام الموحدين، بعد أن زال نوعًا ما دور الرباط العسكري وأصبحت الزاوية مركز دول في بعض مواطن الغرب الإسلامي، ومكانة الزاوية ودورها في فضاء المغرب والأندلس موضوع مفصل في كثير من الدراسات انظر: المازوني ، **الدرر المكنونة في نوازل مازونة القسم الثاني**، المكتبة الوطنية بالحامة الجزائر رقم:١٣٣٦.، **١٣٥**وجه. محمد الحبيب الهيلة **الزاوية وأثرها في المجتمع القيرواني**، (المجلة التونسية للعلوم الإجتماعية) السنة **١٢** العدد:**٤٠–٤١–٤٢–٤٣**. الشركة التونسية للفنون، أفريل **١٩٧٥**م.ص:**١٠٠**، الميساوي عبد الجليل ، **زوايا الوسط الغربي ودورها الاجتماعي** (مجلة الحياة الثقافية) ، العدد ٢١ السنة السابعة تونس ، **١٩٨٢**م.ص:**٥٥**.

(٤٠)–**تاريخ العدواني**، ص:**٥٠**.

(٤١)–انظر وصف القيروان رمز العلم كما وصفها مارمول كربخال، **إفريقيا** ، **الجزء الثالث** ، ترجمة محمد حجي، محمد زنيبر، محمد الأخضر، أحمد التوفيق، أحمد بنجلون دار المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، **١٩٨٨–١٩٨٩**م.ص:٩٧.

(٤٢)–الشيخ والمريد قضية هامة في علاقة الأعلىبالأدنى، السيد بالمسود وقد فسرت العلاقة بين شيخ الطريقة والمريد التابع تفسيرات عدة انظرها عند أهلها. محمد الحافظ التجاني، **قصر السبيل في الطريقة التجانية**، تغزوت وادي سوف الجزائر، **١٩٩٩**م.ص:٨ وما بعدها.محمد بن عبد الله الشافعي الطصفاوي التيجاني، **الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المريد التيجاني**، المعارف، تغزوت، وادي سوف

الجزائر دون تاريخ)، ص:٢٨. المنتصر بن المرابط بن أبي لحية القفصي، **نور الأرماش**، ص:٢٤٨.وعن التجانية صديقة فرنسا كما تقول الباحثة التونسية لطيفة الأخضر انظر: لطيفة الأخضر، **الإسلام الطرقي(دراسة في موقعه من المجتمع ومن القضية الوطنية)**، تونس دار سراس للنشر، **١٩٩٣**م.ص:**٤٤–٤٥**.ص:**٥٠**.عبد الله حمُّودي، الشيخ والمريد، ص:٢٨.محمد العربي معريش، **المغرب الأقصى في عهد السلطان الحسن الأول**، ص:١٣٠.

(٤٣)–ذكر الفكون ترجمة في خاتمة منشور الهداية وقال خاتمة الكتاب في ذكر من أردنا ذكره من الأصحاب والأحباب(التعريف **بالشيخ بلغيث** رحمه الله ونفع به، آمين) فنبدأ بالشيخ الصالح **الفقيه بلغيث** كذا يكتبه بخطه في مراسلاته لي وهو رحمه الله كان بتونس في ابتداء أمره يطلب العلم فنال ما صار به من أهل الفقه والمعرفة "انظر تقييم حياة **بلغيث القشاش** وعلاقته بالفقهاء والسلطة المركزية في تونس، الفكون ، **منشور الهداية**، ص:**١٩٩–٢٠٠**.وعن عائلة **مولاي بلغيث** بالمغرب الأقصى حيث جاء في ترجمته :هو عبد الواحد المكنى **بأبي الغيث بن يوسف بن علي الشريف**، وقد وصف بالصلاح والنسك خلف ستة أولاد تفرع منهم **أولاد أبي الغيث**، دفن بمقبرة الولي سيدي بوزكري بسجلماسة وقبره ومزاره هناك. **ولأولاد بلغيث** منازل معروفة **بسجلماسة** وهم من الأشراف ومنها موضع يسمى **أخنوس** وهو لأولاد بلغيث ولأولاد عبد الله وأولاد أحمد وهم كلهم أولاد يوسف بن علي الشريف انظر: أبو العباس أحمد بن محمد يعقوب الولالي، **مباحث الأنوار في أخبار بعض الأخيار**، دراسة وتحقيق عبد العزيز بوعصَّاب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط سلسلة رسائل وأطروحات رقم:٤٦، المغرب الأقصى، **١٩٩٩**م.ص:٣١٠.

(٤٤)– المنتصر بن المرابط بن أبي لحية القفصي، **نور الأرماش في مناقب القشاش** دراسة وتحقيق لطفي عيسى وحسين بوجرّة، تونس، المكتبة العتيقة، ١٩٩٨م. ص:٧٦ وما بعدها.

(٤٥)– لطيفة الأخضر، **الإسلام الطُّرُقي(دراسة في موقعه من المجتمع ومن القضية الوطنية)** تونس سراس للنشر، ١٩٩٣م.ص:٦٢.د.أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، الجزء السادس، دار الغرب الإسلامي،١٩٩٨م.ص:٢٦٥.علي خنوف، السلطة في **الأرياف الشمالية لبايلك الشرق الجزائري نهاية العهد العثماني وبداية العهد الفرنسي،الجزائر** مطبعة العناصر، ١٩٩٩م ص:٤٢.

Ahmed Nadir , » Les ordres Religieux et la conquête française (١٨٣٠–١٨٥١)-Revue Algérienne des sciences juridiques économiques et politiques Volume IX ,N° ٤ .décembre, Alger ١٩٧٢ P:٨٢٢.

(٤٦)– مما تجدر الإشارة إليه هو أن الفترة الأخيرة من الحكم العثماني بالجزائر كانت مليئة بالثورات ضد الوجود العثماني في الجزائر، ومثال ذلك ثورة محمد بن عبد الله الشريف (**الملقب بابن الأحرش)** سنة ١٨٠٤ في شرق البلاد وثورة **عبد القادر بن الشريف الدرقاوي سنة ١٨٠٥** في غربها ، وثورة محمد بن أحمد بن سالم التيجاني سنة ١٨٢٦ في جنوبها، بالإضافة إلى تمرد القبائل في الشرق والغرب والجنوب.وهذا العصر عصر المجاعات والقحط وثورة **درقاوة والتيجانية** على سلطة بايلك الغرب والشرق الجزائري ثم الحصار البحري الكبير على سواحل الجزائر. انظر: الآغا بن عودة المزاري، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وأسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**،الجزء الأول، تحقيق ودراسة الدكتور يحيى بوعزيز، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٠م. **ص:٢٩٩– ٣٢٢– ٣٥٢**.بلحميسي مولاي، **الثورة على الأتراك فى الجزائر**، مجلة الثقافة العدد ٤٨، الجزائر (ديسمبر ١٩٧٨م).

(٤٧)– انظر مقتل باي قسنطينة(**الباي عثمان**) المعروف بالباي سي محمد، الباي الأعور والمساعدة الكبيرة التي قدمها أولاد عطية لثورة **البودالي بلحرش** كما يلقبه أهل المنطقة ، وحسب الرواية الشعبية (**عام ١٨٤١**).وقد قام المدعو عثمان بن عميرة من أولاد أعطية من أشراف المنطقة بقطع رأس الباي وتقديمه للثائر **الدرقاوي بلحرش** الذي فشل في اقتحام **قسنطينة** عاصمة الإقليم:

D. Luciani ; les Ouled-Athia de l'Oued Zhour,(Revue Africaine) N° ٣٣. ١٨٨٩.les éditions O.P.U.Alger.P: ٢٩٦-٣١١.

(٤٨)–يصف المزاري أصحاب الطريقة الدرقاوية بأنهم أهل ذم وشقاوة ، وأنهم من العامة الذين انتحلوا العبادات، وتلبسوا على الناس ببعض الخيالات، يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف وهم في أحوالهم في غاية التلطف.وينتسب أهل **درقاوة إلى مولاي محمد العربي الدرقاوي من بني زروال بوادي أبي بريح** من فرقة يقال لها **درقاوة**.انظر تفاصيل الثورة.المزاري الآغا بن عودة ، **طلوع سعد السعود** ، الجزء الأول، ص:٣٠١ وما بعدها.و**در الشقاوة** للناصري كتاب في حكم المفقود حسب الكثير من الدارسين وقد يظهر يومًا فيحقق أخبار درقاوة وعلاقتها بالسلطتين المغربية والجزائرية في هذه المرحلة من تاريخ المغربين الأوسط والأقصى. محمد أبو راس الجزائري، **العسجد والإبريز في عدة ما ألفت بين بسيط ووسيط ووجيز(الفصل الخامس)من فتح الإله ومنّته في التحدث بفضل ربي ونعمته (حياة أبي راس الذاتية والعلمية)** حققه وضبطه وعلق عليه محمد بن عبد الكريم الجزائري، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، **١٩٩٠**م. ص:١٨٠.لوسات فلنسي، **المغرب العربي قبل احتلال الجزائر**، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، تونس سراس للنشر، **١٩٩٤**م. ص:١٠٦–١٠٧.

(٤٩)–عن ثورة التجانية على السلطة السياسية العليا المركزية في الجزائر انظر: المزاري الآغا بن عودة، **طلوع سعد السعود**، الجزء الأول ، ص:**٣٥٢** وما

بعدها.انظر ترجمة مفصلة لشيخ الطريقة التجانية: عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، **الجزء الرابع**، بيروت، دار الثقافة ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.ص:٥١ وما بعدها.

(٥٠)-محمد أبو راس الراشدي المعسكري(١١٦٥-١٢٣٨هـ/١٧٥١-١٨٢٣م) وما يعنينا أن الناصري ممن اتهم بانتمائه إلى ثورة درقاوة على السلطة العثمانية عام ١٢١٧هـ/١٨٠٢م وهو من وجهاء وأعيان الجزائر في عصره وقد كتب(**در الشقاوة في حروب درقاوة**) وهي الحروب التي عرفت أيام ولاية مصطفى باشا على الجزائر.انظر: عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، **تاريج الجزائر العام**، **الجزء الرابع**، ص:٥٦٩ وما بعدها.محمد أبو راس الجزائري، **فتح الإله ومنّته في التحدث بفضل ربي ونعمته**،(**مقدمة د.أبو القاسم سعد الله**).

(٥١)-يقوم الباحث **محمد الخداري المغربي** بعمل جاد لنيل دكتوراه الدولة حول هذا الموضوع بإشراف الدكتور **عبد الرحمن المودّن**، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الرباط.انظر: ضريف محمد ، **مؤسسة السلطان"الشريف" محاولة في "التركيب"**، ص:٧٨.

Drague(G), Esquisse d'histoire religieuse du Maroc », Peyronnet , Paris ١٩٥١.p: ٢٦٧.

انظر علاقة المولى سليمان بأتراك الجزائر(السلطة السياسية العليا بالجزائر في هذا العصر):

A.Cour, »l'établissement des dynasties des chérifs au Maroc ١٥٠٩-١٨٣٠ » Ernest Leroux-Editeur, paris ١٩٠٤.

(٥٢)- محمد مفلاح، **مجهول البيان**، المغرب، دار توبقال للنشر،١٩٩٠م.ص: ١١٦.

(٥٣)- عبد الله حمُّودي، **الشيخ والمريد**، ص:١١٣.

(٥٤)-بلغيث، **الإسلام الطرقي وصدمة الظاهرة الاستعمارية بالجزائر"دراسة وترجمة وثيقة أصلية نموذجية"(تاريخ الجزائر المعاصر)**بيروت،٢٠٠١م.ص:**٢٨١-٢٩٠**. لطيفة الأخضر، **الإسلام الطرقي**،ص:**٤٤-٤٥**.

(٥٥)-العثور على نسخة كاملة لتاريخ العدواني هي أمنية أهل الصحراء والجريد التونسي وقد حدثني أهل سوف والزقم بالدرجة الأولى أنه بالإمكان العثور على نسخة كاملة بتونس، وهو مايعتقده الدكتور أبو القاسم سعد الله أيضًا.

(٥٦)-لقد أصبح من العسير تحديد أعداد سكان البوادي والحواضر في زمن العدواني أو بعده إلا بصعوبة شديدة لأن التعداد والإحصاء ،يصعب التحدث عنه بصفة فعلية أو عن **ديموغرافيا تاريخية** بالنسبة لبلاد المغرب الإسلامي نظرًا لغياب الأرشيفات الخاصة بالسكان أو الجند أو الضرائب التي يمكن أن تسهل مهمة المؤرخ.ربما المعلومات القليلة الواردة عند الوزان في وصف إفريقيا من خلال تعداد السكان والنسمة أو العائلة أو البيت تسمى عنده "**الكانون**"انظر عن هذا الموضوع، إبراهيم جدلة، **السكان الحضر بإفريقية من القرن الثالث عشر (م) إلى القرن السادس عشر(م)(الديمغرافية التاريخية والعالم العربي)**، سلسلة مراجع، عمل جماعي، تونس دار سراس للنشر المعهد العالي للتربية والتكوين المستمر، **١٩٩٣م**.ص:**٨٥**.

(٥٧)-عن مرحلة تأسيس الرباطات الأغلبية وأهمية الرجال الذين شكلوا عناصر هذه الرباطات بالغرب الإسلامي، انظر: محمد الأمين بلغيث، **الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين،** رسالة جامعية(تحت الطبع)ص:٤١ وما بعدها.

ثامنًا

الدكتـــــــور أبو القاسِم سَعدَ الله

محـــقـــــق التراث الجـــــزائـــري

قراءة في عيِّنَــةٍ مِــنَ التُّرَاثِ الجــزائــري
خلال القرن السابــع عشر.

مدخل عام:

لم يدون الجزائريون تاريخهم، بل الغالب على أسلافنا إهمال التدوين و"**آفة الحفظ عدم التقييد**"

ولعل من حبَّبَ إلينا الجزائر والتدوين في أَدَقِّ خصوصياتنا الشخصية، هو المحتفى به شيخ المؤرخين الدكتور **أبو القاسم سعد الله** حفظه الله.لقد كان يشجعنا ولا يزال على الكتابة ونحن في مرحلة الطلب، وقد لا أفي حق الرجل فهو بموسوعته الراقية "**تاريخ الجزائر الثقافي**" قد بنى للجزائر هرمًا تفتخر به الأجيال، فقد تمثل لي الدكتور سعد الله في همة الرجال الكبار، وحدس المؤرخ الرسالي كهمم إخواننا

المصريين، فكل واحد فيهم يرى نفسه قادرًا على أن يكون هرمًا جديدًا يضاف إلى أهرامات مصر الخالدة.

هذه الهمة العالية هل هي التي تدفع شيخ المؤرخين إلى العمل والمشاركة في إعادة عصر التدوين من جديد إلى وطنه الصغير الجزائر خاصة وعالمه العربي والإسلامي عامة.لأنه يدرك حقيقة التاريخ، فنحن نتساءل معه كيف انتصرت علينا قوة **"التقدم"** كما يسميها الدكتور **فارنييه** في عمله **"الجزائر أمام الإمبراطور"**[1].

لعلني لا أبالغ فأرى من خلال تجربتنا التي تزيد عن ربع قرن ونحن نقرأ ما ينتج الأستاذ الكبير سعد الله فأقول إنه المؤرخ الموسوعي، متعدد المشارب والاهتمامات، فقد قرأنا له ما كتب في مجلة الآداب وقد كان شابًّا يافعًا يشارك في التأسيس للقصيدة الحرة، فهو بحسب النقاد من أوائل الشعراء الجزائريين الذين كتبوا القصيدة الجديدة، خارج دائرة القصيدة التقليدية العمودية، كما شاهدنا همته وهو يقوم بتدوين تاريخ الجزائر بداية من ١٨٣٠ إلى غاية **١٩٤٥م**، بوعي نادر يسابق به الزمن وهذا في عمله الموسوعي **"الحركة الوطنية الجزائرية"** كما ساهم مساهمة بالغة في تسجيل وتدوين تاريخ الجزائر الثقافي بداية من القرن الخامس عشر إلى منتصف القرن العشرين(**١٩٥٤م**).

وبحكم تعامل شيخ المؤرخين مع العصر العثماني فقد بذل مجهودًا مضاعفًا لتجلية حقائق هذا العصر بما فيه من نشاط علمي تقليدي وحركة تعليمية أهلية، متتبعًا منحنيات هذه المرحلة، ونحن نعيش لحظة لا تجود بها الأيام إلا قليلاً، أبسط حديثي عن الدكتور **أبي القاسم سعد الله شيخ المؤرخين** محققا للتراث الجزائري، مستعينا بعينة من القرن السابع عشر، نظرًا لاهتمامي الشخصي بهذا القرن العصيب منذ مدة لا بأس بها لعلني أساهم بالتنبيه إلى وعي المؤرخ المحقق بأهمية المرحلة التي كانت فيها الجزائر واجهة للصراع بينها وبين القوى الاستعمارية الجديدة أسبانيا والبرتغال

ثم فرنسا وبقية الدول الأوروبية القومية الأخرى، التي عانت الجزائر ودول المغرب العربي من عدوانيتها في مطلع القرن السادس عشر الميلادي.

العينة موضع الدرس تخص كتاب **محمد بن عمر العدواني مؤرخ سوف والطريقة الشابية**، ومنشور الهداية لشيخ الإسلام **عبد الكريم الفكون**.

هذا ليس معناه أن شيخ المؤرخين الجزائريين لم يهتم بنصوص تراثية أخرى، بل نجده محققا وناشرًا لنصوص في غاية الأهمية في الأدب، والرحلات، ونصوص هامة،مثل **"حكاية العشاق في الحب والاشتياق"**وهي رواية شعبية من تأليف م**محمد بن إبراهيم(أو الأمير مصطفى)** طبعتها الأولى تعود إلى عام **١٩٧٧م**.ورحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة**"لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال"** للطبيب والفلكي والرحالة **عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري** وهو من علماء القرن الثامن عشر المسيحي من منشورات المكتبة الوطنية الجزائرية عام **١٩٨٣م**.إلا أن سبب اختياري للقرن السابع عشر تحديدًا لأنه القرن الذي اصطلح على تسميته كثير من الباحثين بالقرن العصيب، وهو القرن الذي جاء بعد قرن الكارثة أي القرن السادس عشر في المشارق والمغارب. ورغم أن الأستاذ شيخ المؤرخين سعد الله يصف العصر بجملة من الأوصاف الحقيقية التي تعبر عن معرفة دقيقة للأحداث، فقد كان العصر الذي دار فيه الصراع بين الإسلام الذي تمثله الدولة العثمانية والمسيحية التي تمثلها الدولة الأسبانية، وكان مسرحه هو البحر الأبيض المتوسط، وشواطئه الشمالية والجنوبية.وقد لعبت الجزائر في ذلك الصراع المرير دورًا طليعيا تمثل في عمليات الجهاد البحري التي يصفها الأوروبيون بالقرصنة، والمعروف أن قوة الأسطول الجزائري قد بلغت قمتها في القرن السابع عشر حين خرج ذلك الأسطول إلى المحيط الأطلسي أيضًا وهدد شواطئ أوروبا الغربية(بما في ذلك أيرلندا) وحتى أيسلندا و**نيوفولند؟** (٢).

إن موضوع المجتمع من أساسيات المؤرخ وحقله الواضح لدراسة الأخبار والتقاليد ومن آليات المجتمع التقليدي في المغرب العربي، فهم الذهنيات من خلال الطقوس والسلطات المهيمنة على المجتمع، ونحن في هذه المرحلة في أمس الحاجة إلى قراءة تاريخنا قراءة واعية لفهم الآليات المحركة للمجتمع، ومن محاسن الظروف أن تتوفر لنا في هذا العصر مجموعة من التقييدات والنصوص التي يطلق عليها علماء الاجتماع وأصحاب الدراسات الأنثروبولوجية، التصانيف المنقبية التي تعالج أخبار وسلطات أصحاب المناقب من المتصوفة والصلحاء والأولياء ورواد الطرق الصوفية أو كما تطلق عليها أيضًا المدرسة الإستشراقية الجمعيات السرية أو السياسية وفي الدراسات الأخيرة أصبحت هذه الطرق يطلق على سلوكاتها واعتقاداتها "**الإسلام الطرقي**"[٣] أو **إسلام أصحاب الزوايا والتكايا والطرق الصوفية**. وهذه الأدبيات التقليدية مختلفة مثل كتب المناقب والتراجم والتصانيف الإخبارية وغالبًا ما همشها البحث العلمي بدعوى عدم الوثوق بها من جهة نظر المنهجية الوضعية، لأنها لا تتوفر على الماد المدققة التي توجد في الدفاتر الجبائية والمراسلات الرسمية والمستندات العائلية والعقود وغيرها من الوثائق[٤].

أسعفنا الأستاذ الكبير أبو القاسم سعد الله بنشر وتحقيق نصين أساسيين في هذا المجال هما: "منشور الهداية" لشيخ الإسلام عبد الكريم الفكون القسنطيني، والنص الثاني "تاريخ العدواني"، ويقابل هذه النصوص في الجـــهة الغربية من الوطن النص الذي عرفنا به شيخ المؤرخين الدكتور أبو القاسم سعد الله نفسه وهو: **" كعبة الطائفين" لمحمد بن سليمان الجزولي**[٥] .

وكم كنت سعيدًا وأنا أكتشف ولأول مرة **تاريخ العدواني**، إنه يعبر عن حياة وتاريخ منطقة واسعة من **تونس والجزائر**، تاريخ صنعته القبائل العربية وشخصيات تاريخية، كان زمنها القرن السابع عشر، والقرن الثامن عشر الميلاديين، ومنذ أن

فُتِنَّا بقراءة **تاريخ العدواني** الذي نشره **شيخ المؤرخين الجزائريين الدكتور أبو القاسم سعد الله**، وأنا واحد من الذين لا يملُّون من قراءة **تاريخ العدواني** لإحساس خاص أننا طرف في أحداث المنطقة من **فركان ونقرين وحاسي خليفة** إلى غاية **جبل ششار العتيد**، معقل القبائل العربية الثائرة على **بايات قسنطينة وتونس**.

إن قراءة أخبار المجتمع، **وتاريخ المنطقة التي يؤرخ لها العدواني**، خلال القرنين المذكورين وخاصة القرن السابع عشر، قرن الأهوال، قرن الكوارث، قرن الأمراض والأوبئة القاتلة، وعزلة الفرد والقبيلة والمجتمع عمومًا، طرحت علينا، قراءة تاريخنا الحديث، قراءة نقدية، مع تسجيل ما يمكن تسجيله، من أحداث المرحلة، ويبقى **تاريخ العدواني اللَّجي السوفي**،**ومنشور الهداية للفكون** محور هذه المحاولة المتواضعة.

فمع **تاريخ العدواني** نجد أنفسنا نتعامل مع نص عصي، صعب لم أطرافه، كما أننا مع أديب ورحالة ومؤرخ وواحد من شيوخ العصر الذين رفضوا شرعية الحكام الذين يعيشون بينهم، وهذا واضح في نصوص متناثرة، من تاريخه.

لقد أَعاد شيخ المؤرخين الجزائريين الحياة إلى تاريخ **الشيخ محمد بن عمر العدواني "ومن وَرَّخَ لمؤمن فقد أحياه"** كما جاء في الأثر، وقد تعاملت مع **تاريخ العدواني** ضمن كتابي المشار إليه أدناه بحذر، وخوف حتى لا أزور كلماته وفهمه للحدث التاريخي، لهذا أجد نفسي أمام سرد تاريخي مفتوح على كل تأويل، وقابل لكل قراءة لهذا عاهدت نفسي أن أُعيد صياغة الكتاب والنص الذي بين أيدي القراء ورجال التاريخ وعلماء الإجتماع،وقد يطول هذا العمل لهذا بادرت بإخراج المحاولة الأولى المتواضعة في مارس سنة **٢٠٠٢م**، **–وأهديت الكتاب إلى شيخ المؤرخين وخرج الكتاب في طبعة متواضعة، قد تصدر قريبًا في طبعة أنيقة –**(٦) لإيماني الشديد أن الكتابة مقدسة، والنص المكتوب إضافة وتراكمات قد تنفع في

فهم جدلية المجتمع الذي يؤرخ له **العدواني** إن لم يكن اليوم فقد يجود علينا المولى عز وجل بشخصية **فذة كابن خلدون، أو مالك بن نبي** أو **شيخ المؤرخين الدكتور أبي القاسم سعد الله** أو غيرهم من الرجال الأفذاذ الذين يدركون بحدسهم الأشياء قبل أن تقع لفهم لغة التركيب والتجميع والفهم وهؤلاء هم العقلاء وفلاسفة التاريخ، وليس هذا بعجيب على المدرسة التاريخية التي أنتجت لنا أعلام التاريخ الإسلامي.

****تحقيق التراث الجزائري عند شيخ المؤرخين أبي القاسم سعد الله****

تعامل الدارسون مع النصوص الخطية بطرق شتى، ووضعوا بعد تجارب طويلة قاعدة تعتبر من الثوابت في إخراج النص المخطوط إلى الوجود، ومن الأهمية بمكان ونحن نخاطب وجوه معلومة ذات باع في التعامل مع المخطوطات على أيدي كثير من المحققين والدارسين في المشرق والمغرب، أن نذكر بأن تحقيق التراث قد مرَّ بمجموعة من المراحل حتى يصل إلى القارئ المهتم إلى قراءة ومطالعة النص والكتاب المفترض أنه هو الأقرب إلى نسخة المؤلف، ومن بين ما اصطلح على اتباعه في التحقيق الحصول على أكبر عدد ممكن من المخطوطات والنظائر، فتقابل كلمة كلمة مع إشارات تقنية إلى اختلافات النسخ الأخرى مع النسخة المتخذة نصًّا أصليًّا، والتحقيق مهمة شاقة، قد تأخذ من المحقق دهرًا ، يقول **أبو القاسم سعد الله** عن **لسان المقال لابن حمادوش الجزائري**" لو قيل لي عن التعب الذي سيصادفني من جراء تحقيق هذه المخطوطة قبل الإقدام عليه لما صدقته أو لما أقدمت أصلا.وعلى كل حال فقد أصبحت الآن لا أغبط المحققين للنصوص القديمة تحقيقا علميا، لأنهم بدون شك يعانون الكثير ويربحون القليل، وكل جزائهم فيما يبدو هو رضى النفس والوفاء لصاحب النص وراحة الأجيال.ولعل الصعوبة التي واجهتني أنا

بالخصوص تعود إلى أمرين، الأول تعدد موضوعات النص والثاني توفر نسخة واحدة فقط من المخطوطة"[٧].

كما اصطلح كثير من المحققين على التعليق على كل غريب يرد في النص التراثي مع تخريج الأحاديث النبوية والآيات القرآنية، والأمثال العربية والأشعار وكل ما ورد في النص مساعدة للقارئ من جهة وإتمام مهمة المؤلف الأصلي بإحالة القارئ والباحث إلى ما ييسر له قراءة المخطوط بيسر وسهولة، وهذه معاناة لا يصبر عليها إلا من يحمل رسالة في الحياة.

ثم بعد ذلك تأتي المرحلة الأصعب التي يعاني منها الكثير وهي طباعة العمل في دور النشر المحلية أو العربية أو العالمية وهذا يعتبر من بين مشاق تمتين علاقة الأجيال الصاعدة بتراث الأجداد الذي لا زال معظمه في حكم المخطوط خاصة في الرياضيات والعلوم الفلكية والطبية والهندسة والفلاحة وغيرها من المصنفات الصعبة كما عبر عن ذلك أهل الاختصاص أمثال الباحث القدير **محمد سويسي**، والباحث **رشدي راشد**، وهي نفس المعاناة التي حدثنا عنها الدكتور **أبو القاسم سعد الله** وهذا لتعدد مجالات الرحلة، لسان المقال، فقد يعترض المحقق مصطلحًا أو كلمة تعوقه عن مواصلة العمل، ونادرًا ما نجد من يفك رموزها وهو ما نراه في أعمال الدكتور **سعد الله**، إلا أن الله رزقه **"الخل الوفي"** المغفور له بإذن الله العلامة **محمد الطاهر التليلي** وغيره من العلماء الذين يراسلون الأستاذ أين ما يحطّ رحاله صحبة كنوزه ووثائقه وإضباراته، أمثال الشيخ **المهدي البوعدلي وعبد المجيد بن حبة**.

وكلما قرأت للأستاذ **سعد الله** وجدته يذكر من ساعده ومن يدين له بهذه أو تلك فمنشور الهداية كان عبارة عن بطاقات ساعدت المؤرخ في أعمال ومشاريع ثقافية وعلمية، وأنه يصدق من يقول قبل أن يحقق مخطوطًا أنه قرأ المخطوط أكثر من مرة قد تصل إلى العشر، ذلك أنني أنا شخصيا وهذا كلام المحقق **سعد الله** ربما قرأت

منشور الهداية ربما أكثر من ذلك، ولم أكن إذ ذاك قد فكرت في تحقيقه، ثم اقتنعت بفائدة تحقيقه فعزمت على ذلك رغم أنني لم أكن من المحققين بالمعنى الفني للكلمة، ولكن عزَّ علي مخطوط كهذا على جانب كبير من الأهمية يظل طيلة أربعة قرون حبيس المكتبات الخاصة(٨).فإذا كان من أصعب المراحل عد التحقيق، نشر العمل فلا يمكن لنا إلا التنويه بالمجهودات الكبيرة التي عرفها ناشرو أعمال شيخ المؤرخين من بيروت، إلى تونس فالجزائر من خلال مطابع الشركة الوطنية النشر والتوزيع، ثم المؤسسة الوطنية للكتاب، فدار الغرب الإسلامي وصاحبها الشيخ الفاضل **الحبيب اللَّمسي** ناشر تراث الغرب الإسلامي، الذي نشر أهم عمال **سعد الله** التي تلقى رواجًا كبيرًا في البلدان العربية التي لم يصلها إنتاج الجزائريين لظروف يعلمها الجميع، وهو ما نجده في إحالات المشارقة والمغاربة على كتب شيخ المؤرخين سفير الثقافة العربية الجزائرية في غياب مؤسسة رسمية تتبنى خطة توصيل الإنتاج الفكري الجزائري إلى كل راغب لمعرفة مساهمة الجزائريين الثقافية والعلمية والفنية بعد استعادتهم لسيادتهم الوطنية منذ عقود أربعة ونيف.

لقد قدم شيخ المؤرخين للتاريخ الجزائري في العهد العثماني خلال القرن السابع عشر عملا لا يستهان به أولهما منشور الهداية لشيخ الإسلام عبد الكريم الفكون القسنطيني، والثاني تاريخ العدواني، فالأول منشور الهداية لمؤلفه عبد الكريم الفكون، وهو من عائلة وابن مدينة وابن عصر، فهو ابن عائلة عريقة من تميم ذات التاريخ العريق، ومن أبرز أفراد هذه العائلة عبد الكريم ففي عهده بلغت عائلة الفكون أوج قوتها المادية والمعنوية، إذ أصبحت تتمتع بأموال طائلة وأملاك واسعة ومداخيل رسمية ودينية، كما أصبحت تتمتع بنفوذ روحي بلغ درجة قصوى عندما كان الهارب إليها ولو كان مرتكبًا لأعظم الأخطاء، ولو كان من أكابر الناس والحكام، لا تلحقه إذاية بل يجد الحماية والملجأ والأمن، كما تمتعت العائلة بعده بقيادة ركب الحج الجزائري إلى الحجاز، مع ما في ذلك من المكانة في الجزائر وفي

البلدان الإسلامية التي يمر بها بين الشعوب والحكام على السواء.ثم إن الفكون ابن مدينة هي قسنطينة، فأجداده الأقدمون الذين قد يعودون إلى القرن الخامس الهجري، مدفونون بها، ولهم فيها زاوية تحمل اسمهم لاستقبال الضيف من الفقراء والغرباء، ولهم مدرسة باسمهم لتعليم العلم لطالبيه من طلبة الجزائر وغيرها وقسنطينة كانت عاصمة إقليمية كبيرة في مختلف العهود، خصوصًا العهد الحفصي والعثماني، أما كونه ابن عصره فنحن نعرف أن الفكون قد ولد سنة ٩٨٨هـ/١٥٨٠م وهو تاريخ له دلالته بالنسبة لمن يعرف أحوال المغرب العربي والعالم الإسلامي عمومًا ففي القرن السادس عشر والسابع عشر الميلاديين[٩] ظهرت أكبر قوة عالمية هي الإمبراطورية العثمانية، فمنذ القرن السادس عشر والسابع عشر أصبحت قوة عظمى، بل حتى وبفضل توسعها، قوة أوروبية لا يستهان بها، وصارت إقامة علاقات سياسية معها ضرورة ملحةً بالنسبة لسائر القوى، ومنذ نهاية القرن السابع عشر، أدخلت القوى العظمى الإمبراطورية العثمانية في لعبة التوازن الغربي[١٠].

إن مهمة شيخ المؤرخين في تجلية أحوال القرن السابع عشر من خلال نشر منشور الهداية والاعتناء به تحقيقًا وتعليقًا ونشر له دلالة في وعي المؤرخ، فالمنشور بحسب قراءة المحقق سعد الله من خلال محتواه لا يعبر عن مكانة عبد الكريم العلمية ، فهو عالم كبير، وصاحب علاقات واسعة ومعرفة كبيرة بعصره، لهذا يرى سعد الله أن فهم الفكون للتاريخ ربما نابع من رؤيته إلى رجل العلم والدين الخاصة الذي يؤمن بعدم التدخل في الشؤون السياسية(الدنيوية) والمحافظة على مكانة رجل العلم والدين أمام رجل الحكم والسياسة، ونحن نتبين ذلك من الإشادة بموقف جده بإصراره على قتل اليهودي المسمى المختاري الذي تعرض للرسول(صلى الله عليه وسلم) رغم معارضة القضاة والحكام والجنود الخ. كما نلمحه في استنكاره الدائم لتصرفات العلماء الذين باعوا أنفسهم-في نظره- للحكام، فأهانوا العلم والدين معًا.وقد يكون هذا التفسير قائمًا على مبادئ الطريقة الزروقية(طريقة الشيخ أحمد

زروق) الصوفية التي ينتمي إليها الفكون، وهي طريقة تؤمن بـ"**ملازمة السمع والطاعة لأمراء المسلمين وعامتهم وخاصتهم من أهل الله، فلا يخالف عليهم بقول و لا بفعل بل بإيمان وتسليم**"(١١). والوجه الثاني أن يبرر سلوكه في هذا الكتاب أنه كتاب للنصح العام ولا يتعرض للسياسة العامة، ولضرورة التخلص من الشعوذة والخرافة التي حلت بعقائد المسلمين.

إن صاحب منشور الهداية يتحدث عن المنافسات داخل المجتمع القسنطيني والمواجهات التي وضعت رموز العائلات الكبرى في صراع من أجل الجاه والثروة، من ذلك طبعًا صراع عائلة عبد لمؤمن حول الخطط البارزة مثل إمارة ركب الحج التي عادت إلى آل الفكون بعد الغدر بشيخ عائلة عبد المؤمن المعارض للوجود التركي والتمثيل بجثته قال **الحاج أحمد بن المبارك بن العطار**:" ونزل الأتراك بسطحة المنصورة وشرعوا في بناء قصبة هناك لعسكرهم وأظهروا العدل والسياسة وخالف **سيدي عبد المؤمن** وأهل حومة **باب الجابية** على الترك وقابلوهم ثلاث سنين إلى أن تحيلوا على **الشيخ سيدي عبد المؤمن** وكانت له مشيخة فصالحوه و لم يزالوا ينصبون له حبائل المكر والخداع حتى تمكنوا به، دعوه للضيافة بقصبة المنصورة فأجابهم وخرج إليهم آمنًا فقتلوه وسلخوا جلده وملأوه قطنًا وبعثوا به إلى الجزائر ودفنت جثته بمسجده المعروف به اليوم"(١٢).وأشار الفكون في منشور الهداية إلى الحالة التي كانت عليها البوادي والتي لم تكن أحسن حظًّا من التجمعات الحضرية الكبرى، فقد شاعت على حد الفكون الإغارة وامتد مجال الشعوذة والدجل واحتدم التنافس بين من وصفهم المنشور"بالظلمة والحرابة واللصوص والأعراب وغمريان...إلخ" مما يؤكد الحالة البائسة التي كان عليها إقليم الشرق إبان انتفاضة **ابن الصخري**، غير أن هذه الإشارات التي يقدمها صاحب المنشور لا تغني عن الحال إضافة إلى تعتيمها عن الأسباب الحقيقية التي سبقت انتفاضة الشرق

الجزائري، وتناقضات مصالح الزعامات والزعانف المحلية في إقليم بايلك الشرق، فتلك الزعامات المتشبثة باستقلالها وخصوصياتها التنظيمية، اعتبرت أن حضور العثمانيين يجب أن يقتصر على صد الخطر الأسباني خاصة بعد أن عبر هؤلاء عن توجهاتهم العدائية والإقصائية تجاه الأطراف المحلية، بينما شدد حكام الجزائر على ضرورة تنظيم الإقليم بالشكل الذي يتيح لهم فرض سيطرتهم ، معتمدين في ذلك على كل الوسائل التي تراوحت بين المناورة السياسية والحملات العسكرية القمعية والعنيفة، إلى أن اتفقت القوى المحلية والسلطة التركية على صلح بينهم(١٣).

النص التراثي الثاني تاريخ الشيخ محمد بن عمر العدواني

النص الثاني العائد تقريبًا إلى القرن السابع عشر الميلادي هو **تاريخ العدواني** لقد قدَّم لنا **شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله** بعض المفاتيح الضرورية لفهم بعض الكلمات المغلقة بحكم تجربته الطويلة مع الكتاب، كما أن متتبع نصوص وأسلوب العدواني يكتشف بعض الحقائق الهامة، وبعض الكلمات والأمثال الهامة لفهم **فلسفة التاريخ** عند أسلافنا في عصر العدواني.

وأول ملاحظة سجلها **الدكتور سعد الله** حيرته من تأخر نشر **تاريخ العدواني** وأرجعها إلى مجموعة من الأسباب رغم كثرة نصوصه بين أيدي الناس في الصحراء وبالوادي وقراه خاصة وتونس عامة، وأهمها:

- لعل ذلك يرجع إلى كونه كتابًا يتعرض للحروب القبلية والغزوات على الطريقة القديمة والصراع من أجل البقاء بحثًا عن المراعي والرزق والأمن وطلبًا للحرية وبعيدًا عن السلطة(المخزن) وضرائبها وتضييقاتها.
- هناك من لا يرغب في إحياء الماضي خوفًا من التاريخ الذي يدين أحيانًا الدول كما يدين القبائل والأفراد.

●ثم قلت لعل ذلك يرجع إلى ما فيه من قصص وأخبار وحكايات هي أقرب إلى الخرافة منها إلى الحقيقة ، أو إلى طريقة السرد الساذج التي يسير عليها حتى كأنك حين تقرأه لا تعرف نفسك هل أنت طالب معرفة أو طالب تسلية، وهل أنت تتعامل مع نص تاريخي جاد أو نص أدبي خفيف.

●كثرة النسخ وكثرة من رجع إلى تاريخ العدواني ومنهم **العوامر صاحب الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**، **وتاريخ عرفة الشابي لعلي الشابي التونسي** الذي يؤرخ لأسرته الشابية وكل الذين سجلوا تاريخ الجريد والقبائل العربية في منطقة واسعة من **طرابلس إلى الأوراس** ومع ذلك بقي الكتاب رغم نشرة **شارل لورنت فيرو** في حكم المخطوط و"بقدر ما لاحظنا كثرة النسخ المخطوطة وترجمته وتعدد الأخذ منه، بقدر ما لاحظنا أيضًا أنه غير معروف تقريبًا في غير **منطقة سوف**، فهل هو **كتاب خاص بسوف**؟ طبعًا لا. إنه كتاب يضم أخبارًا هامة، كما لاحظنا، عن **الجزائر وتونس وليبيا وحتى المشرق العربي**، ويضيف **أبو القاسم سعد الله** فيقول وقد استغربت من أن كتبا ألفها أصحابها عن **الجريد التونسي أو عن طرابلس أو عن الأوراس والزيبان** ولا يعودون فيها إلى **كتاب العدواني**.كما استغربت من جواب أحد علماء **توزر** سنة ١٩٨٩م عندما نفى علمه **بالعدواني** وبكتابه ، رغم أنه كتاب يضم أخبارًا مستفيضة عن **توزر** وحكم **أولاد الهادف** فيها(١٤).

يتميز فهم **العدواني** للتاريخ بأسلوب مثقف القرن السابع عشر الميلادي، رغم بساطة لغته التي تغلب عليها العامية أحيانًا، كما أن الكرامة والخرافة تأخذ مجالها في ثنايا الكتاب، ومن أهم ما لاحظه المحقق وكل من قرأ تاريخ العدواني أسلوب الموعظة الظاهرة في خواتم فقراته.

تاريخ العدواني مادة ثرية لقراءة أخبار منطقة **سوف والزاب والأوراس جنوبًا وتبسة** وغيرها من المناطق الجزائرية كما أصبح مادة مصدرية أساسية لأكبر

حركة سياسية وإصلاحية عرفتها بلاد الجريد والبلاد التونسية عموما هي **الطريقة الشابية**[١٥] لم يكن هذا فقط، فقد كان ولا يزال كتاب **العدواني** يشكل مادة ثرية للعائلات الوجيهة والقبائل والقرى والحواضر في صحراء سوف وغيرها وبانتشار هذا المصدر بين أيدي المؤرخين وعلماء الاجتماع فإننا نكتفي في هذه العجالة أن نقول أن قراءة **تاريخ العدواني** ممتعة ومسلية ولكنها تحتاج إلى فريق كبير من الدارسين والمحققين في شتى أصناف العلوم لرسم الخريطة الضرورية للمعلومات القوية التي جاءت في الكتاب.

تاريخ العدواني، شاهد على السلطة في **الجزائر وتونس**، ومشارك في العلاقات التي ربطته أو ربطت أمثاله من العلماء والشيوخ والصلحاء بالقبائل في **صحراء سوف** والجريد التونسي، كما كان ناقدًا للسلطة القائمة في تونس خاصة؛ التي اتهمها **بالانحياز إلى النصارى** والاعتماد في تعاملهم المالي الربوي على **يهود البلاد** على حساب الرعية الفقيرة البائسة، غير أن الغائب عند الراوي، وعند العدواني طبعًا، ذكر مصادره، وفي كثير من الأحيان ينسب بعض المواقف إلى الراوي، وفي اعتقادنا، هو ناقل لأخبار غيره من كتب المتقدمين من أصحاب المناقب وكتب الطبقات، كما فعل حينما سُئِلَ عن اليهود[١٦]، وذكر القصة المنسوبة لأحد صلحاء رباط سوسة في العهد الأغلبي، وتحذيره لأصحابه من مداخلة اليهود الذين يَكِنُّونَ كرهاً شديدًا للإسلام والمسلمين. وقد كان اليهود ومنذ القديم كما خلص إلى ذلك أحد الباحثين أنهم شكلوا فئة من الوسطاء في التجارة الدولية التي ربطت هذه المرحلة من عصر العدواني بين سلع إفريقيا الغربية وأوروبا، مما أدى بهم إلى احتكار النقاط الحساسة ومراكز الطرق التجارية البرية والموانئ البحرية.

وأخلص أن التجاوز الممكن عن مصداقية السرد التاريخي، وذكر المصادر التي استقى منها كثيرًا من المعارف والمعلومات والأخبار الدقيقة، تقرب لنا الصورة أن الرجل رحالة وتاجر كبير، وعالم صوفي؛ تجول في، الشلف، الأوراس، بسكرة وورقلة، واستوطن الجريد التونسي مدة إملائه لرحلاته ومذكراته.كما أن الشيخ العدواني من الفقهاء الذين ذاقوا مرارة التعسف والاستبداد، فلا عجب في ذلك إذا كانت أغلبية من الفقهاء وشيوخ العصر المستقلين غير مطمئنين إلى شرعية ولاية من يعيشون تحت سلطتهم في مرحلة مبكرة من التأسيس لنظام عثماني في تونس والجزائر وطرابلس.

وقد أجمع كل من تناول **كتاب العدواني** بالدراسة أن الكتاب الأصلي مفقود وما بقي منه مجرد ذكريات مختصرة عن تاريخ **سوف وطرود وعدوان والشابية**، **والحنانشة والذواودة** وغيرها من الموضوعات غير المرتبة من الذاكرة الشعبية مستوحاة من **تاريخ العدواني**.

خلاصة القول: أخلص بعد هذه المحاولة المتواضعة إلى القول أن شيخ المؤرخين الجزائريين وهو يقوم بتحقيق ونشر هذه النصوص التاريخية التي ترجع إلى القرن السابع عشر قد خدم التراث الجزائري خدمة جليلة لا يمكن أن تمر دون التنويه بها، فقد غطى النصان المذكوران فجوات ومساحة كبيرة في الذاكرة الجزائرية التي ملأها من انتصر علينا عسكريا واحتلوا مساحة كبيرة ضمن مخيالنا الثقافي في غياب من يعيد للجزائر ذاكرتها الجماعية التي فقدتها طيلة قرن وأزيد من ثلث القرن بفعل عدوانية واستعمار مغول القرن التاسع عشر والقرن العشرين لأرضنا، وإبادتهم لأهلنا، وتهجيرهم وقتلهم وتشريدهم لنخبتنا العالمة، وعمرت القطر بشذاذ الأفاق، والذين لا موضع قدم لهم في بلدانهم.

(*)–مداخلة قدمت بمناسبة تكريم شيخ المؤرخين الجزائريين الدكتور أبي القاسم سعد الله.

(١)– د.وارنيه، **الجزائر أمام الإمبراطور**، ص:٧٠ نقلا عن د.سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية(الجزء الأول ، القسم الثاني)**١٨٦٠–١٩٠٠، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٠م.ص:١٤١.

(٢)–شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون(١٠٧٣هـ/١٦٦٢م)، **منشور الهداية في كشف حال من ادّعى العلم والولاية**، تقديم وتحقيق وتعليق، الدكتور أبو القاسم سعد الله، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.ص:٨.

(٣)–لطيفة الأخضر، **الإسلام الطّرقي(دراسة في موقعه من المجتمع ومن القضية الوطنية)**، تونس، سراس للنشر،١٩٩٣م.ص:٤.

(٤)–لطفي عيسى، مدخل لدراسة ميزات الذهنية المغاربية خلال القرن التاسع عشر، تقديم بقلم على اللواتي،تونس، راس للنشر،١٩٩٤م.ص:٦(مقدمة الكتاب).

(٥)–الدكتور أبو القاسم سعد الله، **الجزائر في القرن الحادي عشر**(١٧م) **حسب مخطوط كعبة الطائفين(أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر)**، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٠م.ط.٣.ص:١٥٩–١٧٦.

(٦)– د.محمد الأمين بلغيث، **الشيخ محمد بن عمر العدواني مؤرخ سوف والطريقة الشابية**، الجزائر، كريستال برنت،١٤٢٣هـ/مارس ٢٠٠٢م.ص :١٣.

(٧)– عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، **رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة" لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال**» تقديم وتحقيق وتعليق، الدكتور أبو القاسم سعد الله، الجزائر إصدارات المكتبة الوطنية، سلسلة رحلات ومذكرات رقم/١.الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٨٣م.ص:١٩.

(٨)– شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، **منشور الهداية**، ص:٢٢.

(٩)– نفسه، ص:٧–٨.

(١٠)– شفيق محسن، **الدولة العثمانة والحاضرة العثمانية**(مجلة الاجتهاد) العددان الواحد والأربعون، والثاني والأربعون، بيروت، شتاء وربيع ١٤١٩هـ/١٩٩٩.ص:١٥٦ وما بعدها.

(١١)- شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، **منشور الهداية،** ص:٩.د.أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي(١٥٠٠–١٨٣٠)، الجزء الثاني**، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م.ص:٨١.

(١٢)– الحاج أحمد بن المبارك بن العطار، **تاريخ قسنطينة**، تحقيق المرحوم رابح بونار،دون طبعة ودون ناشر.ص ص:٥٧–٥٨. العنتري، محمد الصالح، **فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة**، مراجعة وتقديم وتعليق يحيى بوعزيز، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٩١م. ص:٦٨.

(١٣)- لطفي عيسى، **مدخل لدراسة مُميزات الذهنية المغاربية خلال القرن التاسع عشر**،ص:٤٥.

الحاج أحمد بن المبارك بن العطار، **تاريخ قسنطينة**،ص: ٥٧–٥٨.

(١٤)- العدواني، محمد بن محمد بن عمر، **تاريخ العدواني**، تقديم وتحقيق وتعليق أبو القاسم سعد الله، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٦م.ص:١٢.

(١٥)- د. محمد الأمين بلغيث، **الطريقة الشابية في تونس والجزائر "محاولة لرسم مسار الحركة" خلال القرنين** ١٦ و١٧(**المجلة التاريخية المغاربية، العدد:١١٤)مؤسسة التميمي، تونس**، ٢٠٠٤م.ص:٣٧–٤٨.

(١٦)- د.محمد الأمين بلغيث، **الشيخ محمد بن عمر العدواني**، ص:٦٠.

الفهرس العام